التعرف لموقف

ابن تيمية وتلامذته

من التصوف

بقلم

أحمد ميرغني أحمد التجاني

(أيده اللّه بتوفيقه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بكمال حمده على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم ، الذي لا يحصي نعماءه العادّون ، ولا يبلغ شكره المادحون، ولا يحيط بذكر آلائه الذاكرون ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة ، أجلها وأعظمها نعمة الإسلام ، وأكرم بها من نعمة ، ومنها نعمة سعة الصدر والتحمل .

.وسعة الصدر على من يخالفك في الرأي والمعتقد والقدرة على أن تسمع منه وتَفْهَمَ عليه ، وتَفْهَمَهُ . والتحمل منه عندما يصدر عليك أحكامه الخاطئة ، أو يؤذيك ويظلمك .

وهي نعمة نادرة في الناس ، حتى في العلماء، وأكثر ندرة في الحكام ....والظاهر أن وجودها في الصوفية أكثر من غيرهم ، فالصوفي يتحمل منك أن تخالفه في الرأي والمشرب تحملاً جيداً . . وقد يتحمل أن تضطهده !

وذلك لا أنه يتربى على سعة الصدر والإستعداد للإضطهاد ، ولقد تأقلم الصوفية مع الأذى والظلم حتى صار لهم جلباباً ، وحتى تعجب ظالموهم من تحمّلهم !

وإنهم لا يعجبهم منا العجب ، ولا الصيام في رجب !

ولكن تعجبهم أحكامهم علينا بالكفر والشرك !

ويتفاوت حال خصوم الصوفية في سعة الصدر وضيقه ، ولكن أن أكثرهم ضيقاً بنا الوهابيون، ظالمونا ، الذين يتهموننا بالشرك ، والكفر... ولقد نشروا في هذه السنوات أكثر من ٥٠٠ كتاباً وكتيباً ضد الصوفية ، وفيها الكثير من الأحكام القاسية ، والألفاظ السوقية ، وقد ملأوا تلك الأوراق بعبارات التهجم – وكل إناء بالذي فيه ينضح – وتعدوا واعتدو وجاوزوا طورهم وضلوا وما اهتد وء وفجروا في الخصومة، وإشاعو الكذب ورمي أهل الإيمان بالبهتان!!!

وليس في الكذاب حيلة كما قال الشاعر:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيل

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

والصوفية – وقد بارك الله فيهم – ما زالو في ازدياد مضطرد ومن عجيب ما يصنع الله لأهل التصوف أن يجعل نشاط أعدائهم الوهابية سببا في رفع راياتهم ونشر فضائلهم كما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيله طويت اتاح لها لسان حسود

لو لا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فقد صارت كتب الوهابية سببا عظيما في انتشار التصوف فإن كل من قرأ هذ ه الكتب ثم سال عن أحوال اهل الصوفية وعرفهم عن كثب كانت نتيجة سؤاله وتعرفه أن يحتقر الكذب وأهله لأنه يجدهم بحمد الله وتوفيقه – علماء وصلحاء يقرأون القرآن ويعظمون تلاوته وهم شيوخ العلم وأئمة الفقه ورؤوس الفتوى وحفاظ الحديث ومنارات أهل الورع ، وإن علوم الإسلام من تفسير وحديث وأصول وفقه وغيره كاد ألا يكون لها سند متصل الأمن الأكابر إلا من طريق المشيخة الصوفية تشهد بذلك الفهارس والأثبات والبرامج والمشيخات على اختلاف أنواعها و يعرف ذلك كل من خالطهم ، ولم يعد ثمة شك لمستريب أن ما جهدت في ترويجه والدعوة إليه ، ولسنين طويلة ، حملة ومروجو الفكر الوهابي ، ضد الصوفية ، بل وما استفرغوا فيه الطاقة والمال ، والعبارات المزوقة الجوفاء ، التي أصم ضجيجها الآذان ، وأقرح سقمها النفوس ، فى بلادنا السودان وفى سائر البلدان، وأقاموا من اجلها الدنيا ولم يقعدوها ومن اقوالهم :-

قول على بن محمد بن سنان فى كتاب (المجموع المفيد فى عقيدة التوحيد) ص ٥٥ما يلى : (أيها المسلمون لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب الشعواء على هذه الطرق الصوفية، وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم وقلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم وزواياكم، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود فإنها روح اليهود والمجوس، تغلغلت فى جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته).

ويقول محمد حامد الفقى : (هذه الطرق الصوفية ليست من الإسلا م في شيء، والإسلا م لا يعرف هذا التصوف بتقاليده وطقوسه وشطحاته وأسراره وبواطنه، بل جاءه دخيلا من متصوفة الفرس والهند وغيرهم، ممن ورثوه عن الوثنيين القدماء التى لاتزال بقاياهم فى الهند والصين ومختلف بقاع الأرض ، وهى صورة طبق الأصل فى عقائدها وطقوسها مما يسمو نه التصوف الإسلامى حذو النعل بالنعل، فما عرف اسم التصوف و الصوفيةإلا بعد القرن الأول الهجرى).

ويقول عبد الرحمن عبد الخالق فى كتابه (فضائح الصوفية)ص٤٢ : (إعلم أولا أن التصوف بحر من القاذورات، فقد جمع المتصوفة كل أنواع الكفر والزندقة التى توجد فى فلسفات الهند وإيران واليونان، وكل مكر القرامطة والفرق الباطنية، وكل خرافات المنحرفين، وكل دجل المدجلين، وكل وحى الشياطين،ووضعوا كل ذلك فى إطار التصوف وعلومه ومبادئه وكشوفه ،فلا يتصور عقلك عقيدة كفرية فى الأرض إلا تجدها فى التصوف).

هدف البحث

أن عقيدة الوهابية في الصوفية تحتاج إلى معرفة جذورهم . . ولما راجعت ما تيسر لي من مصادر ، هالني الأمر . . وقلت في نفسي : لو عرف الوهابيون أن ائمتهم يقولون بالتصوف. . لأعادوا النظر في التصوف ، وخففوا من غلوائهم علينا ، ولو اطلع الوهابي في نظريات ائمته عن التصوف والصوفية لهاله الأمر !

ولأعاد النظر في تصوره عن التصوف من أجل هذا الهدف كتبت هذا البحث . . ونظريتنا استجلاء الحقيقة من خلال تلك الحجب والاستار ، فسوف نبديها في تلو هذا البحث ناصعة بيضاء مستقرة ، ونوقفك على الفذلكة ، ونمنحك الحقيقة المكنونة ، والجوهرة الثمينة فنتوصل الى الحقيقة من اقرب طرقها ، ونتوسل الى البغية المنشودة بأقوى أسبابها ، وأوثق عراها ، وامتن أواخيها .

فنقدم هذا البحث ليرى هؤلاء ماجهلوه عن أقوال كبرائهم عن التصوف ولسلوك الصوفية ، وإن الوهابية التى تدعي الانتماء إلى السلفية، وإلى ابن تيمية تحديدا، كما ورد فى كتاب (السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية، ص٣٩) للغنيمان ويقول: (والواقع أن دعوة الشيخ محمد امتداد لدعوة الشيخ ابن تيمية وأثره من آثارها ... لا نزال ونميز بين أهل التوحيد والسنة في محبة ابن تيمية، فمن كان يبغضه عرفنا أنه ليس من أهل التوحيد ولا من أهل السنة ومن كان يحبه عرفنا أنه من أهل التوحيد والسنة).

وهاهى شهادة شيوخكم فى التصوف والصوفية تملأ جنبات هذا الكتاب، وقد قمت بجمع أقوالهم ، وإنما هى نماذج فقط مما ورد فى كلامهم ، ولم اعلق على شيء من ذلك إلا ما كان للضرورة الشديدة جدا حتى يتضح الموقف الصحيح لهم.

ونرجو الله أن يجعله سببا لإظهار الحق ، و يكشف بهذا البحث ما غشى القلوب من التضليل و التكفير .....مع أن تكفير المسلمين خطره عظيم ولا يرضاه لنفسه متورع يتقى الله تعالى.... فيقتضى تكفير الصوفية تكفير لكثير من الأمة: علماء وعامة!!! وكيف تكفر الأمة!!!

وقد روى ابن ماجة فى سننه (١٣٤٤/٢) ترقيم (٤٠٤٩) والحاكم فى المستدرك (٤٧٣/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم:عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله [: (يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا اله إلا الله فنحن نقولها فقال له صلة: ما تغنى عنهم: لا اله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا).

وقد صحح هذا الحديث شيخهم ناصر الدين الألبانى فى سلسلته الصحيحة (١٢٧/١) ترقيم ١٧.

فإذا كان هذا حال الأمة فى آخر الزمان وينجيهم قول (لا إله إلا الله) تقليدا لآبائهم فكيف يكون حالهم ومعهم الصلاة والصيام والصدقة والنسك والقرآن... وكلامنا فى حال الأمة... لا حال بعضها... مما مفاده أن الأمة كلها رجعت مرتدة عن دينها مفارقة لإسلامها فلا يوجد الدين والإسلام إلا عند جماعة بعينها: قليل عددها!! ضعيف شأنها!! يكفر بعضهم بعضا!! ويخون بعضهم بعضا!! ويتهم بعضهم بعضا ؟!.

وعرفها العام والخاص حتي شكي امام السلفين بمدينة حلب الشيخ نسيب الرفاعي فقال :[اهكذا غدونا نحن السلفين ؟!!! يرمي بعضنا بعضا بالشرك الاكبر ؟!! ولا ادري استجابة لمن ....؟]

تنبيه :علامات الاستفهام (؟) والتعجب (!!) ومن عند الشيخ نسيب الرفاعي .. وليس من عندنا أما الجواب عن سؤال : [لا ادري استجابة لمن ...؟]. فنحن ايضا لا ندري ...غير اننا نقول ...(آلله امركم بهذا ام علي الله تفترون).

ونسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ويدلنا عليه دلالة يحفظنا بها من الزيغ والضلال ويسترنا بستره الذى أسبله على من عرف فلزم فنور الله قلبه بأنوار (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه) رواه البخارى فى الصحيح ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبيين الطاهرين.

الفصل الأول

موقفهم من اصطلاح اسم الصوفية

يقول الشيخ ابن تيمية فى (مجموع فتاوى ج١١ ص٥) : (واما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك).

و قال فى (مجموع الفتاوى (١٦/١١) : (وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون) .

وقال ايضافى (مجموع الفتاوى (١٦/١١): (هو – أي الصوفي– في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال : صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم والصديق من العصر الأول أكمل منه والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه) .

وقال ايضا : ("وأول من حمل اسم "/صوفي"/ هو أبو هاشم الكوفي، الذي ولد في الكوفة، وأمضى معظم حياته في الشام، وتوفى عام"١٦٠؟"، وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو "/ذو النون المصري"/ تلميذ الإمام "/مالك"/، وأول من بوبها ونشرها هو"/الجنيد"/ البغدادي / اه) .

ملحوظة :ابوهاشم الكوفي كان معاصرا للامام المجتهد سفيان الثوري الذي توفي عام ١٥٥هـ قال عنه سفيان الثوري : (لولا أبو هاشم ماعرفت دقائق الرياء).

وقال ايضا (مجموع الفتاوى ج١١ ص٢٨ – ٢٩): (لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيه أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها ، وإن سميت فقرا وتصوفا ؛ لأن الكتاب والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج ذلك بأن تسمى باسم أخر . كما يدخل في ذلك أعمال القلوب كالتوبة والصبر والشكر والرضا والخوف والرجاء والمحبة والأخلاق المحمودة) .

وقال (مجموع الفتاوي ابن تيمية ج٥ ص٣): (و «أولياء الله» هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقيها أو عالما أو تاجرا أو جنديا أو صانعا أو أميرا أو حاكما أو غير ذلك). اهـ

تعريف الصوفي عند ابن تيمية في " مجموع الفتاوى "١٦/١١" : " "هو ـ أي الصوفي ـ في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من

أهل هذه الطريق كما يقال : صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم والصديق من العصر الأول أكمل منه والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه).

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١٢ – صفحة ٣٦" :

"وأما جمهور الأمة وأهل الحديث والفقه والتصوف فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والاثارة من العلم وهم المتبعون للرسالة اتباعا محضا لم يشوبوه بما يخالفه ".

٣– التصوف تكلم به الإمام أحمد ابن حنبل وسفيان الثوري والداراني وغيرهم :–

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١١ – ص٥ ":" أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام احمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان

الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى" .اهـ
ملحوظة : عبارة لم يكن مشهورا لاتنافي انه كان موجود.
وقال في مجموع الفتاوى "١١/١٧" :"طائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معرفون وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم ".اهـ
ويقول ابن تيمية في هذا الباب الفتاوى "١١/٢٨ – ٢٩":"لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيه أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها ، وإن سميت فقرا وتصوفا ؛ لأن الكتاب والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج ذلك بأن تسمى باسم أخر . كما يدخل في ذلك أعمال القلوب كالتوبة والصبر والشكر والرضا والخوف والرجاء والمحبة والأخلاق المحمودة ." "اهـ .

ويقول فى (مجموع فتاوي –كتاب التصوف "ج٥ ص٣" : "/و «أولياء الله» هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقيها أو عالما أو تاجرا أو جنديا أو صانعا أو أميرا أو حاكما أو غير ذلك"/." اهـ

وقال فى مجموع الفتاوى "جزء ٢٠ – صفحة ٦٣":"ثم هم إما قائمون بظاهر الشرع فقط كعموم أهل الحديث والمؤمنين الذين فى العلم بمنزلة العباد الظاهرين فى العبادة وإما عالمون بمعاني ذلك وعارفون به فهم فى العلوم كالعارفين من الصوفية الشرعية فهؤلاء هم علماء أمة محمد المحضة وهم أفضل الخلق وأكملهم وأقومهم طريقة والله أعلم" اه

وقال في " مجموع الفتاوى " "١١/١٦":" وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون).

ومجموع الفتاوى " جزء ٧ – صفحة ١٩٠ :" فإن أعمال القلوب التى يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فالأول لابد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثانى كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد فى سبيله أحب إليه من أهله

وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ومثل الحب فى الله والبغض فى الله والموالاة لله والمعاداة لله" اه .

وينسب الشيخ ابن تيمية الصوفية إلى السنة وإلى مالك والشافعي:-

قال ابن تيمية في درء التعارض ص٥٠٢ الجزء٨ وهو يصف الشيوخ الصوفية بأنهم ممن ينتسبون لأهل السنة ما نصه :-

"وهذا الشيخ أبو محمد بن عبد البصري المالكي طريقته طريقة أبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي وامثالهما من المنتسبين إلى السنة والمعرفة و التصوف واتباع السلف وائمة السنة والحديث كمالك وسفيان الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي واحمد ابن حنبل وأمثالهم وكذلك ينتسبون إلى سهل بن عبد الله التستري وامثاله من الشيوخ).

وقال ما نصه فى مجموع الفتاوى (١٧/١١): "ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة، قد تكلموا فى حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم: الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعانى وترك الدعاوى واشباه ذلك، وهم يسيرون بالصوفى معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون، كما قال الله تعالى: {أولئك الذين انعم الله عليه من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا}، ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفى، لكن هو فى الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصديق الذى اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذى اجتهدوا فيه، فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال: صديقو العلماء وصديقو الأمراء، فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون، فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا، كل بحسب الطريق الذى سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده، وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم، فهم من أكمل صديقى زمانهم والصديق فى العصر الأول أكمل منهم، والصديقون درجات وانواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه واحكمه وغلب عليه".

وقال ايضا(مجموع الفتاوي (١١–١٨) : ولأجل ما وقع فى كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس فى طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة فى ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم افضل الخلق واكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفى هذه الأمور ذميم.

والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله، كما اجتهد غيرهم ....إلى أن قال:وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا، فان أكثر مشائخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد.

فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف:

صوفية الحقائق وصوفية الأرزاق وصوفية الرسم.

فأما صوفية الحقائق: فهم الذين وصفناهم.

وأما صوفية الأرزاق: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط فى هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك ولكن يشترط فيم ثلاثة شروط:

أحدها: العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

والثانى: التأدب بآداب أهل الطريق وهى الآداب الشرعية فى غالب الأوقات وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

والثالث: ان لا يكون احدهم متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك.

وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة فهمهم فى اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك فهؤلاء فى الصوفية بمنزلة الذى يقتصر على زى أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة امره أنه منهم وليس منهم).

الشيخ ابن القيم :-

وقال ابن القيم في كتابه مدارج السالكين " ج١ ص١٣٥":أنهم "أي الصوفية" كانوا أجل من هذا وهممهم أعلى وأشرف إنما هم حائمون على اكتساب الحكمة والمعرفة وصهارة القلوب وزكاة النفوس وتصحيح المعاملة ...).

أما في "ج٢ ص٣٠٧" فنجده يقول :"التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه ، فان المرء مع من احب .كما قال سمنون : ذهب المحبون بشرف الدنيا والاخرة ، فان المرء مع من احب، والله اعلم).

قال ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين "ص٢٦١-٢٦٠":(ومنها أن هذا العلم "التصوف" هو من أشرف علوم العباد وليس بعد علم التوحيد أشرف منه وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة).

الشيخ ابن القيم قال (مدارج السالكين "١/ ٤٩٩"):(الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وكذلك التصوف) .

قال أبو بكر الكتاني : " التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ".

وقيل : التخلي من الرذائل والتحلي من الفضائل ".الي ان قال : قال شيخ الاسلام "أي شيخ الاسلام الهروي الصوفي" : "واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم : أن التصوف هو الخلق ، وجميع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو: بذل المعروف وكف الاذى".

قلت : "ومن الناس من يجعلها ثلاثة : كف الاذى واحتمال الاذى وايجاد الراحة ومنهم من يجعلها اثنين –كما قال الشيخ بذل المعروف وكف الاذى . ومنهم ومن يردها الي واحدة بذل المعروف والكل صحيح "اهـ.

قال ابن القيم في كتابه " شرح منازل السائرين" :"الصوفية ثلاثة أقسام : صوفية الأرزاق ، وصوفية الرسوم ، وصوفية الحقائق ، وبدع الفريقين المتقدمين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين فهم في الحقيقة علماء حكماء" أهـ .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٢ ص ٣٦٨":"ثم انهم – في انفسهم فريقان : صوفية وفقراء ، وهم متنازعون في ترجيح الصوفية على الفقراء أو بالعكس أو هما سواء ، على ثلاثة اقوال :– فطائفة رجحت الصوفي ، منهم كثير أهل العراق ،وعلى هذا صاحب العوارف وجعلوا نهاية الفقير : بداية الصوفي .

-وطائفة رجحت الفقير ، وجعلوا الفقر لب التصوف وثمرته ، وهم اكثر أهل خرسان.

-وطائفة ثالثة ، قالوا : الفقر والتصوف شيئ واحد ، وهؤلاء هم اهل الشام".

وقال ابن القيم في مدارج السالكين "ج١ ص١٩٩" وهويصف الشيخ عبدالقادر -بالشيخ - العارف - القدوة

قال ابن القيم : "وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبدالقادر الكيلاني :(الناس اذا وصلوا الي القضاء والقدر أمسكوا الا انا فانفتحت لي فيهع روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون مستسلما للقدر).

الفصل الثاني

موقفهم من ظهور ونشأة التصوف

لم تختلفت كلمات الشيخ ابن تيمية وتلميذه الحافظ الذهبي حول التصوف وهو أنه أمر نشأ من جادة الشريعة الإلهية ، ووقع الكلام في التصوف المقبول والتصوف المرفوض، ولا نريد هنا أن نتحدث عن حقيقة التصوف، ولا أقسامه، ولا بيان ما هو مقبول منه وما هو غير مقبول، وإنما الغرض بيان صلته بالأسلام ، فهل التصوف ظاهرة بعيدة عن الأسلام كما يدعي بعض الوهابية ، وهو ما يلزم منه أن ينقسم إلى من يقبل التصوف ومن يرفضه، وبالتالي فنفي التصوف عن الاسلام يكون في غير محله، ولبيان هذا الأمر نحتاج إلى البحث في مبحثين :

أ- المبحث الاول تاريخ التصوف :-

ان تاريخ التصوف وبدايته، كانت مع ظهور الاسلام وبل يرجح كونه نشاء وسط الصحابة (رضى الله عنهم) ، ومنهم الحافظ الذهبي ،حيث يقول في سياق انتقاده على الحافظ أبي إسماعيل الهروي تأليفه (منازل السائرين) يقول فى (سير أعلام النبلاء) (١٨/٥١٠) : (يا ليته لا صنف ذلك فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين) .

وقال أيضا فى (تذكرة الحفاظ) (٣/١١٨٥):(هذا الكتاب لون آخر غير الأنموذج الذي أصفق عليه صوفية التابعين).

ويؤكد ذلك العلامة ابن خلدون فيقول فى (مقدمته (١/٣٩٠): (إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة

والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه جمهور من لذة ومال وجاه والانفراد في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) .

ويقول الحافظ أبو عبد الله محمد صديق الغماري الانتصار لطريق الصوفية ص(١٧ ، ١٨ .):(ويعضد ما ذكره ابن خلدون في تاريخ ظهور اسم التصوف ما ذكره الكندي . وكان من أهل القرن الرابع . في كتاب "ولاة مصر" في حوادث سنة المائتين: إنه ظهر بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف. وكذلك ما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" حاكيا عن يحيى بن أكثم فقال: إن المأمون يوما لجالس، إذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب، فقال: يا أمير المؤمنين! رجل واقف بالباب، عليه ثياب بيض غلاظ، يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعضالصوفية. فهاتان الحكايتان تشهدان لكلام ابن خلدون في تاريخ نشأة التصوف. وذكر في "كشف الظنون" أن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة خمسين ومئة)

.

وأورد صاحب "كشف الظنون" في حديثه عن علم التصوف كلاما للإمام القشيري قال فيه: (اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس . ممن لهم شدة عناية بأمر الدين . الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة) ("كشف الظنون" عن أسماء الكتب والفنون، لحاجي خليفة ج١/ص٤١٤).

ويقول الدكتور طه عبد الباقي سرور في كتابه : (شهيد التصوف الإسلامي) صفحة (٢٧) :[لقد وجد الروح الصوفي مع الإسلام منذ يومه الأول وليس معنى هذا أن الأذواق والمواجيد القلبية والروحية والمناهج الصوفية سلوكا ومعرفة كانت واضحة جلية في أيام الإسلام الأولى وفي حياة أئمة الصحابة رضوان الله عليهم ففي هذا الزعم إسراف ومجانبة للحقائق .

ولكننا لو تأملنا في آيات القرآن المحكمة وفي حياة الرسول الطاهرة وسير صحابته المشرقة نجد البذور الأولى للسلوك الصوفي وللمعرفة الروحية مبينة متلألئة .

وليس التصوف بدعا في هذا فكل منهج من مناهج المعرفة في الإسلام انبثق كما انبثق التصوف من روح القرآن وجوهر رسالته وبدأ كما بدأ التصوف مع الإسلام ثم نما وتطور ومشى مع خطو الحياة وسنة الله .

فإننا مثلا نستطيع أن نقول مع الفقهاء أن الفقه نشأ مع الإسلام وليس معنى هذا القول أن التفريعات الفقهية والاستنباطات والمصطلحات الفنية كانت في صدر الإسلام وفي الكتاب والسنة ؟ وإنما كانت هنالك البذور الأولى والمادة الأولى التي نمت وتطورت ومشت مع الحياة .

كان التصوف موجودا في صدر الإسلام بروحه وهديه وآدابه وخلقه وترفعه وزهده وعباداته وطاعاته وذكره ومناجاته كان موجودا بجوهره وقائما بكلياته لا بجزئياته .

كان التصوف في صدر الإسلام هو هذا الروح الديني المهيمن المسيطر على حياة المسلمين كافة الموجه لحركاتهم وسكناتهم الصاعد بأعمالهم ونواياهم إلى خالقهم ومولاهم .

كان هذه الرقابة الحية اليقظة التي أقامها كل مسلم في أعماقه ليراقب ما توسوس به نفسه وما يصطرع في قلبه وما يتواثب في نفس وما يخفي صدره وما تطرف به عينه .

كان هذا الترفع الشامخ عن شهوات الدنيا وزخرفها والإعراض عن بريقها وفتنتها والزهد في ترفها ومظاهرها والتسامي بكل ما فيها إلى

وجه الله حتى يظفر بحبه ورضاه وقربه وهداه لأن الدنيا لا تزن عنده جناح بعوضة ولأن الآخرة خير وأبقى .

ثم مشت الحياة بالمسلمين وفتحت عليهم الدنيا وابتعدت مسامعهم عن نغمات الوحي وتفرقت قلوبهم عن الميثاق والعهد وانحلت العزائم وفترت الهمم وتسارعِ الناس إلى المال والجاه ولهو الحياة ونشأت الفتن واختصموا على الملك وتصارعوا وتباغضوا وتشعبت بهم السبل ونشأت تبعا لذلك حركات مضادة ورسالات مجاهدة صمدت في وجه العاصفة ... ويحدثنا تاريخ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة عن وعاظ ومرشدين وقفوا على أسوار القرآن ومعالم السنة ينذرون الناس ويدعونهم إلى ربهم ودينهم تميزهم شجاعة نفسية عالية أعانتهم على مواجهة الجبروت والاستبداد الذي بدأت طلائعه في أفق الحياة الإسلامية .

وبجوارهم رأينا طائفة من الزهاد الذين وقفوا في وجه فتنة الترف والإسراف وأخذوا يديرون لحونهم وأحاديثهم حول فضائل النفس وآداب الحس وتزكية الجوارح والزهد في الدنيا وهوان أمرها وزوال نعيمها وضلال شهواتها.

ثم رأينا العباد المتبتلين الذين انقطعوا إلى طاعة الله وعبادته وذكره وأحالوا الكون إلى محاريب للصلاة والمناجاة ومنابر للتحدث عن نعم الله وعن عظمته وجلاله والأنوار التي يفيضها للساجدين المتطهرين .

ومن هؤلاء تكون الرعيل الأول من الصفوة الربانيين الذي عرفوا في التاريخ باسم الصوفية أو كما يقول ابن خلدون (اختص المقبلون بأنفسهم على الله باسم الصوفية) .

ثم بدأت تتكون لهذه الطائفة ثقافة إيمانية لها لونها وطابعها وخصائصها الفنية . ثقافة تدور حول ذكر الله وإلهاماته ومجاهدة النفس وما ينبثق من هذه المجاهدة من آداب السلوك ومقامات السير ويتوج كل هذه الصلة بالله سبحانه وما يترقرق حول هذه الصلة من أذواق ولحون ومواجيد وأشواق ثم ثمرة هذا كله وهو المعرفة الباطنية وما تفيض هذه المعرفة من علوم وأنوار .

ومن ثم بدأت الحياة الروحية تنفصل عن الحياة العامة وتستقبل بمنهاجها ومعارفها وابتدأ الصوفية يصطنعون كلما تحدد أذواقهم وتعبر عن شعورهم وأخذ أفق هذه الكلمات يتسع لمعان متعددة وكانت كلمة تضاف إلى التصوف تفتح أفقا جديدا وتكون منبعا متدفقا وتتناولها ألسنة الصوفية فتفتقها وتبتدع لها صورا وألوانا وأذواقا .

ثم أخذوا يكونون لهم فلسفة في الأخلاق وفي السلوك وفي العبادة فأخذوا يجردون الأسباب منتن قوتها ويرجعون كل شيء إلى الله سبحانه وتعالى فأكسبهم ذلك عزة خلقية وسعادة روحية قوامها الرضاء بقضاء الله وقدره واليقين بألا سلطان لقوة من قوى الأرض على مصائرهم وحياتهم كما يقول إبراهيم بن أدهم

(نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيف) .

كما أفاضت عليهم الثقة بالله والتوكل عليه شجاعة نفسية وقوة إيمانية لا تسامقها قوة ولا شجاعة يقول إسحاق بن إبراهيم السرخسي : (سمعت ذا النون المصري وفي يده الغل وفي رجليه القيد وهو يساق إلى المطبق والناس في بغداد يبكون حوله وهو يقول (هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه وكل فعله عذب حسن طيب)] انتهى .

المبحث الثاني

موقفهم من نشأة التصوف

يقول الشيخ ابن تيمية فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٦، ٧):(فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية).

وعبد الواحد بن زيد :-

يقول فية الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى "٢٨٢/١١":(وعبد الواحد بن زيد وأن كان مستضعفا في الرواية إلا أن العلماء لا يشكون في ولايته وصلاحه ولا يلتفتون إلى قول الجوزجاني فأنه متعنت كما هو مشهور عنه) .

وذكر ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:(أن عبدالواحد ابن زيد من أولياء الرحمن).

ويقول فيه الحافظ أبو نعيم الإصبهاني فى (حلية الأولياء ج٦ ص ١٥٥ رقم ٣٥٦): كان عابدا، زاهدا، وواعظا من المحاذر زائدا، وللقاصد المبادر رائدا.

وقال عنه الذهبي فى (سير أعلام النبلاء ج٧ ص ١٧٨ رقم ٥٩): (الزاهد، القدوة، شيخ العبادة).

الفصل الثالث

موقفهم من التصوف والصوفية

وكذلك لم يختلف العلماء و الشيخ ابن تيمية وتلاميذته حول نظرتهم للتصوف ،كاختلاف مشائخ الوهابية في نظرتهم إليه ، بيد أن هذا الموقف من التصوف لا يمثل إجماع مشائخ الوهابية ولا توافقهم، بل هم مختلفون في ذلك ، وممن لم يعتبر جميع المتصوفة من المبتدعة شيخهم ابن تيمية ، وقد ذهب إلى أن منشأ التصوف إنما كان في البصرة في أصحاب الحسن البصري الذي هو من كبار الفقهاء ، حيث يقول فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ١٦): (... وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما كان له فيه اجتهاد) .

وبعد ذكر الاختلاف في أمر التصوف والمتصوفة قال فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص١٨):(والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطيء فيتوب أو لا يتوب.

إلى أن قال فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ١٨): (وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا، فإن أكثر مشائخ التصوف

أنكروه، وأخرجوه عن الطريق، مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره) .

بل إن ابن تيمية يعتبر بعض علماء التصوف الكبار من العلماء الذين لا كلام في مقامهم ومكانتهم عند المسلمين، حيث يقول عن بعضهم فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٣٩): شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري.

اقول : فالحاصل من كلام الشيخ ابن تيمية أن التصوف منهج اجتهادي نشأ في مدرسة أوساط لتابعين ، وأن في الصوفية جماعة من الصالحين والمجتهدين في طاعة الله عز وجل وأن أهل الشطح والبدع المنتسبين إليهم قد تبرأ منهم أهل التحقيق من الصوفية، بل يقول في شأن الزهاد الذين كانوا منشأ التصوف حسب وجهة نظره في البصرة فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ١٧):

فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا، كل بحسب الطريق الذي سلكه في طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده، وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم، فهم من أكمل صديقي زمانهم، والصديق في العصر الأول أكمل منهم ... الخ).

ولنذكر ما قاله الفقيه الأصولي الزي يكثر منه ويستكثر به الوهابية او جماعة أنصار السنة المحمدية وهو: الإمام أبو اسحق الشاطبي في أكثر كتبه رواجا عندهم: كتاب (الاعتصام).

قال الإمام أبو اسحق الشاطبي في كتابه الاعتصام الذي صنفه لبيان الفرق بين السنة والبدعة وضوابط كل منهما يقول فى (الاعتصام ج١ ص ٦٧ –٧٦):(...فصل الوجه الرابع من النقل ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر وإن كان فيما تقدم من النقل كفاية لأن كثيرا من الجهال يعتقدون فيهم أنهم متساهلون في الاتباع وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها حتى زعم مذكرهم وحافظ مأخذهم وعمود نحلتهم (أبو القاسم القشيري) أنهم إنما اختصوا باسم التصوف انفرادا به عن أهل البدع فذكر أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم باسم علم سوى الصحبة إذ لا فضيلة فوقها ثم سمي من يليهم التابعين ورأوا هذا الاسم أشرف الأسماء ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن له شدة عناية من الدين الزهاد والعباد قال : ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن الغفلة باسم

التصوف هذا معنى كلامه فقد عد هذا اللقب مخصوصا باتباع السنة ومباينة البدعة وفي ذلك ما يدل على خلاف ما يعتقده الجهال ومن لا عبرة به من المدعين للعلم

وفي غرضي إن فسح الله في المدة وأعانني بفضله ويسر لي الأسباب أن ألخص في طريقة القوم نموذجا يستدل به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى وأنه إنما داخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي ولا فهم لمقاصد أهلها ؟ وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به حتى صارت في هذا الزمان الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم وأعظم من ذلك أنهم يتساهلون في اتباع السنة ويرون اختراع العبادات طريقا للتعبد صحيحا وطريقة القوم بريئة من هذا الخباط بحمد الله

فقد قال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة

وقيل ل إبراهيم بن أدهم : إن الله يقول في كتابه { ادعوني أستجب لكم } ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا ! فقال : ماتت قلوبكم في عشرة أشياء أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني : قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به والثالث : ادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والرابع : ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه والخامس : قلتم نحب الجنة وما تعملون لها إلى آخر الحكاية وقال

ذو النون المصري : من علامة حب الله متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته

وقال : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء الأول : ضعف النية بعمل الآخرة والثاني : صارت أبدانهم مهيئة لشهواتهم والثالث : غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل والرابع : آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله والخامس : اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم والسادس : جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم وقال لرجل أوصاه : ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك أحكام ما افترض الله عليك واتقاء ما نهاك عنه فإن ما تعبدك الله به خير لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي تجب عليك وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك وإنما للعبد أن يراعي أبدا ما وجب عليه من فرض يحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهي عنه فيتقيه على أحكام ما ينغبي فإن الذي قطع العباد عن ربهم وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان وأن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وايديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البر إدخالا تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم الله من حسن معونته وفوائد كرامته ولكن أكثر القراء والنساك

حقروا محقرات الذنوب وتهانوا بالقليل مما هم فيه من العيوب فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل

وقال بشر الحافي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا بشر ! تدري لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله قال : لاتباعك سنتي وحرمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار وقال يحيى بن معاذ الرازي : اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول فلكل واحد منها ضد فمن سقط عنه وقع في ضده : التوحيد وضده الشرك والسنة وضدها البدعة والطاعة وضدها المعصية وقال أبو بكر الدقاق وكان من أقران الجنيد : كنت مارا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر

وقال أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني : من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه وموافقة السنة في أفعاله وصحبته لأهل الصلاح وحسن أخلاقه مع الإخوان وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين ومراعاته لأوقاته وسئل كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : الطرق إلى الله كثيرة وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية لأن الله يقول : { وإن تطيعوه تهتدوا } فقيل له : كيف الطريق إلى السنة ؟ فقال : مجانية البدع واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ولزوم

طريقة الاقتداء وبذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم }وقال أبو بكر الترمذي : لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة وإنما أخذوا ذلك باتباع السنة ومجانية البدعة فإن محمد صلى الله عليه وسلم كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى وقال أبو الحسن الوراق : لا يصل العبد إلى الله إلا بالله وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم في شرائعه ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث أنه مهتد وقال : الصدق استقامة الطريق في الدين واتباع السنة في الشرع وقال : علامة محبة الله متابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم

ومثله عن إبراهيم القمار قال : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه وقال أبو محمد بن عبد الوهاب الثقفي : لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابا ومن صوابها إلا ما كان خالصا ومن خالصها إلا ما وافق السنة و إبراهيم بن شيبان القرميسيني صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخواص وكان شديدا على أهل البدع متمسكا بالكتاب والسنة لازما لطريق المشايخ والأئمة حتى قال فيه عبد الله بن منازل : إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات وقال أبو بكر بن سعدان وهو من أصحاب الجنيد وغيره : الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات وقال أبو عمر الزجاجي وهو من أصحاب الجنيد و الثوري وغيرهما : كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم فجاء النبي صلى الله

عليه وسلم فردهم إلى الشريعة والاتباع فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع ويستقبح ما يستقبحه وقيل لإسماعيل بن محمد السلمي جد أبي عبد الرحمن السلمي ولقي الجنيد وغيره : ما الذي لا بد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ودوام المراقبة

وقال أبو عثمان المغربي التونسي : هي الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها قال الله تعالى : { ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه }وقال أبو يزيد البسطامي : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لشقيت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد ومتابعة العلم هي متابعة السنة لا غيرها

وروي عنه أنه قال : قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية . كان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد . قال الرواي : فمضينا فلما خرج من نبيه ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟

وهذا أصل أصله أبو يزيد رحمه الله للقوم : وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة وإن كان ذلك جهلا منه فما ظنك به إذا كان عاملا بالبدعة كفاحا ؟

وقال : هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت : كيف يجوز أن أسأل الله هذا ؟ ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أسأله ؟ ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أم حائط

وقال : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة

وقال سهل التستري : كل فعل يفعله العبد بالاقتداء : طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس . يعني باتباع الهوى . وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء فهو عتاب على النفس . يعني لأنه لا هوى له فيه . واتباع الهوى هو المذموم ومقصود القوم تركه البتة

وقال : أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق وقال : قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث : ملازمة التوبة ومتابعة السنة وترك أذى الخلق وسئل عن الفتوة فقال : اتباع السنة

وقال أبو سليمان الداراني : ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين . الكتاب والسنة

وقال أحمد بن أبي الحواري : من عمل عملا بلا اتباع سنة فباطل عمله

وقال أبو حفص الحداد : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال وسئل عن البدعة فقال : التعدي في الأحكام والتهاون في السنن واتباع الآراء والأهواء وترك الاتباع والاقتداء قال : وما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أمر صحيح

وسئل حمدون القصار : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله في عمله أو خاف هلاك إنسان في بدعة يرجو أن ينجيه الله منها

وقال : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال

وهذه ـ والله أعلم ـ إشارة إلى المثابرة على الاقتداء بهم فإنهم أهل السنة

وقال أبو القاسم الجنيد لرجل ذكر المعرفة وقال : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال عن الله تعالى وإليه يرجعون فيها قال : ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها

وقال : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة

وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال : هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو عثمان الجبري : الصحبة مع الله تعالى بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة إلى آخر ما قال

ولما تغير عليه الحال مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه وقال خلاف السنة يا بني في

الظاهر علامة رياء في الباطن

وقال : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى : { وإن تطيعوه تهتدوا }

قال أبو الحسين النوري : من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه

وقال محمد بن الفضل البلخي : ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون ويمنعون الناس من التعلم

هذا ما قال وهو وصف صوفيتنا اليوم عياذا بالله

وقال : أعرفهم بالله أشدهم مجاهدة في أوامره وأتبعهم لسنة نبيه

وقال شاة الكرماني : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشبهات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسه

وقال أبو سعيد الحراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل

وقال أبو العباس بن عطاء وهو من أقران الجنيد : من ألزم نفسه آداب الله نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه

وقال أيضا : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن أوامره وغفلته عن آداب معاملته

وقال إبراهيم الخواص : ليس العالم بكثرة الرواية وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم

وسئل عن العافية فقال : العافية أربعة أشياء دين بلا بدعة وعمل بلا آفة وقلب بلا شغل ونفس بلا شهوة

وقال : الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة

وقال بنان الحمال . وسئل عن أصل أحوال الصوفية فقال : الثقة بالمضمون والقيام بالأوامر ومراعاة السر والتخلي من الكونين

وقال أبو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله

وقال أبو إسحاق الرقاشي : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه اهـ
ودليله قوله تعالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله }
وقال ممشاذ الدينوري : آداب المريد في التزام حرمات المشايخ وحرمة الإخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه
وسئل أبو علي الروزباري عمن يسمع الملاهي ويقول : هي لي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال فقال : نعم قد وصل ولكن إلى سقر
وقال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن ولم يبتل بتضييع السنن أحد إلا يوشك أن يبتلي بالبدع
وقال أبو يعقوب النهرجوري : أفضل الأحوال ما قارن العلم
وقال أبو عمرو بن نجيد : كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه
وقال بندار بن الحسين : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق
وقال أبو بكر الطمستاني : الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب

وقال أبو القاسم النصراباذي : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة . وترك البدع والأهواء وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات

وكلامهم في هذا الباب يطول وقد نقلنا عن جملة ممن اشتهر منهم ينيف على الأربعين شيخا جميعهم يشير أو يصرح بأن الابتداع ضلال . والسلوك عليه تيه واستعماله رمي في عماية وأنه مناف لطلب النجاة وصاحبه غير محفوظ وموكول إلى نفسه ومطرود عن نيل الحكمة وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجموعون على تعظيم الشريعة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آدابها أبعد الناس عن البدع وأهلها ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرق من الفرق الضالة ولا من يميل إلى خلاف السنة وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدثون وممن يؤخذ عنه الدين أصولا وفروعا ومن لم يكن كذلك فلا بد من أن يكون فقهيا في دينه بمقدار كفايته وهم كانوا أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم بل يأتي ببدع محدثات وأهواء متبعات وينسبها إليهم تأويلا عليهم من قول محتمل أو فعل من قضايا الأحوال أو استمساكا بمصلحة شهد الشرع بإلغائها أو ما أشبه ذلك فكثيرا ما ترى المتأخرين ممن يتشبه بهم يرتكب من الأعمال ما أجمع الناس على فساده شرعا ويحتج بحكايات هي قضايا أحوال إن صحت لم يكن فيها حجة لوجوه عدة ويترك من

كلامهم وأحوالهم ما هو واضح في الحق الصريح والاتباع الصحيح شأن من اتبع من الأدلة الشرعية ما تشابه بهاولما كان أهل التصرف في طريقهم بالنسبة إلى إجماعهم على أمر كسائر أهل العلوم في علومهم أتيت من كلامهم بما يقوم منه دليل على مدعي السنة وذم البدعة في طريقتهم حتى يكون دليلا لنا من جهتهم على أهل البدع عموما وعلى المدعين في طريقهم خصوصا وبالله التوفيق) انتهي .

ويقول في موضع آخر من كتاب الاعتصام (ج١ ص ٢٠٧):(وأما الكلام في دقائق التصوف فليس ببدعة بإطلاق، ولا هو مما صح الدليل بإطلاق، بل الأمر ينقسم).

والامام ابن خلدون، يقول في مقدمته ص ٤٢٦ :(فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة).

إلى أن قال: فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والإنفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم ... الخ).

وقد صنف كتابا مستقلا يشرح فيه حقيقة التصوف ويدافع عنه سماه شفاء السائل وتهذيب المسائل، وبين فيه أن التصوف اهتمامه بباطن الشريعة في مقابل أن جملة من العلوم الإسلامية كالفقه دورها هو البحث في ظاهر الشريعة (١)، وقال في مقام الاستدلال على أهمية البحث في باطن الشريعة والاهتمام بها (٢): ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم لما شرح الله صدورهم للإسلام، وقبلوا من الهداية ما كانوا

فيه على بينة من ربهم صرفوا الاهتمام إلى أعمال الباطن أكثر من أعمال الظاهر، فكانوا يراعون أنفاسهم، ويراقبون خطراتهم، ويحذرون غوائل قلوبهم ...)

إلى أن قال: فانفرد خواص السنة المحافظين على أعمال القلوب المقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة، وسموا بالمتصوفة. (٣)

إلى أن قال: ولما تميزت هذه الطائفة بما تميزت به من النظر في أفعال القلوب والاهتمام بها وتقديمها على أفعال الجوارح في الشرعيات والعاديات كما قال الجنيد رضي الله عنه: إذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب، فاخصوا بهذا الاسم لقبا لهم وعلما عليهم. (٤)

(١) شفاء السائل لابن خلدون ص ٣٧ ط. دار الفكر المعاصر / بيروت – دار الفكر / دمشق سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. ...

(٤) شفاء السائل ص ٥٠. ... (٣) شفاء السائل ص ٤٣. ... (٢) شفاء السائل ص ٤٠.

ويقول أبو الحسنات اللكنوي أثناء حديثه عن الإفراط والتعنت في الجرح :(ومن ذلك جرح الذهبي في ميزانه وسير أعلام النبلاء وغيرهما من تأليفاته في كثير من الصوفية وأولياء الأمة، فلا تغتر به، ما لم تجده عند متوسطي الأجلة ومنصفي الأئمة موافقا له، وذلك لما

علم من عادة الذهبي بسبب تقشفه وغاية ورعه واحتياطه وتجرده عن أشعة أنوار التصوف والعلم الوهبي الطعن على أكابر الصوفية الصافية، وضيق الطعن في مدح هذه الطائفة الناجية كما لا يخفى على من طالع كتبه)(١).

ولكن الصحيح خلافا لما قاله أن الذهبي كان يعظم علماء الصوفية ويذم من لديهم الشطح في نظره وقد تقدم مدحه لجماعة من أعلامهم، ولذا قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقام الرد عليه: والذي أدين الله به أن الحافظ الذهبي إمام من كبار أئمة العلم في الإسلام، وأنه صالح تقي ورِع، وليس بالمعصوم، ويحب الصوفية الصالحين الأتقياء جدا، ويحسن الظن بهم، ويأمر بتحسين الظن بهم، وذلك عنوان دينه وورعه وتقواه وحبه لهم، ولكنه يحذر ويحذر من شطحاتهم ومخالفاتهم ... الخ (٢)

(١) (الرفع والتكميل ص ٣١٠ .

(٢) الرافع والتكميل ص ٣١١، راجع الهامش.

إلى أن قال (١): ومن شواهد حبه للصوفية الصالحين ودلائل تعلقه بمحبة أوليائه الصالحين أنك تراه في كتبه ومؤلفاته تنشرح نفسه عند ذكرهم، وينبسط لسانه وقلمه بالثناء عليهم، ويطيل نفسه بالمدح لهم والاسترواح بالحديث عنهم، ويطيل تراجمهم، ويتعرض لذكر كراماتهم والرؤى الصالحة لهم، وكتبه المطولة طافحة بذلك جدا.

وكلمات العلماء في الدفاع عن التصوف كثيرة، وكذا كلماتهم في مدح الصوفية ، ويكفي أن عددا كبيرا من علماء التصوف هم من كبار علماء السنة في الحديث والفقه أو غير ذلك من العلوم منهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ،حيث يقول بشأن الصوفية في رسالته المعروفة بالرسالة القشيرية ص ٣٦: لقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على كافة عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، صفاهم من أكدار البشرية، ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية،وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية ... الخ.

وبالجملة فنسبة ذم التصوف من الوهابية أمر في غير محله، بل يختلف في ذلك علماء الوهابية ، وقد قبله جماعة من كبار فقهائهم ومحدثيهم المعتمدين لديهم، بل الأمر أكثر من ذلك، فإن عدة من كبار أئمة التصوف ومؤسسيه وأركانه الذين شيدوا بنيانه من كبار فقهاء اهل السنةوالجماعة وأئمتهم، ومن الذين أجمعوا على وثاقتهم وجلالتهم، ولم يترددوا في الحكم عليهم بالثناء والمدح والاعتماد عليهم وتزكيتهم في العلم والعمل.

(١) الرفع والتكميل ص ٣١١، راجع الهامش. ...

الفصل الرابع

موقفهم من شطحات الصوفية

أصل وجود الشطح في كلام الصوفية مما لا خلاف فيه ، ولاشك أن بعض الصوفية لديهم جملة من الشطحات التي أنكر عليهم فيها بعض العلماء على اختلاف مذاهبهم، ولكن لم يستوعبوا كلامهم على حقيقته كما دافع عنهم الشيخ ابن تيمية وتلامذتة وغيرهم ، ولنذكر نماذج على ذلك:

١- الشيخ ابن تيمية:-

ابن تيمية يقول ان للصوفية الفاظ ومصطلحات لايعرفها غيرهم

قال في مجموع الفتاوى "جزء ٥ - صفحة ٧٩":"وأعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات واشارات تجرى فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسيء وحسير " اه

وقال في "مجموع الفتاوى /ص٣٣٧":(وفي كلام أهل التصوف عبارات موهمة في ظاهرها بل وموحشة أحيانا، ولكن تحتمل وجها صحيحا يمكن حملها عليه فمن الإنصاف أن تحمل على الوجه الصحيح كالفناء، والشهود، والكشف ، ونحو ذلك).

أقوال الشيخ ابن تيمية في الصوفية، وهو يشرح بعين الإنصاف الفناء و الأحوال والمقامات التي تمر بهم :

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي "جزء ١٠ – صفحة ٢١٩":"فان الفناء ثلاثة انواع نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ونوع للقاصدين من الاولياء والصالحين ونوع للمنافقين الملحدين الخمشهبين فاما الأول فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله بحيث لا يحب الا الله ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يطلب غيره وهو المعنى الذى يجب ان يقصد بقول الشيخ ابى يزيد حيث قال اريد ان لا اريد الا ما يريد اى المراد المحبوب المرضى وهو المراد بالارادة الدينية وكمال العبد ان لا يريد ولا يحب ولا يرضى الا ما اراده الله ورضيه واحبه وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ولا يحب الا ما يحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين وهذا معنى قولهم فى قوله الا من أتى الله بقلب سليم قالوا هو السليم مما سوى الله او مما سوى عبادة الله او مما سوى ارادة الله او مما سوى محبة الله فالمعنى واحد وهذا المعنى أن سمى فناء او لم يسم هو اول الاسلام وآخره وباطن الدين وظاهره .

" اما النوع الثاني فهو الفناء عن شهود السوى وهذا يحصل لكثير من السالكين فانهم لفرط انجذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن ان تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون كما قيل فى قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها قالوا فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر من الأمور إما حب وإما خوف واما رجاء يبقى قلبه منصرفا عن كل شئ الا عما

قد احبه او خافه او طلبه بحيث يكون عند استغراقه فى ذلك لا يشعر بغيره فإذا قوى على صاحب الفناء هذا فانه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهى المخلوقات المعبدة ممن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤها فى شهود العبد وذكره وفناؤه عن ان يدركها او يشهدها" اهـ .

وقال ايضا فى مجموع فتاوي ابن تيمية – فصل "الفناء""ج١٦ ص٤٠٢":"وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فني بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وبمذكور عن ذكره، وبمعروفه عن عرفانه. كما يحكون أن رجلا كان مستغرقا في محبة آخر، فوقع المحبوب في اليم فألقى الآخر نفسه خلفه، فقال ما الذي أوقعك خلفي؟

فقال: غبت بك عني فظننت إنك أني.

وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان، كما يحصل بسكر الخمر، وسكر عشيق الصور. وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء، كما يحصل بحاله حب فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق ويصدر منه قول أو عمل من جنس أمور السكارى وهي شطحات بعض المشائخ:

كقول بعضهم: انصب خيمتي على جهنم، ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة للشرع؛ وقد يكون صاحبها غير مأثوم، وأن لم يكن

فيشبه هذا الباب أمر خفراء العدو من يعين كافرا أو ظالما بحاله ويعلم أنه مغلوب عليه. ويحكم "على/ هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمرا محرما."" اهـ.

وقال فى مجموع الفتاوي الجزء"٢/٣٩٦"قال: "قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع منا لحلول والاتحاد .. لماورد عليه ماغيب عقله أولإناه عما سوى محبوبه، ولم يكن ذلك بذنب منه كان معذورا غير معاقب عليه مادام غيرعاقل... وهذا كما يحكى : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر فوقع المحبوب في اليم ، فألقى الآخر نفسه خلفه فقال: أناوقعت، فما الذي أوقعك ؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني.

فهذه الحال تعتري كثير امن أهل المحبة والإرادة في جانب الحق، وفي غيرجانبه... فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه ، وبمذكوره عن ذكره... فلا يشعر حينئذ بالتميز ولابوجوده ، فقد يقول في هذه الحال : أنا الحق أوسبحاني أومافي الجبة إلا الله ونحوذلك ...)اهـ.

وقال ابن تيمية من كتابه"ص٣٣٧":" وفي هذا الفناء قد يقول : انا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجنة إلا الله ، إذا فنى بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر

وسكر عشق الصور . ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة ، بخلاف ماإذا كان سبب زوال العقل أمرا محرما . وكما أنه لاجناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة ، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة".

وكذلك قال ايضا في كتابه الأستقامة "٢/١٤٩":"ولهذا غلب على كلام العباد الصوفية اهل الارادة والعمل اسم الذوق والسرور والنعمة فالشهوة والارادة والمحبة والطلب ونحو ذلك من الاسماء.......الى ان قال :- ولهذا كان ائمة الهدى ممن يتكلم في العلم والكلام او في العمل والهدى والتصوف يوصون باتباع الكتاب والسنة وينهون عما خرج عن ذلك كما امرهم الله والرسول وكلامهم في ذلك كثير منتشر مثل قول سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل" اهـ .

والشيخ ابن تيميه يعترف بالدس فى كتب الصوفيه:-

قال ابن تيميه في مجموع فتاوى ابن تيمية قسم التصوف "ج١١. ص٧٤.٧٥":(ليس أحد من أهل المعرفة بالله، يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولااتحاده به،"وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون

من الاتحادية المباحية، الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية).

والشيخ ابن تيمية يبرئ الصوفية عن عقيدة الحلول وينسبها لمن تشبه بهم وليس هو منهم

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١٥ – صفحة٤٢٧ ":" ثم الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم لسان صدق فى الأمة لم يكونوا يستحسنون مثل هذا بل ينهون عنه ولهم فى الكلام فى ذم صحبة الأحداث وفى الرد على أهل الحلول وبيان مباينة الخالق مالا يتسع هذا الموضع لذكره وإنما يستحسنه من تشبه بهم ممن هو عاص أو فاسق أو كافر فيتظاهر بدعوى الولاية لله وتحقيق الإيمان والعرفان وهو من شر أهل العداوة لله وأهل النفاق والبهتان والله تعالى يجمع لأوليائه المتقين خير الدنيا والآخرة ويجعل لأعدائه الصفقة الخسرة والله سبحانه وتعالى أعلم" ا

والشيخ ابن تيمية يبرئ الصوفية عن الكفر:–

يقول في مجموع الفتاوى "جزء ٣٥ – صفحة ١٠١":"على ذلك لم يكفر احد منهم باتفاق المسلمين فان هؤلاء يقولون إنهم معصومون من الاقرار على ذلك ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والتفسير والصوفية الذين ليسوا كفارا باتفاق المسلمين".

وقال الشيخ ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٣٣٩/١٠) وهو يشرح معنى : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب قال:
(وفى هذا الفناء قد يقول: أنا الحق أو سبحانى أو ما فى الجبة إلا الله إذا فنى بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه كما يحكون أن رجلا كان مستغرقا فى محبة آخر فوقع المحبوب فى اليم فألقى الآخر نفسه خلفه فقال: ما الذى أوقعك خلفى فقال: غبت بك عنى فظننت أنك أنى وفى مثل هذا المقام يقع السكر الذى يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء كما يحصل بحال حب فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق ويصدر منه قول أو عمل من جنس أمور السكارى وهى شطحات بعض المشايخ كقول بعضهم : أنصب خيمتى على جهنم ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة للشرع وقد يكون صاحبها غير مأثوم وإن لم يكن فيشبه هذا الباب أمر خفراء العدو ومن يعين كافرا أو ظالما بمال ويزعم أنه مغلوب عليه ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمرا محرما).
وقال أيضا مجموع الفتاوى (٣٤٨/١٠) :(الأحوال التى ترد على العباد وأهل المعرفة والزهاد ونحوهم مما توجب زوال عقل أحدهم

وعلمه حتى تجعله كالمجنون والموله والسكران والنائم أو زوال قدرته حتى تجعله كالعاجز أو تجعله كالمضطر الذى يصدر عنه القول والفعل بغير إرادته وإختياره فإن زوال العقل والقدرة قد يوجب عجزه عن أداء الواجبات وقد يوجب وقوعه فى محرمات .

فهؤلاء يقال فيهم : إن كان زوال ذلك بسبب غير محرم فلا حرج عليهم فيما يتركونه من الواجبات ويفعلونه من المحرمات ولا يجوز أيضا إتباعهم فيما هو خارج عن الشريعة من أقوالهم وأفعالهم ولا نذمهم على ذلك بل قد يمدحون على ما وافقوا فيه الشريعة من الأقوال والأعمال ويرفع عنهم اللوم فيما عذرهم الشارع كما يقال فى المجتهد المخطىء سواء بل المجتهد المخطىء نوع من هذا الجنس حيث سقط عنه اللوم لعجزه عن العلم وإن كان زوال ذلك بسبب المحرم استحقوا الذم والعقاب على ما يتركونه من واجب ويفعلونه من محرم).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ٥ – صفحة ٧٩":(وأعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات واشارات تجرى فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسىء وحسير) اه.

وقال ابن تيمية في من "مجموع الفتاوى /ص٣٣٧":(وفي كلام أهل التصوف عبارات موهمة في ظاهرها بل وموحشة أحيانا، ولكن تحتمل

وجها صحيحا يمكن حملها عليه فمن الإنصاف أن تحمل على الوجه الصحيح كالفناء، والشهود، والكشف ، ونحو ذلك)

أقوال الشيخ ابن تيمية في الصوفية، وهو يشرح بعين الإنصاف الفناء و الأحوال والمقامات التي تمر بهم :-

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوي "جزء ١٠ – صفحة ٢١٩"

"فان الفناء ثلاثة انواع نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ونوع للقاصدين من الاولياء والصالحين ونوع للمنافقين الملحدين الخمشهبين فاما الأول فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله بحيث لا يجب الا الله ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يطلب غيره وهو المعنى الذى يجب ان يقصد بقول الشيخ ابى يزيد حيث قال اريد ان لا اريد الا ما يريد اى المراد المحبوب المرضى وهو المراد بالارادة الدينية وكمال العبد ان لا يريد ولا يجب ولا يرضى الا ما اراده الله ورضيه واحبه وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ولا يجب الا ما يحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين وهذا معنى قولهم فى قوله الا من أتى الله بقلب سليم قالوا هو السليم مما سوى الله او مما سوى عبادة الله او مما سوى ارادة الله او مما سوى محبة الله فالمعنى واحد وهذا المعنى أن سمى فناء او لم يسم هو اول الاسلام وآخره وباطن الدين وظاهره .

" اما النوع الثاني فهو الفناء عن شهود السوى وهذا يحصل لكثير من السالكين فانهم لفرط انجذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته

وضعف قلوبهم عن ان تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون كما قيل فى قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها قالوا فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن فقمه أمر من الأمور إما حب وإما خوف واما رجاء يبقى قلبه منصرفا عن كل شئ الا عما قد احبه او خافه او طلبه بحيث يكون عند استغراقه فى ذلك لا يشعر بغيره فإذا قوى على صاحب الفناء هذا فانه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهى المخلوقات المعبدة ممن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤها فى شهود العبد وذكره وفناؤه عن ان يدركها او يشهدها" اهـ ..

كلام ابن تيمية من مجموع الفتاوي الجزء"٢/٣٩٦" قال: "قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوعٍ منا لحلول والاتحاد .. لماورد عليه ماغيب عقله أولإناه عما سوى محبوبه، ولم يكن ذلك بذنب منه كان معذورا غير معاقب عليه مادام غيرعاقل... وهذا كما يحكى : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر فوقع المحبوب في اليم ، فألقى الآخر نفسه خلفه فقال: أناوقعت، فما الذي أوقعك ؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني.

فهذه الحال تعتري كثير امن أهل المحبة والإرادة في جانب الحق، وفي غيرجانبه... فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه ، وبمذكوره

عن ذكره... فلا يشعر حينئذ بالتميز ولابوجوده ، فقد يقول في هذه الحال : أنا الحق أوسبحاني أومافي الجبة إلا الله ونحوذلك ... /اهـ.

وقال ابن تيمية من كتابه"ص٣٣٧":" وفي هذا الفناء قد يقول : انا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجنة إلا الله ، إذا فنى بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور . ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة ، بخلاف ماإذا كان سبب زوال العقل أمرا محرما . وكما أنه لاجناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة ، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة".

وقال ابن تيميه في مجموع فتاوى ابن تيمية قسم التصوف "ج١١ . ص٧٤.٧٥":(ليس أحد من أهل المعرفة بالله، يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولااتحاده به،"وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية، الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (جزء ١٥ – صفحة٤٢٧):(ثم الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم لسان صدق فى الأمة لم

يكونوا يستحسنون مثل هذا بل ينهون عنه ولهم فى الكلام فى ذم صحبة الأحداث وفى الرد على أهل الحلول وبيان مباينة الخالق مالا يتسع هذا الموضع لذكره وإنما يستحسنه من تشبه بهم ممن هو عاص أو فاسق أو كافر فيتظاهر بدعوى الولاية لله وتحقيق الإيمان والعرفان وهو من شر أهل العداوة لله وأهل النفاق والبهتان والله تعالى يجمع لأوليائه المتقين خير الدنيا والآخرة ويجعل لأعدائه الصفقة الخسرة والله سبحانه وتعالى أعلم) .

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ٣٥ – صفحة ١٠١":(على ذلك لم يكفر احد منهم باتفاق المسلمين فان هؤلاء يقولون إنهم معصومون من الاقرار على ذلك ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والتفسير والصوفية الذين ليسوا كفارا باتفاق المسلمين).

وقال ابن تيمية في كتابه ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)): من ص٣٣٣ إلى ص ٣٤٥ شارحا ما أشكل من ظواهر النصوص التي توهم الحلول والاتحاد ، يقول:((..يقول داود عليه السلام في مناجاته لربه : وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد ، ويبتهجون ، وتحل فيهم ويفتخرون . فأخبر أنه يحل في الصالحين المذكورين ، فعلم أن هذا لا اختصاص للمسيح به ، وليس المراد بهذا – باتفاقهم واتفاق المسلمين – أن ذات الله نفسه تتحد بالبشر ، ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد ، والماء واللبن ، ونحو ذلك مما يمثلون به

الاتحاد ، ، بل هذا يراد به حلول الإيمان به ومعرفته ، ومحبته وذكره وعبادته ، ونوره وهداه .

وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي ، كما قال تعالى :(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله).

وقال تعالى :(وهو الله في السماوات وفي الأرض).

وله المثل الأعلى في السماوات والأرض .

فهو سبحانه له المثل الأعلى في قلوب أهل السماوات وأهل الأرض .

ومن هذا الباب ما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال : يقول الله : أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحركت بي شفتاه ، فأخبر أن شفتيه تتحرك به أي باسمه ، وكذلك قوله في الحديث الصحيح :(عبدي مرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ ، فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده).

فقال : لوجدتني عنده ولم يقل : لوجدتني إياه ، وهو عنده أي في قلبه ، والذي في قلبه المثال العلمي .

وقال تعالى : عبدي جعت فلم تطعمني ، فيقول : وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا جاع ، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، ولم يقل لوجدتني قد أكلته .

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : من عادى لي

وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها .

وفي رواية : فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته .

وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام ، أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود ، وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك ، كأشباه النصارى .

والحديث حجة على الفريقين ، فإنه قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، فأثبت ثلاثة : وليا له ، وعدوا يعادي وليه ، وميز بين نفسه وبين وليه ، وعدو وليه ، فقال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، ولكن دل ذلك على أن وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ، ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي ، فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه ، بأنه معاد لله .

ثم قال تعالى :(وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ففرق بين العبد المتقرب ، والرب المتقرب إليه ، ثم قال : ولا يزال

عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فبين أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض).
ثم قال : فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة : هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره ، وهو كل شيء ، أو في كل شيء قبل التقرب وبعده ، وعند الخاص وأهل الحلول صار هو ، وهو كالنار والحديد والماء واللبن ، لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل .
ثم قال تعالى :فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، وعلى قول هؤلاء – الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي ، والرسول إنما قال : فبي ، ثم قال : ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، فجعل العبد سائلا مستعيذا ، والرب مسئولا مستعاذا به ، وهذا يناقض الاتحاد ، وقوله : فبي يسمع مثل قوله : ما تحركت بي شفتاه ، يريد به المثال العلمي .
وقول الله : فيكون الله في قلبه أي معرفته ومحبته وهداه وموالاته ، وهو المثل العلمي ، فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش ويمشي .

والمخلوق إذا أحب المخلوق أو عظمه أو أطاعه يعبر عنه بمثل هذا ، فيقول :

أنت في قلبي وفي فؤادي ، وما زلت بين عيني ، ومنه قول القائل :

مثالك في عيني* وذكرك في فمي *ومثواك في قلبي* فأين تغيب

وقول الآخر :

ومن عجبي أني أحن إليهم *** وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها *** ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء أن نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه ، ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتى يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد .

ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا أن ذات المعلوم المعقول يتحد بالعالم العاقل ، فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئا واحدا ، ولم يميزوا بين حلول مثال المعلوم ، وبين حلول ذاته ، وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة ، فيغيب الإنسان بمعبوده عن عبادته ، وبمحبوبه عن محبته ، وبمشهوده عن شهادته ، وبمعروفه عن معرفته ، فيفنى من لم يكن عن شهود العبد ، لا أنه نفسه يعدم ويفنى في من لم يزل في شهوده ، ومن هذا المقام إذا غلط قد يقول مثل ما يحكى عن أبي يزيد البسطامي : سبحاني ، أو ما في الجبة إلا الله ، وفي هذا تذكر حكاية ، وهو أن شخصا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في ماء ، فألقى المحب نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت فلم وقعت أنت ؟ فقال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني ،

فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقا في محبوبه ، لا يشهد قلبه غير ما في قلبه وغاب عن شهود نفسه وأفعاله ، فظن أنه هو نفس المحبوب ، وهذا أهون من أن يظن أن ذات المحبوب نفسه .

فهذا الظن لاتحاد الذات أو لحلولها ظن غالط وقع فيه كثير من الناس ، فالذين قالوا : إن المسيح أو غيره من البشر هو الله ، أو إن الله حال فيه قد يكون غلطهم من هذا الجنس ، لما سمعوا كلاما يقتضي أن الله في ذات الشخص ، وجعلوا فعل هذا فعل هذا ، ظنوا ذاك اتحاد الذات وحلولها .

وإنما المراد أن معرفة الله فيه ، واتحاد المأمور به والمنهي عنه والموالي والمعادي ، كقوله تعالى : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقوله : من يطع الرسول فقد أطاع الله .

وليس ذلك لأن الرسول هو الله ، ولا لأن نفسه حال في الرسول ، بل لأن الرسول يأمر بما أمر الله به ، وينهى عما ينهى الله عنه ، ويحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه الله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله .

فمن بايعه على السمع والطاعة ، فإنما بايع الله على السمع والطاعة ، ومن أطاعه فإنما أطاع الله .

وكذلك المسيح وسائر الرسل ؛ إنما يأمرون بما يأمر الله به ، وينهون عما ينهى الله عنه ويوالون أولياء الله ، ويعادون أعداء الله ، فمن

أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن صدقهم فقبل منهم ما أخبروا به ، فقد قبل عن الله ، ومن والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم وحاربهم فقد عادى الله وحارب الله ، ومن تصور هذه الأمور تبين له أن لفظ الحلول قد يعبر به عن معنى صحيح ، وقد يعبر به عن معنى فاسد .

وكذلك حلول كلامه في القلوب ، ولذلك كره أحمد بن حنبل الكلام في لفظ حلول القرآن في القلوب ، كما قد ذكر في غير هذا الموضع .

ومما يوضح هذا أن الشيء له وجود في نفسه هو ، وله وجود في المعلوم والأذهان ، ووجود في اللفظ واللسان ، ووجود في الخط والبيان ، ووجود عيني شخصي ، وعلمي ولفظي ، ورسمي ، وذلك كالشمس مثلا فلها تحقق في نفسها ، وهي الشمس التي في السماء ، ثم يتصور بالقلب الشمس ، ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس ، ويكتب بالقلم الشمس .

والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ ، وباللفظ مطابقة العلم ، وبالعلم مطابقة المعلوم ، فإذا رأى الإنسان في كتاب خط الشمس ، أو سمع قائلا يذكر قال : هذه الشمس قد جعلها الله سراجا وهاجا ، وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب ، فهو يشير إلى ما سمعه من اللفظ ورآه من الخط ، وليس مراده نفس اللفظ والخط ، فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب ، وإنما مراده ما يقصد بالخط واللفظ ويراد بهما ، وهو المدلول المطابق لهما ، وكذلك قد

يرى اسم الله مكتوبا في كتاب ، ومعه اسم صنم ، فيقول : آمنت بهذا ، وكفرت بهذا ، ومراده أنه مؤمن بالله كافر بالصنم ، فيشير إلى اسمه المكتوب ومراده المسمى بهذا الاسم ، وكذلك إذا سمع من يذكر أسماء الله الحسنى قال : هذا رب العالمين ، ومراده : المسمى بتلك الأسماء ، ومن هذا قول أنس بن مالك : كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

ومراده بهذه الأسماء الخط لهذا وهذا وهذا ، لا اللفظ ولا المسمى .

ومما يشبه هذا ما يرى في المرآة أو الماء ، مثل أن يرى الشمس أو غيرها في ماء أو مرآة ، فيشار إلى المرئي فيقال : هذا الشمس ، وهذا وجهي أو وجه فلان ، وليس مراده أن نفس الشمس أو وجهه أو وجه فلان حل في الماء أو المرآة ، ولكن لما كان المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه – ذكره ، ثم قد يقال : رآه رؤية مقيدة في الماء ، أو المرآة ، وقد يقال : رآه بواسطة الماء والمرآة ، وقد يقال : رأى مثاله وخياله المحاكي له ، ولكن المقصود بالرؤية هو نفسه ، ومثل هذا كثير .

ومعلوم أن ما في القلوب من المثال العلمي المطابق للمعلوم أقرب إليه من اللفظ ، واللفظ أقرب من الخط ، فإذا كان قد يشار إلى اللفظ والخط ، والمراد هو نفسه ، وإن لم يكن الخط واللفظ هو ذاته ، بل به ظهر وعرف ، فلأن يشار إلى ما في القلب ، ويراد به المعروف

الذي ظهر للقلب وتجلى للقلب ، وصار نوره في القلب – بطريق الأولى .

والعقلاء إنما تتوجه قلوبهم إلى المقصود المراد دون الوسائل ، ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم بها ، كما يقولون لمن يعرف علم غيره ، أو لمن يأمر بأمره ، ويخبر بخبره ، هذا فلان ، فإذا كان مطلوبهم علم عالم أو طاعة أمير ، فجاء نائبه القائم مقامه في ذلك ، قالوا : هذا فلان ، أي المطلوب منه هو مع هذا ، فالاتحاد المقصود بهما يعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر .

كما يقال : عكرمة هو ابن عباس ، وأبو يوسف هو أبو حنيفة ، ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح عليه السلام أنه قال : أنا وأبي واحد ، من رآني فقد رأى أبي .

وقوله تعالى فيما حكاه عن رسوله : عبدي مرضت فلم تعدني ، عبدي جعت فلم تطعمني ، ويشبهه قوله :

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله

فينبغي أن يعرف هذا النوع من الكلام ، فإنه تنحل به إشكالات كثيرة ، فإن هذا موجود في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين ، في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر .

، بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ، ويراد به معنى صحيح ، كما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد ، إذا كانا متفقين فيما

يحبان ويبغضان ، ويواليان ويعاديان ، فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان ، وبينهما اتحاد ، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر ، كاتحاد النار والحديد ، والماء واللبن ، أو النفس والبدن ، وكذلك لفظ الحلول ، والسكنى ، والتخلل وغير ذلك ، كما قيل :

قد تخللت مسلك الروح مني *** وبذا سمي الخليل خليلا

والمتخلل مسلك الروح منه هو محبته له وشعوره به ، ونحو ذلك ، لا نفس ذاته ، وكذلك قول الآخر :

ساكن في القلب يعمره *** لست أنساه فأذكره

والساكن في القلب هو مثاله العلمي ومحبته ومعرفته ، فتسكن في القلب معرفته ومحبته لا عين ذاته ، وكذلك قول الآخر :

إذا سكن الغدير على صفاء *** وجنب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء *** كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي *** يرى في صفوها الله العظيم

وقد يقال : فلان ما في قلبه إلا الله ، وما عنده إلا الله ، يراد بذلك : إلا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته ، وما يشبه ذلك ، أي ليس في قلبه ما في قلب غيره من المخلوقين ، بل ما في قلبه إلا الله وحده ، ويقال : فلان ما عنده إلا فلان ، إذا كان يلهج بذكره ، ويفضله على غيره .

وهذا باب واسع ، مع علم المتكلم والمستمع أن ذات فلان لم تحل في هذا ، فضلا عن أن تتحد به ، وهو كما يقال عن المرآة إذا لم تقابل إلا الشمس : ما فيها إلا الشمس ، أي لم يظهر فيها غير الشمس .

وأيضا فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة ، وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة كما تقدم ذكره ، وعندهم في النبوات أن الله حل في غير المسيح من الصالحين ، وليس المراد به أن ذات الرب حلت فيه ، بل يقال فلان ساكن في قلبي وحال في قلبي وهو في سري ، وسويداء قلبي ، ونحو ذلك ، وإنما حل فيه مثاله العلمي ، وإذا كان كذلك فمعلوم أن المكان إذا خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله ولا حلت فيه عبادته ومعرفته ، فإذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره والإيمان به وحل فيه الإيمان بالله وعبادته وذكره ، وهو بيت الله عز وجل فيقال : إن الله فيه ، وهو حال فيه .

كما يقال : إن الله في قلوب العارفين ، وحال فيهم ، والمراد به حلول معرفته والإيمان به ومحبته ، ونحو ذلك ، وقد تقدم شواهد ذلك ، فإذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين ، أي نوره ومعرفته ، وعبر عن هذا بأنه حال فيهم وهم حالون في المسجد – قيل : إن الله في المسجد ، وحال فيه ، بهذا المعنى ، كما يقال : الله في قلب فلان وفلان ، ما عنده إلا الله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في

الحديث الصحيح : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده))).

وقال ما نصه: "والمعنى الذى يسمونه الفناء ينقسم ثلاثة أقسام: فناء عن عبادة السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن وجود السوى. فالأول: أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو تحقيق لا إله إلا الله فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله، ولا يبقى فى قلبه تأله لغير الله، وكل من كان أكمل فى هذا التوحيد كان أفضل عند الله". مجموع الفتاوى (٣٦٩/٢).

وقال ايضا : (هذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له، وهو الحنيفية ملة إبراهيم ويدخل فى هذا أن يفنى عن إتباع هواه بطاعة الله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يعطى إلا لله ولا يمنع إلا لله فهذا هو الفناء الدينى الشرعى الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه). مجموع الفتاوى (٣١٤/٢).

وقال ايضا:(والثاني: أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذى يسميه كثير من الصوفية حال الإصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك، وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله، وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه، فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المعبود لا إله إلا هو الذى أرسل الرسل، وأنزل الكتب وأمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله، فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقا وأمرا، كان أتم معرفة وشهودا وإيمانا وتحقيقا من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر، وشهود التفرقة فى الجمع والكثرة فى الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق، لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا، كان معذورا للعجز لا محمودا على النقص والجهل. والثالث: الفناء عن وجود السوى وهو قول الملاحدة أهل الوحدة، كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون: وجود الخالق هو وجود المخلوق، وماثم غير ولا سوى فى نفس الأمر، فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام". مجموع الفتاوى (٣٧٠/٢).

وقال ايضا :(وأما الثانى: وهو الفناء عن شهود السوى، فهذا هو الذى يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبى يزيد وأمثاله، وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن

ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكى أن رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه فى الماء، فألقى المحب نفسه خلفه فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات، إذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين، ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء فى توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر، وأحكام الربوبية عن شهود الشرع والأمر والنهى، وعبادة الله وحده وطاعة رسوله، فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا". مجموع الفتاوى (٢/٣١٣).

٢- الشيخ ابن القيم :-

ابن القيم يمتدح طريق التصوف و يحذر مخالفيهم من الفهم السقيم عنهم:-

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص٣٣٠" مانصه :

"فاعلم أن في لسان القوم "أي الصوفية" من الاستعارات واطلاق العام وإرادة الخاص ، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ماليس في لسان احد من الطوائف غيرهم ، ولهذا يقولون : "نحن أصحاب اشارة ولا أصحاب عبارة ، و"الاشارة لنا والعبارة لغيرنا".

وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد ويريدون بها معنى لافساد فيه . وصار هذا سببا لفتنة طائفتين : طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدعوهم وضللوهم .
وطائفة: نظروا الي مقاصدهم ومغذاهم فصبوا تلك العبارات وصححوا تلك الاشارات ، فطالب الحق يقبله ممن كان ويرد ماخالفه على من كان ".

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص١٥١":
"فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها ، فإنها أصل البلاء ، وهي مرد الصديق والزنديق ، فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ "اتصال ، وانفصال ، ومسامرة ، ومكالمة ، وأنه لاوجود في الحقيقة الا وجود الله ، وأن وجود الكائنات خيال ووهم ، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره "، فسمع منه مايملأ الاذان من حلول واتحاد وشطحات .
والعارفون من القوم أطلقوا هذه الالفاظ ونخوها ، وأرادوا بها معاني صحيحة في نفسها فغلط الغالطون في فهم ما ارادوه ونسبوهم الي الحادهم وكفرهم".

ابن القيم يتكلم عن فناء الصوفية:-
قال ابن القيم في المدارج "١٣٩/١":"والفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه :أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما لم يزل ثم تغيب

صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب شهوده أيضا فلا لايبقى له شهود ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات وحقيقته :أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل حتى قال : ...وليس مرادهم فناء وجود ماسوى الله في الخارِج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم/ اهـ .

ويقول ابن القيم في المدارج "١/١٥٥"

"ولكن في حالة السكر والإصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التميز ، وفي هذه الحال قد يقول صاحبها: ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: سبحاني أو ما في الجبة إلا الله ، ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا ، ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة".

وفي ص٣٩ نجد ابن القيم يجسد نظرة شيخه ابن تيمية فيقول:

"وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس : إحداهما حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لما حل من هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم مطلقا وهذا عدوان وإسراف... وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذر منها سادات القوم وذموا عاقبتها وتبرءوا منها".

ابن القيم العلم اللدني :–

يقول ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين "ج٢ ص٤٥٧":
"" فصل قال الدرجة الثالثة علم لدني إسناده وجوده وإدراكه عيانه ونعته حكمه ليس بينه وبين الغيب حجاب يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة بل بإلهام من الله وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى قال الله تعالى آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما الكهف ٦٥"".

يقول ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين "ج٢ ص٤٥٧":
"" و العلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله وكمال الانقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي"".

ابن القيم والمقامات والأحوال :-

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج١ ص ١٣٥":ولارباب السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها ، كل يصف منازل سيره وحال سلوكه ، ولهم اختلاف في بعض منازل السير : هل هي من قسم الاحوال ؟ والفريق بينهما : أن المقامات كسبية والاحوال وهبية .

ومنهم من يقول : الاحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الاعمال ، فكل من كان اصلح عملا كان اعلى مقاما وكل من كان اعلى مقاما كان اعظم حالا .

وقال العلامة ابن القيم فى مدارج السالكين (١٥٥/١) :(وأما الفناء عن شهود السوى: فهو الفناء الذى يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو الذى بنى عليه أبو إسماعيل الأنصارى كتابه : وجعله الدرجة الثالثة فى كل باب من أبوابه.

وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله بالخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم فحقيقته : غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده وقد يسمى حال مثل هذا سكرا واصطلاما ومحوا وجمعا وقد يفرقون بين معانى هذه الأسماء وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج بل يظن أنه هونفسه كما يحكى أن رجلا ألقى محبوبه نفسه فى الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له : ما الذى أوقعك فى الماء ؟ فقال:غبت بك عنى فظننت أنك أنى وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطا فى ذلك وأن الحقائق متميزة فى ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس فى مخلوقاته شيىء من ذاته ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته ولكن فى حال السكر والمحو والإصطلام والفناء: قد يغيب

عن هذا التمييز وفى هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبى يزيد أنه قال: "سبحانى " أو "ما فى الجبة إلا الله " ونحو ذلك من الكلمات التى لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة.

وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء.

فيحمد منه: فناءه عن حب ما سوى الله وعن خوفه ورجاءه والتوكل عليه والإستعانة به والإلتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهرا وباطنا كله لله.

وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ولا بين الرب والعبد – مع اعتقاده الفرق – ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى السوى ولا الغير: فهذا ليس بمحمود ولا هو وصف كمال ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه: أن يكون معذورا لعجزه وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان وإنزال كل ذى منزلة منزلته موافقة لداعى العلم ومقتضى الحكمة وشهود الحقائق على ماهى عليه والتمييز بين القديم والمحدث والعبادة والمعبود فينزل العبادة منازلها ويشهد مرابتها ويعطى كل مرتبة منها حقها من العبودية ويشهد قيامه بها فإن شهود العبد قيامه بالعبودية أكمل فى العبودية من غيبته عن ذلك فإن آداء العبودية فى حال غيبة العبد عنها وعن نفسه بمنزلة آداء السكران والنائم وآداؤها فى حال كمال يقظته وشعوره بتفاصيلها وقيامه بها أتم وأكمل وأقوى عبودية).

وقال أيضا فى مدارج السالكين (٣٩/٢):(وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس إحداهما : حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم مطلقا وهذا عدوان وإسراف فلو كان كل من أخطأ وغلط ترك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها .

والطائفة الثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحات ونقصانها فسحبوا عليها زيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها واستظهروا بها فى سلوكهم

وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذى حق حقه وأنزلوا كل ذي منزل منزلته فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح بل قبلوا ما يقبل وردوا ما يرد).

وقال أيضا فى مدارج السالكين(١٥١/٣) :(فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبه التى وقع إصطلاح القوم عليها فإنها أصل البلاء وهى مورد الصديق والزنديق فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ "اتصال وانفصال ومسامرة ومكالمة وأنه لا وجود فى الحقيقة إلا وجود الله وأن وجود الكائنات خيال ووهم وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره " فاسمع منه ما يملأ الآذان من حلول واتحاد وشطحات.

والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها وأرادوا بها معانى صحيحة فى أنفسها فغلط الغالطون فى فهم ما أرادوه ونسبوهم إلى إلحادهم وكفرهم).

ثم إن ابن القيم أعطى ذلك تأصيلا كما فعل شيخه ابن تيمية فقال فى مدارج السالكين (٣/ ٣٣٠):(فاعلم أن فى لسان القوم من الاستعارات واطلاق العام وإرادة الخاص وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس فى لسان أحد من الطوائف غيره ولهذا يقولون: نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة والإشارة لنا والعبارة لغيرنا وقد يطلقون العبارة التى يطلقها الملحد ويريدون بها معنى لا فساد فيه وصار هذا سببا لفتنة طائفتين: طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدعوهم وضللوهم وطائفة نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم فصوبوا تلك العبارات وصححوا تلك الإشارات فطالب الحق يقبله ممن كان ويرد ما خالفه على من كان).

وقال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص٣٣٠" مانصه :(فاعلم أن في لسان القوم "أي الصوفية" من الاستعارات واطلاق العام وإرادة الخاص ، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ماليس في لسان احد من الطوائف غيرهم ، ولهذا يقولون : "نحن أصحاب اشارة ولا أصحاب عبارة ، و"الاشارة لنا والعبارة لغيرنا).

وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد ويريدون بها معنى لافساد فيه . وصار هذا سببا لفتنة طائفتين : طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدعوهم وضللوهم .

وطائفة: نظروا الي مقاصدهم ومغذاهم فصبوا تلك العبارات وصححوا تلك الاشارات ، فطالب الحق يقبله ممن كان ويرد ماخالفه على من كان).

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص١٥١":(فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها ، فإنها أصل البلاء ، وهي مرد الصديق والزنديق ، فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ "اتصال ، وانفصال ، ومسامرة ، ومكالمة ، وأنه لاوجود في الحقيقة الا وجود الله ، وأن وجود الكائنات خيال ووهم ، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره "، فسمع منه مايملأ الاذان من حلول واتحاد وشطحات .

والعارفون من القوم أطلقوا هذه الالفاظ ونخوها ، وأرادوا بها معاني صحيحة في نفسها فغلط الغالطون في فهم ما ارادوه ونسبوهم الي الحادهم وكفرهم).

وقال ابن القيم في المدارج "١٣٩/١" (والفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه :أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما لم يزل ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب

شهوده أيضا فلا لايبقى له شهود ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات وحقيقته :أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل حتى قال : ...وليس مرادهم فناء وجود ماسوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم) اهـ .

ويقول ابن القيم في المدارج "١٥٥/١"(ولكن في حالة السكر والإصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التميز ، وفي هذه الحال قد يقول صاحبها: ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: سبحاني أو ما في الجبة إلا الله ، ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا ، ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة).

وفي ص٣٩ يقول:(وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس : إحداهما حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لما حل من هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم مطلقا وهذا عدوان وإسراف... وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذر منها سادات القوم وذموا عاقبتها وتبرءوامنها".

ويقول ابن القيم في شيخه ابن تيمية فى مدارج السالكين (٥٢٤/١) ما نصه:(ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمرا لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيرا : ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا).

الكائنات ليس لها من نفسها شيء. بل هي عدم محض ونفي صرف

قال ابن تيمية في الفتاوي ج ٢/ ص ٤٠٥ : "ونشهد أن كل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه، فإنه باطل، إلا وجهه الكريم، كما نشهد أنها كلها مفتقرة إليه في مبدئها... إلى أن قال: "الكائنات ليس لها من نفسها شيء. بل هي عدم محض ونفي صرف. وما بها من وجود فمنه وبه" .

وقال في شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، قال: "كل ما خلا الله فهو معدوم بنفسه، ليس له من نفسه وجود ولا حركة ولا عمل، ولا نفع لغيره منه. إذ ذلك جميعه خلق الله وإبداعه وبرؤه وتصويره. فكل الأشياء إذا تخلى عنها الله فهي باطل، يكفي في عدمها وبطلانها نفس تخليه عنه" مجموع الفتاوى ج٢/ص ٤٢٥ .

٣- الامام الحافظ الذهبي:-

أما الحافظ الذهبى فإنه ترجم لأبى يزيد البسطامى فى كتبه ترجمة مشرقة مونقة ودافع عنه والتمس له المعاذير.

قال فى (العبر فى خبر من غبر) (١/٣٧٥):(أبو يزيد البسطامى العارف الزاهد المشهور واسمه طيفور بن عيسى وكان يقول : لو نظرتم

إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الشريعة).

قال فى (سير أعلام النبلاء) (٨٦/١٣) :(أبو يزيد البسطامى سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامى أحد الزهاد أخو الزاهدين : آدم وعلى وكان جدهم شاروسان مجوسيا فأسلم يقال: أنه روى عن : إسماعيل السدى وجعفر الصادق أى: الجد وأبو يزيد فبالجهد أن يدرك أصحابها .

وقل ما روى وله كلام نافع منه قال: ما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرا ....

وقال: لله خلق كثير يمشون على الماء لا قيمة لهم عند الله ولو نظرتم إلى من أعطى من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهى وحفظ الحدود والشرع .

وله هكذا نكت مليحة وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها الشأن فى ثبوتها عنه أو أنه قالها فى حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو فيطوى ولا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد مثل : سبحانى وما فى الجبة إلا الله ما النار؟ لأستندن إليها غدا وأقول : إجعلنى فداء لأهلها وإلا بلعتها ما الجنة ؟ لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا ما المحدثون؟ إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب وقال فى اليهود : ما هؤلاء ؟ هبهم لى أى شيء هؤلاء حتى تعذبهم ؟

قال السلمى فى (تاريخ الصوفية) : توفى أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة وله كلام حسن فى المعاملات ثم قال: ويحكى عنه فى الشطح أشياء منها ما لا يصح أو يكون مقولا عليه وكان يرجع إلى أحوال سنية).

وقال فى كتاب (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) صفحة (١١٠) :(طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى الزاهد العارف من كبار مشايخ القوم وهو بكنيته أشهر وأعرف وله أخوان آدم وعلى كانا زاهدين عابدين وكان جدهم أبو عيسى آدم بن عيسى مجوسيا فأسلم ومن كلام أبى يزيد رحمه الله قال: ما وجدت شيء أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرا.

وقال : هذا من فرحى بك وأنا أخافك فكيف فرحى إذا أمنتك

وعنه قال : ليس العجب من حبى لك وأنا عبد فقير وإنما العجب من حبك لى وأنت ملك قدير.

وعنه وقيل له : إنك تمر فى الهواء قال : وأى أعجوبة هذا؟ طير يأكل الميتة يمر فى الهواء والمؤمن أشرف منه

وعنه قال : مادام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

وعنه قال : الجنة لا خطر لها عند المحبين هم محجوبون بمحبتهم.

وقال : ماذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة.

وعنه قال: اللهم لا تقطعنى بك عنك.

وعنه قال: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول .

وقيل له : علمنا الإسم الأعظم فقال : ليس له حد إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فارفع له أى اسم شئت.

وعنه قال : لله خلق كثير يمشون على الماء وليس لهم عند الله قيمة.

وكان يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ والحدود وآداء الشريعة

قلت : بل قد اغتر أهل زماننا وخالفوا أبا يزيد وأكبر من أبى يزيد وتهافتوا على كل مجنون بوال على عقبيه له شيطان ينطق على لسانه بالمغيبات نسأل الله السلامة

قيل: إن أبا يزيد توفى سنة إحدى وستين ومائتين وقد نقلوا عنه أشياء من متشابه القول الشأن فى صحتها عنه ولا تصح عن مسلم فضلا عن مثل أبى يزيد منها: سبحانى

ومنها : ما النار لأستندن إليها غدا وأقول : اجعلنى لأهلها فداءا ولا يلعنها وما الجنة لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا ما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب.

وقال فى يهود : هبهم لى ما هؤلاء حتى تعذبهم ؟!

وهذا الشطح إن صح عنه فقد يكون قاله فى حالة سكره وكذلك قوله عن نفسه : ما فى الجبة إلا الله.

وحاشا مسلم فاسق من قول هذا واعتقاده يا حى يا قيوم ثبتنا بالقول الثابت

وبعض العلماء يقول : هذا الكلام مقتضاه ضلالة ولكن له تفسير وتأويل يخالف ظاهره فالله أعلم

قال السلمى فى تاريخه : مات أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة وله كلام حسن فى المعاملات.

قال ويحكى عنه فى الشطح أشياء منها مالا يصح ويكون مقولا عليه وكان يرجع إلى أحوال سنية.

ثم ساق بسنده عن أبى يزيد قال : من لم ينظر إلى شاهدى بعين الإضطراب وإلى أوقاتى بعين الإغتراب وإلى أحوالى بعين الإستدراج وإلى كلامى بعين الإفتراء وإلى عباراتى بعين الإجتراء وإلى نفسى بعين الازدراء فقد أخطأ النظر في

وعن أبى يزيد قال : لو صفا لى تهليلة ما باليت بعدها.)

وبمثل هذه الكلمات ترجمه الحافظ الذهبى أيضا فى كتابه ميزان الإعتدال (٦٣٣/٣) ترقيم ٤٣٧٠ والحافظ بن حجر العسقلانى له زوائد وتعليقات على كلام الذهبى فى كتابه (لسان الميزان) ولكن لم يعلق على ما قاله الذهبى بشىء انظر (لسان الميزان) (٢٦٥/٣) ترقيم: ٤٣٤٣/٥١

وقال الامام السراج الطوسى ص (٤٧٣):(قصدت بسطام وسألت جماعة من أهل بيت أبى يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية:(يعنى أنه قال: سبحانى سبحانى " فأنكروا ذلك وقالوا لا نعرف شيئا من ذلك).

وفى مناقشة جرت بين السراج الطوسى وبين العلامة ابن سالم فى تكفير أبى يزيد البسطامى فى قول: سبحانى سبحانى – والطوسى معترف لابن سالم بجلالة القدر فى العلم ولكن يناقشة على أساس تلك المبادىء فيقول صفحة (٤٧٢ – ٤٧٤) :(سمعت ابن سالم يقول فى مجلسه يوما فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد رحمه الله لأن فرعون قال أنا ربكم الأعلى والرب يسمى به المخلوق فيقال فلان رب دار ورب مال ورب بيت وقال أبو يزيد رحمه الله سبحانى سبحانى وسبوح وسبحان اسم من أسماء الله تعالى الذى لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى فقلت له هذا الكلام هل صح عندك عن أبى يزيد رحمه الله وصح عندك أن اعتقاده فى ذلك كان كاعتقاد فرعون فى قوله أنا ربكم الأعلى ؟ فقال ابن سالم قد قال ذلك وحتى يصح عندى أنه أيش أراد بذلك يلزمه الكفرفقلت إذا لم يتهيأ لك أن تشهد عليه بما اعتقد عند قوله ذلك فبطل أن تكفره لأنه يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات فيقول يعقبه سبحانى سبحانى يحكى عن الله تعالى يقول سبحانى سبحانى لأنا لو سمعنا رجلا يقول {لا إله إلا أنا فاعبدون } ما كان يختلج فى قلوبنا شيىء غير أن نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه وكذلك لو سمعنا دائبا أبا يزيد رحمه الله أو غيره وهو يقول سبحانى سبحانى لم نشك بأنه يسبح الله تعالى ويصفه بما وصف به نفسه وإذا كان الأمر هكذا وعلى ما قلناه فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد والعبادة والعلم والمعرفة من أعظم

المحالات وقد قصدت بسطام وسألت جماعة من أهل بيت أبى يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك وقالوا لا نعرف شيئا من ذلك ولولا أنه شاع فى أفواه الناس ودونوه فى الكتب ما اشتغلت بذكر ذلك.

وسمعت ابن سالم أيضا وهو يحكى فى مجلسه عن أبى يزيد رحمه الله أنه قال ضربت خيمتى بإزاء العرش أو عند العرش وكان يقول هذه الكلمة كفر ولا يقول مثل هذا إلا كافر.

وكان يقول أيضا إن أبا يزيد رحمه الله اجتاز بمقبرة اليهود فقال معذورون ومر بمقبرة المسلمين فقال مغرورون.

ومع جلالة ابن سالم كان يسرف فى الطعن على أبى يزيد رحمه الله وكان يكفره من أجل أنه قال ذلك.

فقلت له عافاك الله إن علماء نواحينا يتبركون بتربة أبى يزيد رحمه الله إلى يومنا هذا ويحكون عن المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه وكانوا يتبركون بدعائه وهو عندهم من أجلة العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله ويذكرون أنه فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى حكى عنه جماعة أنهم رأوه قد ذكر الله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى ودوام تعظيمه لله عز وجل .

وكيف يجوز أن نعتقد فيه الكفر بحكاية تحكى عنه ولم نعرف إرادته فيما قال ولا نطلع على حاله فى الوقت الذى قال ؟! وهل يجوز لنا أن نحكم عليه فيما يبلغنا عنه إلا بعد أن يكون لنا حال مثل حاله ووقت

مثل وقته ووجد مثل وجده؟ أوليس قد قال الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم } .

فهذا كلام جرى بيني وبين ابن سالم في مجلسه في الحكايات التي حكاها عن أبي يزيد رحمه الله أو كلام هذا معناه أو قريب من معناه).

الفصل الخامس

موقفهم من اعلام التصوف

إن علوم الإسلام من تفسير وحديث وأصول وفقه وغيره كاد ألا يكون لها سند متصل بالمتخصصين فيها من الأكابر إلا من طريق المشيخة الصوفية تشهد بذلك الفهارس والأثبات والبرامج والمشيخات على اختلاف أنواعها ومايهم فى الامر موقف الشيخ ابن تيمية وتلامذتة من اعلام التصوف :-

١- ابن تيمية يزكي رجال التصوف ويثني عليهم

قال الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى "ج١٠. ص٥١٦ .٥١٧":(فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشائخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر "الجيلاني/، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء، أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحظور إلى أن يموت. وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم) اهـ.

وقال الشيخ ابن تيمية يصف الجنيد وعبد القدر الجيلاني بأنهم أئمة الصوفية في مجموع الفتاوى "ص٨/٣٦٩ ":(و أما أئمة الصوفية و

المشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد و أتباعه و مثل الشيخ عبد القادر و أمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للأمروالنهي و توصية بإتباع ذلك ، و تحذيرا من المشي مع القدر كما مشى أصاحبهم أولئك و هذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه ، والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على إتباع المأمور و ترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا، لاهو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين و يحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون إتباع الأمر و النهي) اهـ .

وقال ابن تيمية متحدثا عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني : في مجموع الفتاوي " ٣٠٣/٨":(قلت :"ولهذا يقول الشيخ عبد القادر – قدس الله روحه–كثير من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا لقدر لا موافقا له وهو – رضي الله عنه –كان يعظم الأمر والنهي ويوصي باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر) .

وقال الشيخ ابن تيميه في مجموع الفتاوى "ج١٠ – ص ٨٨٤": (والشيخ عبد القادر من أعظم شيوخ زمانه مأمرا بالتزام الشرع والأمر والنهى وتقديمه على الذوق، ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والاراده النفسية).

وقال ايضا فى مجموع فتاوي ابن تيمية "ج٥ ص٣٢١":(والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال. وكذلك غير الجنيد

من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك؛ وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله تعالى)اهـ.

وقال الشيخ ابن تيميه في كتابه " الفرقان ص٩٨" متحدثا عن الإمام الجنيدما انصه : (فان الجنيد قدس الله روحه من أئمة الهدى).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١٤ – صفحة ٣٥٥ ":

"فمن سلك مسلك الجنيد من أهل التصوف و المعرفة كان قد اهتدى و نجا و سعد"

الشيخ ابن تيمية يصف أعلام التصوف ورجاله " بمشايخ الاسلام وأئمة الهدى"

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي "ج٢ ص٤٥٢":"أنهم مشائخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة، مثل سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وإبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والشافعي، وأبي سليمان، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي، وعبد الله بن المبارك، وشقيق البلخي، ومن لا يحصى كثرة.

إلى مثل المتأخرين: مثل الجنيد بن محمد القواريري، وسهل بن عبد الله التستري، وعمر بن عثمان المكي، ومن بعدهم . إلى أبي طالب المكي إلى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عدي، والشيخ

أبي البيان، والشيخ أبي مدين، والشيخ عقيل، والشيخ أبي الوفاء، والشيخ رسلان، والشيخ عبد الرحيم، والشيخ عبد الله اليونيني، والشيخ القرشي، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق، ومصر والمغرب وخراسان، من الأولين والآخرين/." اهـ.

وقال ايضا "مجموع فتاوى ابن تيمية –كتاب السلوك – فصل في تزكية النفس":"وكذلك ما ذكره معلقا قال: قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال الجنيد: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء. فإن هذا من أحسن الكلام، وكان الجنيد ـ رضي الله عنه ـ سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليما وتأديبا وتقويما ـ وذلك أن هذه الكلمة كلمة استعانة؛ لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعا لا صبرا. فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها، إذ كانت حالا ينافي الرضا، ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه."/ اهـ.

الشيخ ابن تيمية يمتدح الذين صنفهم ابوعبد الرحمن السلمي بأنهم اولياء صالحين:–

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١٠ – صفحة٣٦٧–٣٦٨ ":"وكذلك ممن صنف فى التصوف و الزهد جعل الاصل ماورد عن متأخري الزهاد واعرض عن طريق الصحابة والتابعين كما فعل صاحب الرسالة ابو القاسم القشيري وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي وابن خميس الموصلي في مناقب الابرار وابو عبد الرحمن السلمى فى

تاريخ الصوفية لكن ابو عبد الرحمن صنف ايضا سير السلف من الاولياء والصالحين وسير الصالحين من السلف كما صنف فى سير الصالحين من الخلف ونحوهم من ذكرهم لاخبار اهل الزهد والاحوال من بعد القرون الثلاثة من عند ابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ومن بعدهم واعراضهم هم عن حال الصحابة والتابعين الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم والرضوان عنهم".

الشيخ ابن تيمية ينفي و يبرئ السيدة رابعة عن مانسب اليها:-

قال ابن تيمية عن السيدة رابعة العدوية - :"وأما ما ذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت : إنه الصنم المعبود في الأرض ، فهو كذب على رابعة ، ولو قال هذا من قاله لكان كافرا يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون ، ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه ، وكذلك ما نقل من قولها : و الله ما ولجه الله ولا خلا منه ، كلام باطل عليها". اهـ

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى "جزء ١١ - صفحة ٢٢ "

"فان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة لأنه لا حساب عليهم ثم الأغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته أرجح من حسنات فقير كانت درجته فى الجنة أعلى وان تأخر عنه فى الدخول ومن كانت حسناته دون حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد فى الفقراء اغلب صار الفقر فى اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد

وهو من جنس التصوف فإذا قيل هذا فيه فقر أو ما فيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفى من المعارف والأحوال والأخلاق والأدب ونحو ذلك

وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا أيما أفضل الفقير أو الصوفى فذهب طائفة إلى ترجيح الصوفى كأبى جعفر السهروردي ونحوه وذهب طائفة إلى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك وأكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق أن أفضلهما اتقاهما فان كان الصوفى اتقى لله كان أفضل منه وهو أن يكون أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه فهو أفضل من الفقير وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه كان أفضل منه فان استويا فى فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا فى الدرجة و أولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمى أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقيها أو عالما أو تاجرا أو جنديا أو صانعا أو أميرا أو حاكما أو غير ذلك قال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون" اهـ .

تبرئة الشيخ ابن تيمية للصوفية:

١- جاء في كتابه ابن تيمية " بيان تلبيس الجهمية ص ٢٣٨ " ما نصه :" فأما شيوخ الصوفية المشهورون عند الأمة الذين لهم في الأمة لسان صدق مثل أبي القاسم الجنيد وسهل بن عبدالله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي العباس ابن عطاء بل مثل أبي طالب المكي وأبي

عبدالرحمن السلمي وأمثال هؤلاء فحاشا لله أن يكونوا من أهل هذا المذهب بل هم من أبعد الطوائف عن مذهب الجهمية في سلب الصفات فكيف يكونون في مذهب الدهرية المنكرين لانفطار السموات والأرض وانشقاقهما نعم يوجد مثل ذلك في المتكلمين بكلام الفقهاء من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم وهذا الرجل قد ذكر أصناف الأمة في الأمور الهية الذين سماهم حشوية والأشعرية والمعتزلة والباطنية وذكر الصنف الرابع الباطنية ولم يتعقبهم بكلام إلا ما ذكره من مذهب الصوفية أنهم يلتمسون العلم بطريقة إماتة الشهوات فإن كان قد جعل هؤلاء هم الباطنية فهذا خطأ عظيم وإن كان يوجد فيهم من يقول بقول الباطنية كما يوجد مثل ذلك في المتكلمين والفقهاء ولعل شبههم في ذلك مع ما حكاه عنهم في أمر المعاد أنهم يقولون علم الباطن وينتسبون إلى علم الباطن ولكن هذا اللفظ فيه إجمال وإيهام فالصوفية العارفون الذين لهم في الأمة لسان صدق إذا قالوا علم الباطن وعلوم الباطن ونحو ذلك فهم لا يريدون بذلك ما يناقض الظاهر بل هم متفقون على أن من ادعا باطنا من الحقيقة يناقض ظاهر الشريعة فهو زنديق وإنما يقصدون بذلك عمل باطن الإنسان الذي هو قلبه بالأعمال الباطنة كالمعرفة والمحبة والصبر والشكر والتوكل والرضا ونحو ذلك ما هو كله تحقيق كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى).

وجاء في نفس المرجع السابق ص ٢٦٠ قوله :" وأما القسم الثاني فالذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم لكن مع قولهم إنها توافق الظاهر ومع اتفاقهم على أن من ادعى باطنا يخالف الظاهر فهو منافق زنديق فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة وهم في ما يتكلمون فيه من الأعمال الباطنة وعلم الباطن يستدلون على ذلك بالأدلة).

وقال الشيخ ابن تيميه عن الصوفيه انفسهم حيث قال في بيان تلبيس الجهميه ص ٢٦١ :" فكذلك المشائخ الصوفية برآء من بدع أهل التصوف فضلا عن من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته واعتبر ذلك بما ثبت مقبولا من أئمة المشائخ كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرحي والسري السقطي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبدالله التستري وعمرة وبن عثمان المكي وخلائق قبل هؤلاء من الصحابة فالصوفية العارفون الذين لهم في الأمة لسان صدق إذا قالوا علم الباطن وعلوم الباطن ونحو ذلك فهم لا يريدون بذلك ما يناقض الظاهر بل هم متفقون على أن من ادعا باطنا من الحقيقة يناقض ظاهر الشريعة فهو زنديق وإنما يقصدون بذلك عمل باطن الإنسان الذي هو قلبه بالأعمال الباطنة كالمعرفة والمحبة والصبر والشكر والتوكل والرضا ونحو ذلك).

وقال ابن تيمية في درء التعارض ص٤ الجزء الخامس مانصه:"هذا وشيوخ التصوف المشهورون من أبرأ الناس من هذا المذهب "اي

مذهب نفات الصفات والملاحدة الدهرية والحلولية " وأبعدهم عنه وأعظمهم نكيرا عليه وعلى أهله وللشيوخ المشهورين بالخير كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي عثمان النيسابوري وأبي عبد الله بن خفيف الشيرازي ويحيى بن معاذ الرازي وأمثالهم من الكلام في إثبات الصفات والذم للجهمية والحلولية ما لا يتسع هذا الموضع لعشرة .

بل قد قيل للشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله روحه هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل فقال لا كان ولا يكون والاعتقاد إنما أضيف إلى أحمد لأنه أظهره وبينه عند ظهور البدع وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله حظ أحمد منه كحظ غيره من السلف معرفته والإيمان به وتبليغه والذب عنه كما قال بعض أكابر الشيوخ الاعتقاد لمالك والشافعي ونحوهما من الأئمة والظهور لأحمد ابن حنبل) أهـ

والشيخ ابن تيمية يبرء الصوفية من بدع اهل الكلام والفلسفة والباطنية فقد جاء في في كتابه " بيان تلبيس الجهمية " ص٢٦١ ما نصه:"وأما القسم الثاني فالذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم لكن مع قولهم إنها توافق الظاهر ومع اتفاقهم على أن من ادعى باطنا يخالف الظاهر فهو منافق زنديق فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة وهم في ما يتكلمون فيه من الأعمال الباطنة وعلم الباطن يستدلون على ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة كما يستدل

بذلك على الأعمال الظاهرة وذلك في علم الدين والإسلام كما للإنسان بدن وقلب وهؤلاء من أعظم الناس إنكارا على من يخالف الظاهر ممن فيه نوع تجهم مثل الباطنية الدهرية وهم أشد إيمانا بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا من غيرهم وأشد تعظيما للأعمال الظاهرة مع الباطنة من غيرهم ولكن يوجد فيهم من جنس ما يوجد في بقية الطوائف من البدعة والنفاق مثل من قد يرى الاستغناء بالعمل الباطن عن الظاهر ومن يدعي أن للقرآن باطنا يخالف ظاهره ونحو ذلك من صنوف المنافقين والزنادقة فهؤلاء بالنسبة إلى الصوفية الذين هم مشائخ الطريقة الذين لهم في الأمة لسان صدق بالنسبة إلى المنافقين الزنادقة ومن متكلمي الفلسفة ونحوهم موجودين في الفقهاء بالنسبة إلى الفقهاء الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق فكما أن أولئك الأئمة الفقهاء براء من بدع أهل الكلام فضلا عن بدع الفلاسفة من الباطنية ونحوهم فكذلك المشائخ الصوفية برآء من بدع أهل التصوف فضلا عن من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته) .

وقال الشيخ ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين ٥١١/١: (وقد أنكر عليه [على الإمام أبو حامد الغزالي] طائفة من أهل الكلام والرأي كثيرا مما قاله من الحق وزعموا أن طريقة الرياضة وتصفية القلب لا تؤثر في حصول العلم وأخطؤوا أيضا في هذا النفي بل الحق أن التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم) اهـ .

ويقول ابن تيمية لأحد شيوخ الصوفية الشاذلية [شيخنا الإمام العارف القدوة السالك]

قال الشيخ العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه ذيل طبقات الحنابلة في ترجمة: أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي الحزامي [ج٢/ص ٢٥٦]: الزاهد القدوة العارف، عماد الدين أبو العباس، ابن شيخ الحزاميين: ولد في حاثي عشر- أو ثاني عشر- ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقي واسط.

وكان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية. ونشأ الشيخ عماد الدين بينهم، وألهمه الله من صغره طلب الحق ومحبته، والنفور عن البدع وأهلها، فاجتمع بالفقهاء بواسط كالشيخ عز الدين الفاروتي وغيره. وقرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعي. ثم دخل بغداد، وصحب بها طوائف من الفقهاء، وحج واجتمع بمكة بجماعة منهم. وأقام بالقاهرة مدة ببعض خوانقها، وخالط طوائف الفقهاء، ولم يسكن قلبه إلى شيء من الطوائف المحدثة. واجتمع بالإسكندرية بالطائفة الشاذلية، فوجد عندهم ما يطلبه من لوايح المعرفة، والمحبة والسلوك، فأخذ ذلك عنهم، وانتفع بهم، واقتفى طريقتهم وهديهم.

ثم قدم دمشق، فرأى الشيخ تقي الدين ابن تيمية وصاحبه، فدله على مطالعة السيرة النبوية، فأقبل على سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، فلخصها واختصرها، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار، وتخلى من جميع طرائقه وأحواله، وأذواقه وسلوكه، واقتفى آثار الرسول

صلى الله عليه وسلم وهديه، وطرائقه المأثورة عنه في كتب السنن والآثار، واعتنى بأمر السنة أصولا وفروعا، وشرع في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم، وبين عوراتهم، وكشف أستارهم، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد. وبلغني: أنه كان يقرأ في "الكافي" على الشيخ مجد الدين الحراني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. واختصره في مجلد سماه "البلغة" وألف تآليف كثيرة في الطريقة النبوية، والسلوك الآثري والفقر المحمدي؛ وهي من أنفع كتب الصوفية للمريدين، انتفع بها خلق من متصوفة أهل الحديث ومتعبديها. وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يعظمه ويجله، ويقول عنه: هو جنيد وقته. وكتب إليه كتابا من مصر أوله "إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك".

قال البرزالي عنه في معجمه: رجل صالح عارف، صاحب نسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا. وله كلام متين في التصوف الصحيح. وهو داعية إلى طريق الله تعالى، وقلمة أبسط من عبارته. واختصر السيرة النبوية. وكان يتقوت من النسخ، ولا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضرورة. وكان محبا لأهل الحديث، معظما لهم. وأوقاته محفوظة.

وقال الذهبي: كان سيدا عارفا كبير الشأن، منقطعا إلى الله تعالى. وكان ينسخ بالأجرة ويتقوت، ولا يكاد يقبل من أحد شيئا إلا في النادر. صنف أجزاء عديدة في السلوك والسير إلى الله تعالى، وفي

الرد على الإتحادية والمبتدعة. وكان داعية إلى السنة، ومذهبه السلف الصالح في الصفات، يمزها كما جاءت، وقد انتفع به جماعة صحبوه، ولا أعلم خلف بدمشق محي طريقته مثله.

قلت: ومن تصانيفه "شرح منازل السائرين" ولم يتمه، وله نظم حسن في السلوك.

كتب عنه الذهبي والبرزالي، وسمع منه جماعة من شيوخنا وغيرهم، وكان له مشاركة جيدة في العلوم، وعبارة حسنة قوية، وفهم جيد، وخط حسن في غاية الحسن. وكان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات، والتصنيف، والمطالعة، والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة، والأنس بالله، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادي الفناء بالله، والبقاء به، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزويا عن الناس، لا يجتمع إلا بمن يحبه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية.

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة. بالمارستان الصغير بدمشق، وصلي عليه من الغد بالجامع. ودفن بسفح قاسيون، قبالة زاوية السيوفي، رضي الله عنه.

ابن القيم يتأدب مع شيخه الصوفي:–

وهو : "شيخ الاسلام العلامة أبو اسماعيل عبدالله بن محمد الانصاري الهروي الصوفي".

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٢ ص٥٢":"والله يشكر لشيخ الاسلام "الهروي" سعيه ، ويعلي درجته ، ويجزيه أفضل جزائه ، ويجمع بيننا وبيته في محل كرامته ، فلو وجد مريده "ابن القيم" سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه مافعل. كيف وقد نفعه الله بكلامه ، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من استاذه ، وهو أحد من كان على يديه فتحه يقظة ومناما .

وهذا غاية جهد المقل في هذا الموضوع ، فمن كان عنده فضل علم فاليجذبه أو فاليعذر ولايبادر الي الانكار ، فكم بين الهدهد ونبي الله سليمان وهو يقول له "احط بما لم تحط به" وليس شيخ الاسلام أعلم من نبي الله سليمان وليس المعترض باجهل من هدهد ، والله المستعان وهو أعلم ".

واقول :

وان التصوف يتبناه عدد ضخم جدا من كبار العلماء ممن لا كلام في فضلهم ومكانتهم وعلو قدرهم عندهم، ولنذكر بعض الأسماء التي تنتمي إلى مدرسة التصوف من كبار العلماء:

١ – الحافظ أحمد بن عبد الله المهراني المعروف بأبي نعيم الإصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء، قال فيه الذهبي فى سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٤٥٤: الإمام الحافظ الثقة، العلامة شيخ الإسلام أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني، الصوفي.

وقال فيه ابن تيميةفى مجموع الفتاوى ج١٨ ص ١٧ : هو من أكبر حفاظ الحديث، ومن أكثرهم تصنيفات، وممن انتفع الناس بتصانيفه، وهو أجل من أن يقال له: ثقة فإن درجته فوق ذلك.

وقال ابن مردويه (سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٤٥٩): كان أبو نعيم في وقته مرحولا إليه، ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده. (١)

وقال الحافظ السيوطي فى طبقات الحفاظ ص ٤٢٣ رقم ٩٥٨: الحافظ، الكبير، محدث العصر.

وكلماتهم في مكانته وفضله كثيرة.

وقد اعتبر أبو نعيم كبار الصحابة ومن ترجمهم ممن وصفهم بالفضل والصلاح وعظم المنزلة من الصوفية، حيث قال في مقدمة كتابه حلية الأولياء ج١ ص ٣، ٤: فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة من الصوفية وبعض أحاديثهم وكلامهم، من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم، من قرن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق ... الخ.

وشرع في مقدمة كتابه يشرح معنى التصوف وقواعده.

٢ – أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري، قال عنه الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٢ ص ١١٠): الزاهد العارف، شيخ الصوفية.

وقال أبو إسحاق الشاطبي(الإعتصام للشاطبي ج١ ص ٢٨٤): والحارث المحاسبي من كبار الصوفية المقتدى بهم.

وقال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني(حلية الأولياء ج١٠ ص ٧٤ رقم ٤٦٥): كان لألوان الحق مشاهدا ومراقبا، ولآثار الرسول (ص) عليه السلام مساعدا ومصاحبا، تصانيفه مدونة مسطورة، وأقواله مبوبة مشهورة، وأحواله مصححة مذكورة ... الخ..

وقال أبو القاسم القشيري (الرسالة القشيرية ص ٤٢٨): لا نظير له في زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا. وفي المقابل تكلم فيه بعض علماء السنة بسبب اشتغاله بعلم الكلام أو التصوف.

قال الذهبي (ميزان الاعتدال ج١ ص٤٣٠ رقم ١٦٠٦): وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه.

٣ – عبد الكريم بن هوازن القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي أحد كبار علماء التصوف، يقول فيه الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٨ ص ٢٢٧) : الإمام، الزاهد، القدوة، إلى أن قال: الصوفي المفسر.

وقال فيه الحافظ عبد الغافر الفارسي(المنتخب من السياق ص ٣٣٤ رقم ١١٠٤): الإمام مطلقا، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسر، الأديب، النحوي، الكاتب، الشاعر، لسان عصره، وسيد وقته، وسر الله بين خلقه، شيخ المشايخ، وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة، ومقصود سالكي الطريقة، وبندار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة، وحقيقة الملاحة لم ير مثل نفسه، ولا رأى الراءون مثله من كماله وبراعته، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وشرح الشرح أصول الطريقة.

إلى أن قال: وأخذ طريق التصوف عن أبي علي الدقاق.

وقال أبو بكر الخطيب(تاريخ بغداد ج١١ ص ٨٣ رقم ٥٧٦٣): وكتبنا عنه، وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي.

وقال السبكي(طبقات الشافعية الكبرى ج٥ ص ١٥٣ رقم ٤٧١): الإمام مطلقا، وصاحب الرسالة، التي سارت شرقا وغربا، والبسالة التي أصبح بها نجم سعادته مشرقا، والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقد ورقى، أحد أئمة المسلمين علما وعملا، وأركان الملة فعلا وقولا، إمام الأئمة، ومجلي ظلمات الضلال المدلهمة، أحد من يقتدى بهم في السنة ويتوضح بكلامه طرق النار وطرق الجنة، شيخ المشايخ، وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة، الجامع بين أشتات العلوم.

وقال أبو سعد السمعاني(الأنساب للسمعاني ج٤ ص ٥٠٣): الأستاذ الإمام، إلى أن قال: أحد مشاهير الدنيا بالفضل والعلم والزهد.

٤ – أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الأزدي، قال فيه الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٢٤٧): الإمام، الحافظ، المحدث، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري، الصوفي، صاحب التصانيف.

وقال الحافظ عبد الغافر الفارسي(المنتخب من السياق ص ١٨ رقم ٤): شيخ الطريقة في وقته، الموفق في جمع علوم الحقائق، ومعرفة طريق التصوف، وصاحب التصانيف المشهورة في علوم القوم، وقد ورث التصوف عن أبيه وجده، وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه في غيره، حتى بلغ فهرست تصانيفه المائة أو أكثر.

إلى أن قال: وكتب الحديث بنيسابور ومرو والعراق والحجاز، وانتخب عليه الحفاظ الكبار.

وقال السبكي (طبقات الشافعية الكبرى ج٤ ص ١٤٣ رقم٣٢٠): كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، له اليد الطولى في التصوف، والعلم الغزير، والسير على سنن السلف.

وقال الذهبي في ترجمته (سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٢٥٢): قلت: وللسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف، وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي حقائق

تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

٥ – الحسن بن علي بن محمد النيسابوري، أبو علي الدقاق، قال الحافظ عبد الغافر الفارسي(المنتخب من السياق ص ١٧٩ رقم ٤٨١): الأستاذ الشهيد، لسان وقته، وإمام عصره نيسابوري الأصل، تعلم العربية، وحصل علم الأصول، وخرج إلى مرو، وتفقه بها على الخضري، وبرع في الفقه، ،أعاد على الشيخ أبي بكر القفال المروزي في درس الخضري، ولما استمع ما يحتاج إليه من العلوم، أخذ في العمل، وسلك طريق التصوف ... الخ .

وقال عنه الذهبي(تذكرة الحفاظ ج٣ ص ١٠٦٤): شيخ الصوفية بنيسابور.

٦ – عبد الله بن محمد الهروي، أبو إسماعيل الأنصاري، من كبار علماء الصوفية، وصاحب كتاب منازل السائرين الذي اعتنى به المتصوفة.

يقول فيه ابن رجب الحنبلي(ذيل طبقات الحنابلة ج١ ص ٥٠ رقم ٢٧): الفقيه، المفسر، الحافظ، الصوفي الواعظ شيخ الإسلام.

وقال فيه ابن تيمية (ذيل طبقات الحنابلة ج١ ص ٦٦): شيخ الإسلام مشهور، معظم عند الناس، هو إمام في الحديث والتصوف والتفسير،

وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعي وأحمد، ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى، والغالب عليه إتباع الحديث

على طريقة ابن المبارك ونحوه.

وقال فيه ابن الجوزي (المنتظم ج١٦ ص ٢٧٨ رقم ٣٥٨٨ حوادث سنة ٤٨١): وكان شديدا على أهل البدع، قويا في نصرة السنة.

وقال الذهبي (سير أعلام النبلاء ج١٨ ص ٥٠٣): شيخ الإسلام، الإمام القدوة الحافظ الكبير.

٧ – أبو بكر محمد بن داود بن سليمان النيسابوري:–

قال فيه الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٤٢٠): الإمام الحافظ العابد الرباني العابد، شيخ الصوفية.

وقال أيضا(سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٤٢٠): وكان صدوقا، حسن المعرفة، من أوعية العلم، وكان في التأله صنفا آخر. وقال عنه الدارقطني: ثقة فاضل

وقال السيوطي(طبقات الحفاظ ص ٣٦٩ رقم ٨٣٨): الحافظ، الزاهد، الحجة، شيخ الصوفية، أبو بكر النيسابوري، شيخ الحاكم، ثقة، فاضل، معروف بالحفظ، أملى زمانا، وصنف الأبواب والشيوخ.

٨ – محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، أحد كبار علماء التصوف، ومن كبار فقهاء السنة، قال فيه السبكي(طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ١٩١، ١٩٢ رقم ٦٩٤):

الإمام الجليل وقال: حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم، جرت الأئمة قبله بشأو، ولم تقع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب البداية والنهاية إلى أن قال: فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، كلمته شهد بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيقته المعادي والمخالف.

وقال الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٣٢٢): الإمام البحر، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد.

إلى أن قال: صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

وقال الحافظ عبد الغافر الفارسي(المنتخب من السياق ص ٧٣ رقم ١٦١): حجة الإسلام والمسلمين، إمام أئمة الدين، من لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا وذكرا وطبعا، شدا طرفا في صباه بطوس من الفقه على الإمام أحمد الراذكاني، ثم قدم نيسابور مختلفا إلى درس إمام الحرمين.

إلى أن قال: وصار أنظر زمانه وواحد أقرانه في أيام إمام الحرمين، وكان الطلبة يستفيدون منه، ويدرس لهم ويرشدهم، ويجتهد في نفسه، وبلغ الأمر إلى أن أخذ في التصنيف.

وقد اعتبره ابن تيمية فى (درء التعارض لابن تيمية ج٨ ص ٦٩)من المعظمين لطريق الصوفية .

وقال ايضا عنه فى(مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص ١٦٤) : وأبو حامد يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية ولهذا رد علماء المسلمين عليه حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي ... الخ.

٩ – الجنيد بن محمد الهروي، أبو القاسم القايني:–

قال فيه الذهبي(سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٧٢): الإمام القدوة المحدث أبو القاسم القايني، نزيل هراة وشيخ الصوفية .

وقال عنه الحافظ أبو سعد السمعاني في الأنساب (الأنساب ج٤ ص ٤٣٧): إمام، فاضل، متدين، وصوفي، لطيف، ظريف، حسن السيرة، كثير الورع.

وقال عنه أيضا فى(التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ج١ ص ١٦٧ رقم ٩٠): كان إماما، فاضلا، متقنا، ورعا عالما، عاملا بعلمه، كثير العبادة، دائم التهجد والتلاوة، إلى أن قال: وكان شيخ الصوفية في رباط فيروز آباد بظاهر هراة أربعين سنة ومقدمهم.

وقال عنه ابن النجار(سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٧٢): كان فقيها فاضلا، محدثا صدوقا، موصوفا بالعبادة.

وقال السبكي(طبقات الشافعية الكبرى ج٧ ص ٤٥ رقم ٧٤٣):
شارك في الاسم والكنية، واسم الأب، والصوفية والتفقه سيد الطائفة أبا القاسم الجنيد رحمه الله.

١٠ – جعفر بن محمد بن نصير البغدادي، الخلدي، أبو محمد الخواص:–

قال فيه الذهبي(تذكرة الحفاظ ج٣ ص ٨٦٩): الشيخ الإمام القدوة، المحدث.

وقال أيضافي (سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ٥٥٨): كبير الصوفية المحدث ، شيخ الصوفية (٤)، وقال فيه الحافظ أبو نعيم الإصبهاني(حلية الأولياء ج١٠ ص ٣٨١ رقم ٦٥٥): السائح اللامح القوام، المزين بالأخلاق الحميدة، والآخذ بالوثائق الأكيدة، كتب الآثار، وصحب الأخيار الجنيد والثوري.

١١ – الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز:–

وهو من أركان التصوف المعروفين، ذكره السلمي في طبقات الصوفيةص ١٥٥ وقال: وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة ، وقال الذهبي(سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ٦٦): هو شيخ الصوفية .

وقال فيه ابن تيمية(مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٣٩): فإن الجنيد بن محمد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى.

وقال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني بشأنه(حلية الأولياء ج١٠ ص ٢٥٥ رقم ٥٧١): المربى بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان، العالم بمودع الكتاب، والعامل بحلم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب. وقال أبو القاسم القشيري(الرسالة القشيرية ص ٤٣٠): سيد هذه الطائفة، وإمامهم.

١٢ – عبد القادر الجيلاني:–

قال فيه ابن قيم الجوزيةفى (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٧٥): الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه. ، وقال أيضافى (الصواعق المرسلة ج٤ ص ١٢٧٩): الشيخ عبد القادر الجيلاني المتفق على كراماته وآياته وولايته، المقبول عند جميع الفرق.

وقال ابن تيمية فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٠ ص ٤٨٨): والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمرا بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية.

وقال الذهبي فى (العبر ج٣ ص ٣٦ وفيات سنة ٥٦١هـ): الزاهد، شيخ العصر، وقدوة العارفين، صاحب المقامات والكرامات، ومدرس الحنابلة، محي الدين، انتهى إليه التقدم في الوعظ والكلام على الخواطر. ، وكلماتهم بشأنه كثيرة جدا.

ونختم بالحافظ الذهبي فإنه يذكر جماعة من شيوخ الصوفية ويدرجهم في قائمة من سماهم " معدلي حملة العلم النبوي " وانظر تراجمهم في ديوانه الجامع (تذكرة الحفاظ) ويبدئ فيهم ويعيد في موسوعته الضخمة (سير أعلام النبلاء) وانظر تراجم بعض " معدلي حملة العلم النبوي " عنده وهم :

الحافظ أبو سعيد بن الأعرابي (٨٥٢/٣)،الحافظ محمد بن داود بن سليمان (٩٠١/٣)،الحافظ أبو الطيب محمد بن جعفر بن دران المشهور بغندر (٩٦١/٣)،الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن يعقوب الطوسي (١٠١٦/٣)

الحافظ المالينى الهروي (١٠٧٠/٣)،الحافظ أبو محمد عطية بن سعيد الأندلسي (١٠٨٨/٣)

الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (١٠٩٢/٣)،الحافظ أبو ذر الهروي (١١٠٣/٣)،الحافظ أبو صالح المؤذن النيسابوري (١١٦٢/٣)

الحافظ أبو إسماعيل الهروي (١١٨٣/٣)،الحافظ أبو يعقوب الشيرازي (١٣٥٦/٤)

الحافظ أبو عبد الله محمد بن الحسين اليونيني (١٤٣٩/٤)،الحافظ أبو علي الحسين بن محمد البكري (١٤٤٤/٤)

الحافظ أبو زكريا النووي (١٤٧٠/٤)،الحافظ أبو الفتح محمد بن أحمد الأبيوردي (١٤٧٥/٤)

الحافظ أبو الحسن علي بن مسعود الموصلي (١٥٠٠/٤)،الحافظ صفي الدين الأرموي (١٥٠٠/٤)
الحافظ ضياء الدين بن حمويه الخراساني (١٥٠٥/٤).

الفصل السادس

موقفهم من الكرامات الصالحين

ومن الأمور التي طعن فيها الوهابية على الصوفية القول بكرامات الصالحين ، وقد صنف بعضهم فيها بعض المصنفات ومنها كتاب الشيخ ابن تيمية (الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان)، واعتبر بعض أولئك الوهابية المعترضين ذلك يتنافى مع الاعتقاد بالتوحيد ويستلزم الشرك بالله عز وجل ويستوجب الكفر والعياذ بالله تعالى، والحال أن القول بكرمات الصالحين محل إجماع بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم إلا من شذ منهم حتى المتشددين من علماء الحنابلة وبعض علماء الوهابية أيضا، ومع انتشار هذه الشبهة من قبلهم إلا أنها إن دلت على شيء فإنما تدل على التأثير الواسع على الأذهان لجماعة ممن ليس لديهم الدراية الكافية بعقائد مشائخهم هم فضلا عن عقائد غيرهم، وهذا ما يحتاج إلى أن نبينه في القاعدة بالنسبة لكرمات الأولياء .

أن عقيدة علماء اهل السنة والجماعة هو إمكان صدور جميع المعجزات من الأنبياء (ع) ، كما يمكن صدورها من الأولياء ، وغاية الأمر يسمي ما يصدر من الأنبياء (ع) معجزة ، وما يصدر من الأولياء كرامة ، يقول الشيخ ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاويةص ٤٩٤ :(فالمعجزة في اللغة كل خارق للعادة، وكذا

الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي).

وبالجملة فعلى أساس ما تقدم من قولهم بأن كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، وعليه فلا مانع حينئذ فما صنفه علماء الصوفية في كراماتهم لا يتنافى مع ما يعتقده أحد من المسلمين، وهذا ما يحتاج إلى التوضيح في عدة مباحث :

المبحث الأول

في بيان اتفاق العلماء على أن جميع معجزات الأنبياء (ع) يمكن أن تقع للأولياء:-

الذي عليه علماء اهل السنة والجماعة هو أن كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، ولا فرق عندهم بين معجزات الأنبياء (ع) وكرامات الأولياء إلا في أن معجزات الأنبياء (ع) إنما هي لتثبيت دعوى النبوة بخلاف كرامات الأولياءوبالجملة فعلماء اهل السنة والجماعة مجمعون على أن جميع معجزات الأنبياء (ع) لا مانع من حصولها للأولياءوكلماتهم بهذا الشأن كثيرة جدا نذكر بعضها:

١ - الشيخ ابن تيمية:-

يقول ابن تيمية أيضا(مجموع فتاوى ابن تيمية ج٣ ص ١٥٦): ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم..).

وابن تيمية بعد أن ذكر بعض الكرامات فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٢) قال: وهذا باب واسع قد بسط في الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع وأما ما نعرفه عن أعيان، ونعرفه في هذا الزمان فكثير).

ويقول أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٣): ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب الحاجة، فإذا احتاج إليها الرجل لضعف الإيمان أو المحتاج إياه أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله مستغنيا عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته، وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق وحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة.

ويقول أيضافى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٠٥): فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات).

٢- الامام الحافظ الذهبي:-

يقول في(سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٣٥٥) ترجمة أبي إسحاق الاسفراييني: وحكى أبو القاسم القشيري عنه أنه كان ينكر كرامات الأولياء ولا يجوزها وهذه زلة كبيرة.

ويقول في كتاب العلوللعلي الغفار ص ٦٩:(أعلم أن الله عز وجل قد أخبرنا وهو أصدق القائلين بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال: (ولها عرش عظيم) ثم ختم الآية بقوله تعالى: (الله لا إله إلا هو رب العرش

العظيم) فكان عرشها عظيما بالنسبة إليها وما نحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بماهيته، وقد أتى به بعض رعية سليمان عليه السلام إلى بين يديه قبل ارتداد طرفه فسبحان الله العظيم، فما ينكر كرامات الأولياء إلا جاهل، فهل فوق هذه كرامة، فيقال: إنه دعا باسم الله الأعظم فحضر في لمح البصر من اليمن إلى الشام، فما ثم إلا محض الإيمان والتصديق ولا مجال للعقل في ذلك بل آمنا وصدقنا، فهذا في شيء صغير صنعه الآدميون وجلبه في هذه المسافة البعيدة بشر بإذن الله تعالى فما الظن بما أعد الله تعالى من السرر والقصور في الجنة لعباده الذي كل سرير منها طوله وعرضه مسيرة شهر أو أكثر وهو من درة بيضاء أو من ياقوتة حمراء الذي كل باع منها خير من ملك الدنيا فتبارك الله أحسن الخالقين آمنا بالغيب والله وجزمنا بخبر الصادق ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فماالظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته وقوائمه وماهيته وحملته والكروبيين الحافين من حوله وحسنه ورونقه وقيمته فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء ولعل مساحته مسيرة خمسمائة ألف عام لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم الحمد لله رب العالمين.

٣- الشيخ عبد القاهر البغدادي:-

قال في كتابه أصول الدين ص ١٨٤، ١٨٥: أنكرت القدرية كرامات الأولياء على وجه ينقض العادة، وأثبتها الموحدون لاستفاضة الخبر عن صاحب سليمان في إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف إليه، ومنها رؤية عمر رضي الله عنه على منبره بالمدينة جيشه بنهاوند، حتى قال: يا سارية الجبل وسمع سارية ذلك الصوت على مسافة زهاء خمسماية فرسخ حتى صعد الجبل وفتح منه الكمين للعدو، وكان ذلك سبب الفتح، ومنها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم مع الأسد، وقصة عمير الطائي مع الذيب حتى قيل له كليم الذيب، وقصة أهبان بن صيفي وأبي ذر الغفاري مع الوحش، وما أشبه ذلك كثير مما حرمه أهل القدر بشؤم بدعتهم .

٤ - الامام الفخر الرازي:-

يقول في كتاب الأربعين في أصول الدين ج٢ ص ٢٠٢، ٢٠٣في مقام إثبات كرامات الأولياء: إن حدوث الحبل لمريم من غير الذكر من خوارق العادات، وحضور الرزق عندها من غير سبب ظاهر من خوارق العادات، وأنها ما كانت من الأنبياء (ع) فوجب أن يقال: أن تكون هذه الوقائع من كرامات الأولياء.

ثم قال: فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: إن تلك الخوارق كانت معجزات لنبي ذلك وهو زكريا عليه السلام؟ قلنا: هذا باطل لوجوه:

الأول: أن المعجزة لابد أن تكون أمرا ظاهرا للمنكرين حتى يمكن الاستدلال بها المنكر، وظهور جبريل عليه السلام لمريم وحبلها من غير ذكر ما كان يطلع عليه أحد إلا مريم، فكيف يمكن جعل هذه الأشياء معجزة لزكريا عليه السلام.

ثانيها: أن عند ظهور المعجز لبعض الأنبياء (ع) لا بد أن يكون الرسول حاضرا ولا بد أن يكون القوم حاضرين حتى يتمكن ذلك الرسول من الإستدلال بالمعجز، وفي الوقت الذي كان يقول جبريل عليه السلام لمريم: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) ما كان زكريا حاضرا هناك حتى يستدل بظهور هذه الخوارق على نبوة نفسه بل ما كان أحد من البشر

هناك حاضرا بدليل قوله تعالى: (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمان صوما) (١) فبطل القول بأن هذه الأشياء معجزة لزكريا عليه السلام.

ثالثها: إن حصول المعجزة لابد أن يكون بالتماس الرسول، وكان النبي زكريا عليه السلام غافلا عن كيفية حدوث هذه الأشياء بدليل قوله تعالى: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله) فدل هذا على أن ذلك ما كان معجزة لزكريا عليه السلام.

ورابعها: أنه تعالى ذكر هذه الخوارق في معرض تعظيم حال مريم (ع) ولم يذكر معها ما شعر بجعلها معجزة لأحد من الأنبياء (ع)، ولو كان

المقصود منها إظهار تصديق زكريا لا إظهار كرامة لمريم لكان ذكر زكريا (ع) عند ذكر هذه الخوارق أولى من ذكر مريم (ع)، ولما لم يكن الأمر كذلك علمنا أن المقصود منها إكرام مريم (ع) لا تصديق زكريا (ع).

الحجة الثانية: أن الله تعالى أبقى أصحاب الكهف ثلاث مائة سنة وأزيد في النوم، أحياء من غير آفة، وهم ما كانوا من الأنبياء (ع)، فوجب أن يكون هذا من باب الكرامات.

٥- الامام السفاريني الحنبلي:-

يقول محمد السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار البهيةوسواطع الأسرار الأثرية ج٢ ص ٣٩٢: في ذكر كرامات الأولياء التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها وإهمالها.

وراجع أيضا: العقيدة السفارينية ص ٨٩ ط. مكتبة أضواء السلف / الرياض سنة ١٩٩٨م.

ويقول أيضا(لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ج٢ ص ٣٩٢): والحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة أتى ذلك الخارق عن امرئ صالح، وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في الملذات والشهوات من ذكر وأنثى، ولا بد أن يكون هذا الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم من إنسان تابع لشرعنا معشر المسلمين ... الخ.

وقال أيضا(لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ج٢ ص ٣٩٤): ومن أي إنسان كائنا من كان نفاها (كرامات الأولياء) فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها من ذوي أي أصحاب الضلال والزيغ عن نهج أهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم من أهل السنة كالأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وأبي عبد الله الحليمي من الأشاعرة فقد أتى في ذاك النفي وعدم التجويز لها بالمحال المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن، فمع هذه الأدلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فالإنكار لها مكابرة غير منظور إليه ولا معول عليه.

٦- الامام الغزنوي الحنفي:-

يقول جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي في أصول الدين ص ١٦٢، ١٦٣: ظهور كرامات الأولياء على طريق نقض العادة وخرقها جائز، لأنه في قدرة الله تعالى ممكن، وليس فيه وجه من وجوه الاستحالة، ويجوز أن الله تعالى أكرم وليا بكل آية يخصه، بذلك ثبت بالكتاب والسنة.

٧- الامام سعد الدين التفتازاني:-

يقول سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ج٥ ص ٧٢: الولي العارف بالله تعالى، الصارف همته عما سواه، والكرامة ظهور أمر خارق للعادة قبله بلا دعوى النبوة، وهي جائزة ولو بقصد الولي، ومن جنس المعجزات، لشمول قدرة الله تعالى، وواقعة كقصة مريم، وآصف،

وأصحاب الكهف، وما تواتر جنسه من الصحابة والتابعين، وكثير من الصالحين ... الخ.

ويقول (شرح المقاصد ج٥ ص ٧٤، ٧٥)في مقام الإستدلال على وقوع الكرامات: والثاني: ما تواتر معنا وإن كانت التفاصيل آحادا من كرامات الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الصالحين، كرؤية عمر رضي الله عنه على المنبر جيشه بنهاوند حتى قال: يا سارية الجبل، وسمع سارية ذلك، وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير أن يضر به، وأما من علي (ع) رضي الله تعالى عنه فأكثر من أن تحصى.

وقال أيضاشرح المقاصد ج٥ ص ٧٥: (وبالجملة وظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط، ولم يسمعوا من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء من اجتهادهم في أمور العبادات، واجتناب السيئات، فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم، ويمضغون لحومهم، لا يسمونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم إلا في عداد آحاد المبتدعة ...)الخ.

٨- الامام ابن خلدون:-

يقول ابن خلدون أثناء كلامه عن المتصوفة (مقدمة ابن خلدون ص ٤٧١): ... مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات، وإنكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك، وهو معلوم مشهور.

٩- الامام محمد بن سلوم الحنبلي:-

يقول في مختصر لوامع الأنوار البهية ص ٥٣٤: في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها وهذا من العقائد السلفية التي يجب اعتقادها.

وقال أيضا(مختصر لوامع الأنوار البهية ص ٥٣٧): ومن أي إنسان كان نفاها أي كرامات الأولياء من ذوي أي أصحاب الضلال والزيغ، فقد أتى ذاك النفي وعدم التجويز لها بالمحال المنابذ للبرهان والعيان، وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن، ولهذا قال معللا لما ارتكبوا في نفيها من المحال: لأنها أي كرامات الأولياء كثيرة شهيرة، ولم تزل تظهر في كل عصر من العصور الماضية وإلى الآن من المشي على الماء كما نقل عن كثير من الأولياء من الصحابة وغيرهم ... الخ.

١٠- الامام أبو إسحاق الشاطبي الغرناطي:-

قال في الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ج٢ ص ١٩٧، ١٩٨: (إن جميع ما أعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات وغيرها من الفضائل، إنما هي مقتبسة من مشكاة نبينا (ص)، لكن على مقدار الإتباع، فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وساطة نبوية، كيف وهو السراج المنير الذي يستضيء به الجميع، والعلم الأعلى الذي يهتدى به في سلوك الطريق.

ولعل قائلا يقول: قد ظهرت على أيدي الأمة أمور لم تظهر على يد النبي (ص) ولاسيما الخواص التي اختص بها بعضهم، كفرار الشيطان من ظل عمر رضي الله عنه، وقد نازع النبي عليه الصلاة والسلام في صلاته الشيطان، وقال لعمر: ما سلكت فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجك، وجاء في عثمان بن عفان رضي الله عنه أن ملائكة السماء تستحي منه، ولم يرد مثل هذا بالنسبة إلى النبي (ص)، وجاء في أسيد بن حضير وعباد بن بشر أنهما خرجا من عند رسول الله (ص) في ليلة مظلمة، فإذا نور بين أيديهما، حتى تفرقا، فافترق النور معهما، ولم يؤثر مثل ذلك عنه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من المنقولات عن الصحابة ومن بعدهم، مما لم ينقل أنه ظهر مثله على يد النبي (ص).

فيقال: كل ما ينقل عن الأولياء أو العلماء إلى يوم القيامة من الأحوال والخوراق والفهوم وغيرها، فهي أفراد وجزئيات داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي (ص)، غير أن أفراد الجنس وجزئيات الكلي قد تختص بأوصاف تليق بالجزئي من حيث هو جزئي، وإن لم يتصف بها الكلي من جهة ما هو كلي، ولا يدل ذلك على أن للجزئي مزية على الكلي ...)

ويقول أيضا(الموافقات في أصول الشريعة ج٢ ص ٢٠٢): عمل الصحابة رضي الله عنهم بمثل ذلك من الفراسة والكشف والإلهام والوحي النومي كقول أبي بكر: إنما هو أخواك وأختاك، وقول عمر: يا

سارية الجبل، فأعمل النصيحة التي أنبأ عنها الكشف، ونهيه لمن أراد أن يقص على الناس وقال: أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا، وقوله لمن قص عليه رؤياه أن الشمس والقمر رآهما يقتتلان فقال: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر.

قال: كنت مع الآية الممحوة لا تلي عملا أبدا، ويكثر نقل مثل هذا عن السلف الصالح ومن بعدهم من العلماء والأولياء نفع الله بهم.

١١- الامام النووي :-

يقول النووي في شرح بعض أحاديث صحيح مسلمج١١ ص١٠٨:

... ومنها إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة، وفيه أن كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا المتكلمين، ومنهم من قال لا تقع باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع أنواعها، ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط من قائله وإنكار للحس، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان وإحضار الشيء من العدم ونحوه.

١٢- الامام اليافعي :-

يقول ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثيةص٣٠٢: قال الإمام اليافعي بعد نحو ذلك من الأئمة وغيرهم، فهؤلاء اتفقوا على أن الفارق بينهما (المعجزة والكرامة) هو تحدي النبوة فقط، ولم يشترط أحد

منهم كون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدل ذلك على جواز استوائها فيما عدا التحدي كما صرح به إمام الحرمين، فيجوز اجتماعهما فيما عدا التحدي من سائر الخوارق حتى إحياء الموتى.

١٣ – إمام الحرمين الامام الجويني:–

يقول إمام الحرمين الجويني في الإرشاد ص ٢٦٧: وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعبانا ويحي الموتى كرامة لولي إلى غير ذلك من آيات الأنبياء (ع)، وهذه الطريقة غير سديدة أيضا، والمرضي عندنا تجويز جملة الخوارق العوائد في معارض الكرامات.

وقال أيضا كتاب الإرشاد ص ٢٦٩: فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة.

١٤– الملا علي القاري الحنفي :–

يقول في شرح كتاب الفقه الأكبر ص ١٣١: ثم ظاهر كلام الإمام الأعظم (أبو حنيفة) رحمه الله في هذا المقام موافق لما عليه جمهور العلماء الأعلام من أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي

لا فارق بينهما إلا التحدي.

١٥- الامام تاج الدين السبكي :-

يقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٣٧: والذي يترجح عندي القول بتجويز الكرامات على الإطلاق، إذا لم تخرق عادة وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض، فلا أمنع كثيرا من الخوارق، وأمنع كثيرا ولي في ذلك قدوة وهو أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى.

إلى أن قال: وأما جمهور أئمتنا فعمموا التجويز وأطلقوا القول إطلاقا وأخذ بعض المتأخرين يعدد.

١٦-الامام الحافظ أبو بكر البيهقي :-

يقول الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ص ٣٠٨: باب القول في كرامات الأولياء. ثم قال: قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ، وقال في قصة سليمان عليه السلام (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) ، وآصف لم يكن نبيا وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين، فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلا على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل، وقد حكى رآه صلى الله عليه (وآله) وسلم من الكرامات التي ظهرت على جريح الراهب والصبي الذي ترك السحر، وتبع الراهب والنفر الذين آووا إلى غار من بني إسرائيل فانحطت عليهم الصخرة،

وغيرهم ما يدل على جواز ذلك، وقد ظهر على أصحابه في زمانه وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه وبالله التوفيق.

١٧- عبد الرحمن العمادي :-

يقول في الروض الريا فيمن دفن بداريا ص ٧٤: ولا شك أن كرامات الأولياء من جنس معجزات أنبيائهم فمن طعن على الكرامات فقد طعن على المعجزات.

١٨- الامام أحمد بن حنبل :-

يقول أبو بكر الخلال أثناء حديثه عن عقيدة أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال ص ١٢٦: وكان يذهب إلى جواز الكرامات للأولياء ويفرق بينها وبين المعجزة وذلك أن المعجزة توجب التحري إلى صدق من جرت على يده فإن جرت على يدي ولي كتمها وأسرها وهذه الكرامة وتلك المعجزة وينكر على من رد الكرامات ويضلله.

١٩- الحافظ ابن حجر الهيثمي المكي:-

يقول ابن حجر الهيثمي المكي في الفتاوى الحديثية ص ١٠٧، ١٠٨: كرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة خلافا للمخاذيل المعتزلة والزيدية.

وقال أيضا ص ١٠٨: والحاصل أن كرامة الولي من بعض معجزات النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، لكن لعظم إتباعه له أظهر الله بعض خواص النبي (ص) على يدي وارثه ومتبعه في سائر حركاته وسكناته.

وقال أيضا ص ٣٠١ : الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين وكثيرون من غيرهم، خلافا للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم من غير روية ولا تأمل، وكان الأستاذ أبو إسحاق يميل إلى قريب من مذهبهم، أو يئول كلامه إليه كما هو الظاهر أن ظهور الكرامة على الأولياء وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده بجمعهم بين القول والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزة عقلا ...

إلى أن قال: وسيأتي لذلك مزيد في تحق الفرق بينهما (الكرامة والمعجزة) وواقعة نقلا مفيدا لليقين من جهة مجيء القرآن به ووقوع التواتر عليه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، وكتب العلم شرقا وغربا وعجما وعربا ناطقة بوقوعها، متواترة تواترا معنويا لا ينكره إلا غبي أو معاند.

٢٠-الامام عبد الباقي بن عبد الباقي:-

يقول في كتاب العين والأثرفي عقائد أهل الأثر ص ٤٨: وكرامات الأولياء حق وهي خرق العادات لا على وجه الاستدعاء والتحدي بها والأنبياء أفضل منهم ومن الملائك.

٢١- محمد صديق القنوجي:-

يقول في قطف الثمرفي بيان عقيدة أهل الأثر ص ٩٩: ومن أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق وعادات في أنواع العلوم والمكاشفات والتأثيرات كالمأثور عن سلف

الأمة وأئمتها وسالف الأمم في سورة الكهف وسورة مريم وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

٢٢- الشيخ العثيمين فى شرح العقيدة الوسطية ص ٦٣١

دلالات الكرمات فقال :

اولا :

الكرامة دلالة على بيان كمال قدرة الله عزوجل حيث حصل هذاالخارق للعادة بامرالله

ثانيا

الكرامة دلالة على تكذيب القائلين بان الطبيعة هى التى تفعل لكانت الطبيعة على نسق واحد لايتغير ، فاذا تغيرت دل على ان للكون مدبر خالق

ثالثا:

الكرامة انها اية للنبي المتبوع كما اسلفنا قريبا

رابعا:

ان فيها تثبيتا وكرامة للولى .

الفصل السابع

في ما ذكروه من تعميم كرامات الأولياء إلى كل مؤمن تقي:-

عرفت مما تقدم أن المعروف بين العلماء أن كل معجزة من معجزات الأنبياء (ع) يمكن أن تقع لكل من كان وليا لله عز وجل، وهو كل مؤمن تقي متقرب إلى الله تعالى.

وبعبارة أخرى، يمكن لكل مؤمن أن يحي الموتى ويبرئ المرضى ويلتقي مع الملائكة ويدخل النار فتكون له بردا وسلاما كما زكر ذلك الشيخ ابن تيمية لنفسه، حتى أضحت الكرامات عندهم أمرا ليس بالضرورة يترتب عليه أمور تحقق أغراض الشارع الأقدس، ويدل على ذلك أمران:

الأول: صرح عدد كبير منهم أن قد يكون من لم تحصل له الكرامات أفضل ممن أعطاه الله تلك الكرامات، بل قد يكون عدمها أفضل من تحققها، وأنه قد تحصل دون أن يترتب عليها فائدة في الدين:

يقول ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاويةص ٤٩٤:

فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل الحق المتقدمين، ولكن كثيرا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما.

إلى أن قال: ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا، وإن

كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سببا للعذاب أو البغض كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة، فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم ومباح، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

ثم قال: قال أبو علي الجوزجانيفى (شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٥): كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

إلى أن قال ص ٤٩٧: فاعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيئا من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه، فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له .

ويقول الشيخ ابن تيميةفى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١ ص ١٧٧): وأكابر الأولياء إنما يستعملون هذه الكرامات بحجة للدين أو لحاجة للمسلمين، والمقتصدون قد يستعملونها في المباحات وأما من استعان بها في المعاصي فهو ظالم لنفسه متعد حد ربه، وإن كان سببها الإيمان والتقوى، فمن جاهد العدو فغنم غنيمة فأنفقها في طاعة

الشيطان فهذا المال وان ناله بسبب عمل صالح فإذا أنفقه في طاعة الشيطان كان وبالا عليه، فكيف إذا كان سبب الخوارق الكفر والفسوق والعصيان وهى تدعو إلى كفر آخر وفسوق وعصيان، ولهذا كان أئمة هؤلاء معترفين بأن أكثرهم يموتون على غير الإسلام ولبسط هذه الأمور موضع آخر.

وقال أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٣): ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة.

وقال أيضافى مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٣٢٣: فاعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات ولا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك انفع له في دينه إذا لم يكن وجود ذلك في حقه مأمورا به أمر إيجاب ولا استحباب وأما عدم الدين والعمل به فيصير الإنسان ناقصا مذموما إما أن يجعله مستحقا للعقاب وإما أن يجعله محروما من الثواب .

الفصل الثامن

في الأدلة على جواز صدور الكرامات من أولياء الله عز وجل كثيرة واذكر منها:

١- قوله عز وجل أثناء حديثه عن النبي سليمان (ع): (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين - قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون - فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين).

ووجه الاستدلال بالآيات الكريمة أن من كان عنده علم من الكتاب كان يستطيع وبإذن الله عز وجل أن يأتي بعريش بلقيس لنبي الله سليمان (ع) قبل أن يرتد إليه طرفه، مع أنه بالاتفاق لم يكن من الأنبياء (ع)، وهو دليل على ثبوت ولاية تكوينية له من قبل الله تعالى، ومن بديهيات العقل أن الوقوع دليل الإمكان، فكل ممتنع لذاته لا يمكن أن يقع أصلا بأي حال من الأحوال، كما أن الآية الكريمة تثبت عدم امتناع ذلك على من لم يكونوا من الأنبياء (ع) من أولياء الله الصالحين، والآيات الكريمة تدل على قدرة الذي عنده علم من الكتاب بإذن الله عز وجل أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين

في لحظة واحدة وقبل أن يرتد طرف سليمان (ع) إليه، وهذا يعني أنه له ولاية تكوينية وإلا لم يمكنه ذلك.

والذي كان من الجن كان بإمكانه أن يأتي لسليمان (ع) بعرش بلقيس قبل أن يقوم من مقامه، غير أن الذي كان لديه علم من الكتاب كان بإمكانه أن يأتي به بأسرع من هذا، فيمكنه أن يأتي به قبل أن يرتد طرفه وكل ذلك لا يكون إلا بإذن الله عز وجل بالضرورة.

والصوفية يعتقدون أن الذي عنده علم من الكتاب مع أنه من أولياء الله الصالحين وعباده المقربين، وهو إنما كان يمكنه ذلك أن لديه علما من الكتاب، ولكونه من أولياء الله الصالحين وعباده المقربين.

٢- قوله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا – فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا – قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا – قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا – قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكن بغيا – قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا – فحملته فانتبذت به مكانا قصيا – فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا – فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا – وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا – فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا).

وهذه الآية الكريمة تدل على أن السيدة الصديقة مريم (ع) كانت مخاطبة من قبل ملائكة الله (ع)، وأن الله عز وجل أعطاها من الكرامات والمعجزات أمورا منها أن الله عز وجل جعل تلك النخلة اليابسة محملة رطبا جنيا، إلى غير ذلك من الكرامات والمعجزات التي تحدث بها القرآن الكريم عن السيدة مريم (ع)، وهي على مكانتها الرفيعة ومقامها العظيم عند الله عز وجل لم تكن من الأنبياء (ع)، فنزول الملائكة (ع) عليها دليل على جواز أن تنزل الملائكة (ع) على غير الأنبياء (ع) من أولياء الله الصالحين وعباده المقربين.

٣- أصحاب الكهف باتفاق المسلمين لم يكونوا من الأنبياء (ع)، بل كانوا من عباد الله الصالحين الصابرين على البلاء والمخلصين في طاعة الله عز وجل، وقد أعطاهم الله عز وجل الكرامات العظيمة التي من أبرزها مبيتهم في الكهف مئآت السنين كما صرح بذلك القرآن الكريم،وما جرى لهم يدل على أن تلك الكرامات والمعجزات قد تقع لغير الأنبياء (ع) من أولياء الله الصالحين وعباده المقربين، وكما يقول العلماء فإن الوقوع دليل الإمكان، وحينئذ فإذا ورد نص معتبر يدل على ثبوت مثل ذلك للأولياء فلابد من قبوله.

٤- أنه لا يوجد أي دليل يدل على امتناع صدور الكرامات من الأولياء، وعليه فمقتضى الإيمان بعظمة الله عز وجل هو تصديق ما ينقل بهذا الشأن إذا ورد بطريق معتبر.

وقد ذكروا وجوها كثيرة يمكن للمتتبع البحث عنها في مظانها.

الفصل التاسع

في بيان إجماعهم على كرمات أولياء الله

قد تبين في ما تقدم اتفاقهم إلا من شذ بأن جميع المعجزات التي صدرت عن الأنبياء (ع) يمكن أن تصدر من الأولياء،وبالجملة فالذي عليه تسالم مشائخ الوهابية ومنهم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية أن كل ما كان معجزة لنبي من الأنبياء (ع) فإنه يجوز أن يكون كرامة لأالأولياء ، فيثبت أنه يمكن أن يصدر منهم حتى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والدخول في النار فتكون لهم بردا وسلاما والإتيان بمثل عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف وتكليم الملائكة وغير ذلك مما ثبت للأنبياء (ع) أو أتباعهم، ومن يعتبر ذلك خطأ وانحرافا عن الصالحين كالكثير من جهلة الوهابية مع الأسف الشديد فإنما هو في الواقع منحرف عما عليه تسالم علماء السنة ومنهم الحنابلة حتى ابن تيمية وتلاميذه من المعروفين بتشددهم البالغ في مثل تلك الأمور، ومن هنا يتضح من هو المنحرف عن عقيدة اهل السنة والجماعة هل هم الصوفية أو الوهابية الذين حكموا على الصوفية بالكفر لكونهم قالوا بأن المعجزات التي تصدر عن الأنبياء (ع) تصدر عن الصالحين الذين أمر الله عز وجل كافة المسلمين بإجماعهم بالضرورة المتسالم عليها بينهم بان نكون معهم (كونوا مع الصادقين).

الفصل العاشر

كلماتهم بشأن إحياء الموتى على يد الأولياء

من الأمور التي أنكرها الوهابية على الصوفية أن الله عز وجل يجري على يد الأولياء الصالحين إحياء الموتى، فالصوفية تعتقد أنه لا مانع من صدور هذه الكرمة منهم، وقد اعتبر أولئك الوهابية ذلك مستلزما للكفر، ولم يصدر منهم ذلك الكلام إلا بسبب الجهل الواسع بمعتقدات مشائخهم ، وصاروا ينسجون في تقييم العقيدة نظريات هي من خيالاتهم الخاصة بهم، وكلمات علمائهم بشأن إحياء الموتى على يد الأولياء كثيرة، منها:

١ – ما ذكره الشيخ ابن تيمية:-

يقول ابن تيمية في كتاب النبوات ص ٢٩٨: وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء (ع) كما وقع لطائفة من هذه الأمة.

ويقول أيضا فى ص ٢١٨: فانه لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء (ع) بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفرق البحر، فإن هذا لم يكن لغير موسى وكانشقاق القمر والقرآن وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد (ص) من الأنبياء (ع)، وكالناقة التي لصالح (ع) فإن تلك الآية لم يكن مثلها لغيره وهو خروج ناقة من

الأرض، بخلاف إحياء الموتى فانه اشترك فيه كثير من الأنبياء بل ومن الصالحين.

ويقول فى (الجواب الصحيح ج٢ ص ٤٠٠) أثناء مناقشته للنصارى: فيزعمون أن الحواريين أو هؤلاء جرت علي أيديهم خوارق، وقد يذكرون أن منهم من جرى إحياء الموتى على يديه، وهذا إذا كان صحيحا مع أن صاحبه لم يذكر أنه نبي لا يدل على عصمته، فإن أولياء الله من الصحابة والتابعين بعدهم بإحسان وسائر أولياء الله من هذه الأمة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه وليس فيهم معصوم يجب قبول كل ما يقول بل يجوز الغلط على كل واحد منهم وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الأنبياء عليهم السلام.

ويقول في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:(فأولياء الله المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله، كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك).

٢ – ما ذكره الحافظ ابن حجر الهيثمي:-

يقول ابن حجر الهيثمي فى(الفتاوى الحديثية ص ١٠٨) أثناء كلامه عن الأولياء وكراماتهم: ثم الصحيح أنهم ينتهون إلى إحياء الموتى خلافا لأبي القاسم القشيري، ومن ثم قال الزركشي: ما قاله ضعيف، والجمهور على خلافه، وقد أنكر عليه حتى ولده أبو نصر في كتابه المرشد، فقال عقب تلك المقالة: والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامة للأولياء، وكذا في إرشاد إمام الحرمين، وفي شرح مسلم للنووي تجوز الكرامات بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، وخصها بعضهم بإجابة دعوة ونحوها، وهذا غلط من قائله وإنكار للحس، بل الصواب جريانها بانقلاب الأعيان ونحوه.

٣ – ما ذكره الصاوي والنفراوي

قال الصاوي (حاشية الصاوي على الشرح الصغير ص ٥٦٤): قال في حاشية المجموع: ورأيت بخط النفراوي شارح الرسالة: لو أحي ميت كرامة لولي، ثم مات وجب له غسل وتجهيز.

الفصل الحادى عشر

ما ذكروه بشأن من وقع منهم إحياء الموتى والكلام فيه يقع في مبحثين :

المبحث الأول

فيمن ذكروا بشأنهم أنهم أحيوا الموتى

العلماء لا يقولون فقط بإمكان أن يصدر إحياء الموتى من الأولياء، بل يقولون بوقوع ذلك، وقد ذكروا موارد عديدة منها:

١ – من مات حماره فأحيا هـ:–

يقول الشيخ ابن تيمية فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨١أثناء بيانه لكرامات الأولياء: ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيئة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا حماره فحمل عليه متعا هـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني فى الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص ٢٢٧ رقم ٣٩٨٨: شيبان النخعي له إدراك، روى إبراهيم الحربي من طريق مجالد، عن الشعبي قال: خرج رجل من النخع يقال له شيبان في جيش على حمار له في زمن عمر فوقع الحمار ميتا فدعاه أصحابه ليحملوه ومتاعه فامتنع، فقام فتوضأ ثم قام على رأسه فقال: اللهم إني أسلمت لك طائعا وهاجرت مختارا في سبيلك ابتغاء مرضاتك وإن حماري كان يعينني ويكفيني عن الناس فقوني به وأحيه

لي ولا تجعل لأحد علي منة غيرك، فنفض الحمار رأسه وقام فشد عليه ولحق بأصحابه.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت ص ٢٩، ٣٠ : حدثنا إسحاق بن إسماعيل، وأحمد بن بجير وغيرهما، قالوا: حدثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله، فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلى ثم قال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهدا في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، فلا تجعل لأحد علي منة وإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري، ثم قام إلى الحمار فضربه، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه. فقالوا: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث لي حماري. قال الشعبي: فأنا رأى ذلك الحمار بيع أو يباع بالكناسة.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا بعد ذلك: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبدالله بن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي سبرة النخعي نحوه.

٢ – إحياء الفرس:-

قال ابن تيمية أيضا فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٠: وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى

بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل الرطب وبقي الثوب عند زوجته زمانا.

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب مجابوا الدعوة ص ٩٥ ح ٥٥ :(حدثنا زهير بن حرب، حدثنا إبراهيم بن إسحاق، عن ابن المبارك، عن مستلم بن سعيد، عن حماد بن جعفر بن زيد العبدي، عن أبيه قال: خرجنا غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم فلما دنونا من أرض العدو قال الأمير: لا يشذن من العسكر أحد، فذهبت بغلة صلة بثقلها فأخذ يصلي فقيل: إن الناس قد ذهبوا فقال: إنما هما خفيفتان قال: فدعا ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد علي بغلتي وثقلها، قال: فجاءت حتى وقفت بين يديه).

وقال الحافظ المعروف عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد ص ٢٩٦ ح ٨٦٣: أخبرنا مستلم بن سعيد الواسطي، قال أخبرنا حماد بن جعفر ابن زيد أراه، قال العبدي أن أباه أخبره، قال: خرجنا في غزوة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، قال: فنزل الناس عند العتمة فقلت: لأرمقن عمله، فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت قد هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبا منا ودخلت في إثره، فتوضأ ثم قام يصلى فافتتح أرض العدو قال الأمير: لا يشذن أحد من العسكر،

فذهبت بغلته بثقلها، فأخذ يصلي وقالوا له: إن الناس قد ذهبوا، فمضى ثم قال لهم: دعوني أصلي ركعتين. فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا. قال: إنهما خفيفتان، فدعا ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد إلي بغلتي وثقلها، فجاء حتى قامت بين يديه .

أقول: وأخرجه محمد بن نصر بن الحجاج المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ج٢ ص ٨٣٢ ح ٨٣٦)، وذكر القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة(ج٣ ص ٢١٧).

٣ – إحياء الدجاجة:–

قال ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثيةص ١٠٨: وقال اليافعي رضي عنه: صح بالسند المتصل إلى الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى أن أم شاب عنده دخلت عليه وهو يأكل في دجاجة، فأنكرت أكله الدجاجة وإطعامه ابنها أرذل الطعام، فقال لها: إذا صار ابنك بحيث يقول لمثل هذه الدجاجة قومي بإذن الله فقامت ولها أجنحة وطارت بها حق له أن يأكل الدجاج وقال أيضا ص ٢٠٤: ... ومنه ما حكاه اليافعي رحمه الله وقال: مما علمناه بالسند الصحيح المتصل أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أكل دجاجة، ثم لما لم يبق غير العظم توجه إلى الله في إحيائها، فأحياها الله وقامت تجري بين يديه كما كانت قبل ذبحها وطبخها.

وقال أيضا نقلا عن اليافعي (ص ٣٠٣): ومن المشهور ما روي مسندا من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الأجلاء أن القطب الشيخ عبد

القادر نفع الله به جاءت إليه إمرأة بولدها وخرجت عنه لله وله، فقبله ثم أمره بالمجاهدة، فدخلت عليه يوما فوجدته نحيلا مصفرا يأكل قرص شعير، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظم دجاجة قد أكلها. فقالت: يا سيدي: تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير، فوضع يده على ذلك الطعام وقال: قومي بالله محي العظام، فقامت الدجاجة سوية وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء ...

٤ – الأم التي أحيت ولدها:-

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت(ص ٢٨، ٢٩)وراجع أيضا: البداية والنهاية ج٦ص ١٥٤)بسنده عن أنس بن مالك: عدت شابا من الأنصار، فما كان بأسرع أن مات، فأغمضناه، ومددنا عليه الثوب، فقال بعضنا لأمه: احتسبيه.

قالت: وقد مات؟!

قلنا: نعم. قالت: أحق ما تقولون؟! قلنا: نعم.

فمدت يدها نحو السماء وقالت: اللهم إني آمنت بك، وهاجرت إلى رسولك، فإذا أنزلت بي شدة شديدة ففرجتها، فأسألك اللهم أن لا تحمل علي هذه المصيبة اليوم.

قال: فانكشف الثوب عن وجهه، فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا.

٨ – الدجال يحي ويميت:–

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه. قال أبو إسحاق يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام. (١)

وهذا الخبر أخرجه عدة من الحفاظ منهم البخاري في صحيحه وأحمد بن حنبل وابن حبان وأبو بكر بن أبي شيبة والنسائي وأبو بكر بن أبي عاصم وابن مندة وأبو عمرو الداني وابن العديم في بغية الطلب ونعيم بن حماد والديلمي وابن بشكوال والمقدسي والحافظ ابن عساكر في تاريخه وغيرهم. (٢)

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص ٢٢٥٦ ح ٢٩٨٣. ...

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص٦٦٥ وج٦ ص ٢٦٠٨ ط. دار ابن كثير – دار اليمامة / بيروت سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، مجمع الزوائد

ج٧ ص ٣٤٣ وص ٣٥٠ ط. دار الريان للتراث / القاهرة – دار الكتاب العربي / بيروت سنة ١٤٠٧، السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص ٤٨٥ ح ٤٢٧٥ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م، المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص ٤٩٨ ح ٣٧٥٢٢ ط. مكتبة الرشد / الرياض سنة ١٤٠٩هـ، مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ٣٦ وج٥ ص ٣٦٤ وص ٤٣٤ ط١، الإيمان لابن مندة ج٢ ص ٩٣٦، ٩٣٧ ح ١٠٢٨ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٦ هـ، كتاب السنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني ج١ ص ١٧١ ح ٣٩٠ ط. المكتب الإسلامي / بيروت سنة ١٤٠٠هـ، السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني ج٦ ص ١١٩٦، ١١٩٧ ح ٦٦٤ ط. دار العاصمة / الرياض سنة ١٤١٦هـ، الفتن لنعيم بن حماد ج٢ ص٥٤٦ ح ١٥٣٠ وص ٥٥١ ح ١٥٤٧ ط. مكتبة التوحيد / القاهرة سنة ١٤١٢هـ.

الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ج٥ ص ٤٥٠ ح ٧٨٠٥ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٩٨٦م، غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال ج٢ ص ٥٧٦ ط. عالم الكتب / بيروت سنة ١٤٠٧هـ، الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٧٣٧، ط. دار الفكر / بيروت سنة ١٩٩٣، بغية الطلب في تاريخ حلب ج٧ ص ٣٣١٠ ط. دار الفكر / بيروت سنة ١٩٨٨م، البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص ٣٣٤ ط. مكتبة المعارف / بيروت، فضائل بيت المقدس ج١ ص ٦٠ ط. دار

الفكر / دمشق سنة ١٤٠٥هـ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٦ ص ٤٣٣ ط. دار الفكر / دمشق.

٩ – موارد أخرى لإحياء الأموات:–

يقول السبكي (طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٣٩)أثناء كلامه عن الأقوال في كرامات الأولياء: وأما جمهور أئمتنا فعمموا التجويز، وأطلقوا القول إطلاقا، وأخذ بعض المتأخرين يعدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة، وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها، النوع الأول: إحياء الموتى، واستشهد لذلك بقصة أبي عبيد البسري، فقد صح أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بسر فقامت الدابة تنفض أذنيها فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى بسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة فلما أخذه سقطت ميتة.

إلى أن قال: وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد أكلها وقوله لها قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سوية حكاية مشهورة،وذكروا أن الشيخ أبا يوسف الدهماني مات له صاحب فجزع عليه أهله فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له: قم بإذن الله. فقام وعاش بعد ذلك زمنا طويلا، وحكاية زين الدين الفارقي الشافعي مدرس الشامية شهيرة، وقد سمعتها من لفظ ولده ولي الله الشيخ فتح الدين يحيي فحكى لنا ما سنحكيه في ترجمة والده مما حاصله أنه وقع في داره طفل صغير من سطح فمات فدعى الله فأحياه، ولا سبيل إلى

استقصاء ما يحكى من هذا النوع لكثرته وأنا أومن به غير أنى أقول: لم يثبت عندي أن وليا حيى له ميت مات من أزمان كثيرة بعدما صار عظما رميما ثم عاش بعد ما حيى له زمانا كثيرا، هذا القدر لم يبلغنا ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء ولا شك فى وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام مثل هذا يكون معجزة ولا تنتهي إليه الكرامة، فيجوز أن يجيء نبي قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدهور ثم إذا عاشوا استمروا فى قيد الحياة أزمانا ولا أعتقد الآن أن وليا يحيى لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمانا طويلا كما عمرا قبل الوفاة بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهما قبل الوفاة.

الفصل الثاني عشر

في بيان عقيدتهم بشأن اتصال الأولياء في علومهم بالملائكة وعالم الغيب وبيانه يقع في عدة مباحث :

المبحث الأول

ما ذكروه بشأن لقاء الملائكة بغير الأنبياء عليهم السلام

من الأمور التي شنع فيها الوهابية على الصوفية لقاء الملائكة بالصالحين وهو أمر متسالم عليه عند اهل السنةوالجماعة، ولعمري ما النقد على الصوفية في ذلك إلا بسبب العصبية المفرطة والتحامل الشديد وقلة الإطلاع والجهل لدى المعترضين حتى بمعتقداتهم والاستعجال في إبداء الرأي، وقد ذكر البيضاوي فى تفسيره البيضاوي ص ٤٠٢ :أن الأولياء قد تطلعهم الملائكة على المغيبات، يقول في تفسيره المعروف: وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء (ع).

وقد ذكروا للقاء الملائكة بالصالحين عدة موارد منها:-

١ – نزول الملائكة على أسيد بن حضير لسماع قراءته

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضا قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال فغدوت على رسول الله صلى الله

عليه (وآله) وسلم فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: إقرأ بن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إقرأ بن حضير. قال فقرأت ثم جالت أيضا، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إقرأ بن حضير. قال: فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم.

صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج١ ص ٥٨٤ ح ٧٩٦ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت، صحيح البخاري ج٤ ص ١٩١٦ ط. دار ابن كثير – دار اليمامة / بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

في المعجم الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان. (١)

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص ١٣ ح ٨٠١٦ وص ٢٧ ح ٨٠٧٤ ط. دار الكتب العلمية / بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩١م، كرامات الأولياء ص ١٠٥، ١٠٦ ح ٢٥ ط. دار طيبة / الرياض سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ج٢ ص ٣٨٦، ٣٨٧ ح ١٨٠٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ٨١ ط.١،

الآحاد والمثاني ج٣ ص ٤٦٨ ح ١٩٢٨، المعجم الكبير ج١ ص ١٧٦ ح ٥٦١ وح٥٦٢، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٤٦ ط. دار المعرفة / بيروت سنة ١٤٠٨هـ، شعب الإيمان ج٢ ص ٥٤٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١٠هـ.

ويقول ابن تيمية (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٧٦): وكرامات الصحابة والتابعين من بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين ...

ويقول ابن حجر الهيثمي ص ١٠٨: وقد تنزلت الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير الكندي.

وأخرج الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة(ج٤ ص ٢٦٧ ح ١٤٦٤) بسنده عن أبي سعيدالخدري عن أسيد بن حضير وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن قال قرأت الليلة سورة البقرة وفرس له مربوط ويحيى ابني مضطجع قريب مني وهو غلام فجالت جولة فقلت: ليس لي هم إلا ابني، فسكنت ثم قرأت، فجالت الفرس فقمت ليس لي هم إلا ابني ثم قرأت فجالت الفرس، فرفعت رأسي فإذا شيء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهالتني فسكنت فلما أصبحت غدوت على رسول الله (ص) فأخبرته، فقال اقرأ يا أبا يحيى. قلت: قد قرأت يا رسول الله (ص) فجالت الفرس فقمت وليس لي هم

إلا ابني قال: قال: اقرأ يا أبا يحيى. قلت: قد قرأت يا رسول الله (ص) فجالت الفرس وليس لي هم إلا ابني فقال: إقرأ يا ابن حضير. قال: قد قرأت فرفعت رأسي فإذا كهيئة الظلة فيها مصابيح فهالتني فقال: ذلك الملائكة دنوا لصوتك ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم.

وقال أبو بكر البيهقي في الاعتقاد (والهداية إلى سبيل الرشاد ص ٢٠١): وقد روينا نزول الملائكة للقرآن عند قراءة أسيد بن حضير،وذلك أنه رأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فقال النبي (ص): تلك الملائكة أتت لصوتك.

٢ – تسليم الملائكة على عمران بن الحصين:–

قال أبو بكر البيهقي في الاعتقادوالهداية إلى سبيل الرشاد ص ٢٠١: وروينا تسليم الملائكة على عمران بن حصين، وروينا عن جماعة من الصحابة أن كل واحد رأى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي. وقال أيضا في دلائل النبوةج٧ ص ٧٩: باب ما جاء في رؤية عمران بن حصين الملائكة وتسليمهم عليه، وذهابهم عنه حين اكتوى، وعودهم إليه بعد ما تركه. (٢)

وأخرج مسلم في صحيحه(ج٢ ص ٨٩٩ ح ١٢٢٦) بسنده عن حميد بن هلال عن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين أحدثك

حديثا عسى الله أن ينفعك به، إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم جمع بين حجة وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه وقد كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد.

وقال البيهقي فى (دلائل النبوة ج٧ ص ٧٩): أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، قال أخبرنا محمد بن أيوب، قال أخبرنا مسلم بن إبراهيم، قال حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي، قال: حدثنا محمد بن واسع، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، قال: قال لي عمران بن حصين ذات يوم: إذا أصبحت فأغد علي، فلما أصبحت غدوت عليه، فقال لي ما غدا بك؟ قلت: الميعاد. قال: أحدثك حديثين، أما أحدهما فاكتمه علي، وأما الآخر فلا أبالي أن تفشيه علي، فأما الذي تكتم علي، فإن الذي كان انقطع قد رجع، يعني تسليم الملائكة، والآخر: تمتعنا مع رسول الله (ص) قال فيها رجل برأيه ما شاء. (١)

وقال الامام النووي في شرح الحديث المتقدم عن مسلم في صحيحه(ج٨ ص ٢٠٦): ومعنى الحديث أن عمران بن الحصين رضى الله عنه كانت به بواسير فكان يصبر على المهمات، وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه ... الخ.

وقال أيضافى (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج٢ ص ٣٥١): وفي صحيح مسلم عن عمران قال قد كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت الكي فعاد يعني كانت الملائكة تسلم عليه ويراهم عيانا كما جاء مصرحا به في صحيح مسلم.

وقال ابن العماد الحنبلي(شذرات الذهب ج١ ص ٥٨ وفيات عام ٥٢ هـ)) أثناء حديثه عن عمران بن الحصين: وكان يسمع تسليم الملائكة عليه حتى اكتوى بالنار فلم يسمعهم عاما ثم أكرمه الله برد ذلك.

وأخرج أبو داود في سننه(ج٤ ص ٥) بسنده عن مطرف، عن عمران بن حصين قال: نهى النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عن الكي فاكتوينا فما أفلحن ولا أنجحن. قال أبو داود: وكان يسمع تسليم الملائكة فلما اكتوى انقطع عنه فلما ترك رجع إليه.

وتسليم الملائكة على عمران بن الحصين رواه عدد من الحفاظ بألفاظ متعددة منهم أبو نعيم الإصبهاني وابن عبد البر الأندلسي وابن سعد. (لمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ج٣ ص ٣٢٦ ح ٢٨٤٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٩٩٦م، الطبقات الكبرى ج٤ ص ٢٨٩ ط. دار صادر / بيروت).

وقال القرطبي فى (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٨٣)أثناء حديثه عن كرامات الصحابة: ومن ذلك أن عباد بن بشير أو أسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه

(وآله) وسلم فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج، وقد قدمنا مثل هذا ومن ذلك أن سلمان أو أبا الدرداء كانت بينهما قصعة فسبحت حتى سمعا تسبيحها، وقد تظاهرت الأخبار بأن جماعة منهم رأوا الملائكة وكانت تسلم عليهم مثل عمران بن حصين و أسيد ابن حضير، والأخبار في هذا كثيرة.

٣ – من رأى الملائكة تكتب الحجاج :-

يقول ابن تيميةفي (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٦): ... ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ومنهم من يطير بهم الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجا شرعيا بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة ولا يطوف بالبيت ولا يسعى بين الصفا والمروة ولا يرمى الجمار بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج، ولهذا رأى بعض هؤلاء الملائكة تكتب الحجاج فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج يعنى حجا شرعيا.

٤ – من تحدث مع الملائكة بعدما دافعت عنه:-

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الهواتف ص ٢٤ ح١٤: حدثنا عيسى بن عبد الله التميمي، أخبرني فهير بن زياد الأسدي، عن موسى بن وردان، عن الكلبي –وليس بصاحب التفسير –، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: كان رجلا من أصحاب النبي صلى

الله عليه (وآله) وسلم من الأنصار يكنى أبا معلق، وكان تاجرا يتجر بماله ولغيره يضرب به في الآفاق، وكان يزن بسدد وورع، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك. قال: ما تريد إلى دمي، شأنك بالمال فقال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك، قال: أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات. قال: صل ما بدا لك. قال: فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في أخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني يا مغيث – ثلاث مرات – قال: دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله، ثم أقبل إليه فقال: قم. قال: من أنت؟ بأبي أنت وأمي، فقد أغاثني الله بك اليوم. قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي: دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس رضي الله عنه: فاعلم أنه من توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب.

أقول: وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضا في كتاب مجابوا الدعوة، وأخرجه أيضا ابن الأثير في أسد الغابة. (١)

(١) مجابوا الدعوة ص ٦٤ ح٢٣، أسد الغابة ج١ ص ١٢٤٨، وراجع أيضا: ألإصابة في تمييز الصحابة ج٧ ص ٣٧٩ رقم ١٠٥٥١ ط. دار الجيل / بيروت سنة ١٤١٢هـ، الجواب الكافي لابن قيم الجوزية ص ٧ ط. دار الكتب العلمية / بيروت.

الفصل الثالث عشر

خروج الميت من قبره وسماع صوته ورؤيته:-

ان الشيخ ابن تيمية يقول بجواز خروج الميت من قبره ويمشي على الارض حيث قال في مجموع الفتاوى له (٥/٥٢٦) ما نصه: (وقد يقوى الامر حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك ببدنه ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد اصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه ايضا اذا قوي الامر، لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت، كما ان قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم، بل هو بحسب قوة الامور..)اه.

وقال ايضا ما نصه: "واذا عرف أن النائم يكون نائما وتقعد روحه، وتقوم وتمشى وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالا وأمورا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع وعينيه مغمضة وفمه مطبق، ويتكلم ويصيح لقوة الأمر فى باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت فى قبره، فإن روحه تقعد وتجلس وتسأل وتنعم وتعذب وتصيح، وذلك متصل ببدنه مع كونه مضطجعا فى قبره، وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك فى بدنه، وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشى ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين فى قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوى

الأمر، لكن هذا ليس لازما فى حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر". مجموع الفتاوى (٥/٥٢٥).

(إمكانية رؤية أو سماع عذاب القبر حاصلة ، فإن روحه تقعد وتجلس وتسأل وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببدنه ، مع كونه مضطجعا في قبره) .

وقال ايضا فى(مجموع الفتاوى ٥/٥٢٦) :-(وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه ، وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به ، فيتحرك ببدنه ويمشي ويخرج من قبره ، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم ، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ، ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوى الأمر ، لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت ، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم ، بل هو بحسب قوة الأمور) ..

اقول :-

ما ذكروه الشيخ ابن تيمية بخروج الميت من قبره يفيد الالتقاء بالرسول الأعظم (ص) في اليقظة

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد :

(روى الطبراني بإسناد حسن عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أدع الله لي بشهادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم حرم دم بن ثعلبة على المشركين والكفار فقال

فكنت أحمل في عرض القوم فيتراءى لي النبي صلى الله عليه وسلم خلفهم فقيل يا بن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يتراءى لي خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده ثم يتراءى لي أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي قال فعمر زمانا طويلا من دهره)

فهذا حديث صريح على رؤياه صلى الله عليه وسلم في اليقظة ورد عن صحابي جليل والحديث حسن يقول أعلم أهل الأرض بالحديث الحافظ بن حجر الهيثمي ، فخذ أو دع وارفع أو ضع ، وأمسك عليك لسانك .

وقعود الميت في قبره ورد في السنة الصحيحة أحاديث تثبت ذلك منها:

حديث أنس (رضى اله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم)قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ...الحديث). البخاري (الجنائز ح ١٣٢٨)،

ومسلم (الجنة ح ٢٨٧٠).

وحديث البراء بن عازب(رضى اله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله ...الحديث).

البخاري (الجنائز ح ١٣٦٩).

وإن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ليست من المسائل التشريعية التي يترتب عليها زيادة في الدين، أو نقص فيه، وإنما هي مسألة واقعية يتحمل مسئوليتها من ادعى ذلك، وهي من قبيل المبشرات، ومن قبيل الكرامة، وهذه الرؤية لا تتنافى مع كونه صلى الله عليه وسلم انتقل من حياتنا هذه، ولا يلزم منها دعوى الصحبة، ولا يترتب عليها أي شيء.

إذا عرفنا ذلك ننظر هل هذه الدعوى مستحيلة عقلا أو لا ؟

فالمستحيل العقلي هو وجود أي ذات في مكانين في وقت واحد، ودعوى رؤيته صلى الله عليه وسلم لا يلزم منها وجوده في مكانين في وقت واحد؛ إذ مكانه صلى الله عليه وسلم روضته الشريفة يحيا فيها صلى الله عليه وسلم يصلي لربه ويأنس به، كما أن الأنبياء جميعهم أحياء في قبورهم، فعن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » . أخرجه أبو يعلى ، والديلمي

ويؤكده قوله صلى الله عليه وسلم : « مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره ») . أخرجه أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن حبان

ورؤيته صلى الله عليه وسلم لا تعد إلا أن تكون انكشافا للولي عن حاله الذي هو في قبره صلى الله عليه وسلم يقظة، وهذا لا ينكره العقل، ويؤيده النقل فقد ثبت عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله

عنه أنه كان يخطب فكشف الله له عن حال سارية – كرامة له رضى الله عنه – وهو في بلاد نهاوند بفارس، وناداه قائلا : « يا سارية الجبل الجبل، وسمع سارية النداء » . رواه الطبراني في تاريخه، وابن عبد البر في الاستيعاب، وذكره ابن حجر في الإصابة.

وطالما جاز وقوعه لغير النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقتصر على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أو حتى الصحابة وحدهم، وكذلك المرئي فقد يكون سارية أو غيره.

... وقد تكون الرؤية رؤية صورة النبي صلى الله عليه وسلم الحقيقية بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم في مكانه في روضته الشريف، والرائي رأى صورته الشريفة وتسمى صورة من عالم المثال، وذلك ينتج من كثرة المحبة والتفكير في شخصه الشريف صلى الله عليه وسلم ، فالإنسان قد تتعدد صورته بتعدد الأسطح العاكسة كالمرايا وغيرها.

... وقد ورد النص النبوي الذي يؤكد إمكانية وقوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، فعن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » . أخرجه البخاري ،ومسلم ، وأبو داود.

فعبارة النبي صلى الله عليه وسلم «فسيراني في اليقظة» تدل على إمكان رؤيته له في حياته، وتخصيص اليقظة بيوم القيامة بعيد، لأمرين:–

الأول: أن أمته صلى الله عليه وسلم ستراه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره.

الثاني: أن الحديث لم يقيد اليقظة بيوم القيامة، وهذا التخصيص بغير مخصص تحكم ومعاندة.

ولقد ثارت هذه المسألة في زمن العلامة السيوطي فصنف كتابا خاصا وسماه : «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» وقال في مقدمته : «فقد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه، وادعوا أنه مستحيل، فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها« : (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك)، ولقد ساق في تلك الرسالة الأدلة والبراهين على جواز وإمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وكذلك سماع صوته صلى الله عليه وسلم والملائكة.

يقول ابن حجر الهيثمي فى الفتاوى الحديثية: « أنكر ذلك جماعة وجوزه آخرون وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لا يتهم من الصالحين، بل استدل بحديث البخاري (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) أي بعيني رأسه، وقيل بعين قلبه.

... واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ؛ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره في المنام. وفي شرح ابن أبي جمرة للأحاديث التي انتقاها من

البخاري ترجيح بقاء الحديث على عمومه في حياته ومماته لمن له أهلية الإتباع للسنة ولغيره. قال : «ومن يدعي الخصوص بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسف، ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدق بقول الصادق، وبأنه جاهل بقدرة القادر وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة » .

ويقول العلامة النفراوي المالكي فى الفواكه الدواني: « يجوز رؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام باتفاق الحفاظ، وإنما اختلفوا هل يرى الرائي ذاته الشريفة حقيقة أو يرى مثالا يحكيها، فذهب إلى الأول جماعة وذهب إلى الثاني : الغزالي، والقرافي، واليافعي، وآخرون، واحتج الأولون بأنه سراج الهداية، ونور الهدى، وشمس المعارف كما يرى النور والسراج والشمس من بعد، والمرئي جرم الشمس بأعراضه فكذلك البدن الشريف، فلا تفارق ذاته القبر الشريف، بل يخرق الله الحجب للرائي ويزيل الموانع حتى يراه كل راء ولو من المشرق والمغرب، أو تجعل الحجب شفافة لا تحجب ما وراءها، والذي جزم به القرافي أن رؤياه مناما إدراك بجزء لم تحله آفة النوم من القلب فهو بعين البصيرة لا بعين البصر بدليل أنه قد يراه الأعمى. وقد حكى ابن أبي جمرة وجماعة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة . وروي : «من رآني مناما فسيراني يقظة». ومنكر ذلك محروم؛ لأنه إن كان ممن يكذب بكرامات الأولياء، فالبحث معه

ساقط لتكذيبه ما أثبتته السنة أشار إلى جميع ذلك شيخ مشايخنا اللقاني في شرح جوهرة التوحيد»

وقال ابن الحاج في المدخل : « بل بعضهم يدعي رؤيته عليه الصلاة والسلام ، وهو في اليقظة وهذا باب ضيق، وقل من يقع له ذلك الأمر إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان، بل عدمت غالبا، مع أنا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم » .

بل إن الشيخ عليش فى (فتح العلي المالك)تكلم عن أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب تأييد آراء العلماء المجتهدين، فقال : «وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : لا يصح خروج شيء من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبدا عند أهل الكشف قاطبة، وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم في الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسؤاله عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة : هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا ؟ يقظة ومشافهة وكذلك كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن كل شيء من الكتاب والسنة قبل أن يدونوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به ويقولون يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا فهل ترضاه أم لا، ويعملون بمقتضى قوله وإشارته صلى الله عليه وسلم ، ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه

وسلم من حيث الأرواح، قلنا له : هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين » .

واختلف العلماء في قوله : " فسيراني في اليقظة "، فذهبت طائفة أن المراد به رؤيته صلى الله عليه و سلم يوم القيامة ، و قال بعضهم : لا فائدة في التخصيص لأن كل أمته سيرونه يوم القيامة من رآه و من لم يره ، وقيل إن : المراد هو من آمن به قيد حياته و لم يره ، لكونه حينئذ غائبا، فيكون مبشرا له أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته و قال قوم : هو ظاهره فمن رآه في النوم فلا بد أن يراه في اليقظة بعين رأسه، وقيل بعين قلبه : (كتاب المدخل لابن الحاج).

فالأنبياء بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كحال الشهداء، و قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج جماعة منهم ، و صلى بهم إماما في بيت المقدس و أخبر خبره، و خبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه، و إن سلامنا يبلغه ، و إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، إلى غير ذلك مما يحصل القطع بان موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا، بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجدين أحياء، كحياة الملائكة فإنهم موجودون أحياء ، ولا يراهم احد إلا من خصه الله تعالى بكرامة: "كتاب الاعتقاد للبيهقي ".

وكحال الشهداء في سبيل الله، حيث قال الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء

عند ربهم يرزقون). فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة لأحد الموتى من الشهداء وحالهم أعلى وأفضل ممن لم يكن لهم هذه الرتبة، لاسيما في البرزخ ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل إنما حصلت لهم هذه الرتبة بتزكيته وتبعيته، وأيضا إنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة ،والشهادة حاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم على أتم الوجوه : " كتاب تنوير الحالك للسيوطي "

وخلاصة القول: إن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه، وانه يتصرف ويسير في أقطار الأرض والملكوت حيث شاء، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت عنا الملائكة، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد كرامته برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك ولا داعي للتخصيص برؤية المثال ،كما أن الشيطان لا يتمثل بصورته المحمدية: "كتاب الإبريز لابن المبارك".

وقد اتفق الحفاظ رحمهم الله تعالى أن رؤيته صلى الله عليه وسلم جائزة، ولكن اختلفوا في هل يرى الرائي ذاته الشريفة حقيقة أو مثال يحاكيها، فذهب إلى الأول جماعة وذهب إلى الثاني الغزالي واليافعي وآخرون ، و احتج الأولون بأنه صلى الله عليه وسلم سراج الهدى ونور الظلام وشمس المعارف، فكما يرى نور السراج والشمس من مسافة بعيدة بجميع أعراضه و خواصه ، فكذلك الجسم الكريم و البدن

الشريف فلا يلزم مفارقته الروضة الشريفة ولا خلو الضريح المبارك منه، بل يخرق الله تعالى الحجب للرائي و يزيل عنه المانع حتى يراه وهو في مكانه، ويمكن على هذا أن يراه جماعة في أقصى المشرق والمغرب في زمنين أو مكانين مختلفين أو وقت واحد لا استحالة في ذلك ، و قد صدق الشاعر حين قال :

كالشمس من أين جئته *** يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

وقال الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في مؤلفه الذي ترجمه بـ [الإعلام بحكم عيسى عليه السلام] عند ذكره لعدة أمور استند فيها إلى أن سيدنا عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلا مانع من أن يأخذ عنه ما احتاج إليه من شريعته، ما نصه: "الثالث: أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامات الولي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم، ويجتمع به في اليقظة، ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب. وممن نص على ذلك من الشافعية: الغزالي، والمازري، والتاج ابن السبكي والعفيف اليافعي ومن أئمة المالكية: القرطبي، وابن أبي جمرة، وابن الحاج في المدخل" اهـ المراد منه بلفظه.

وحكى أيضا، أعني الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، في كتابه الذي ترجمه [بتنوير الحلك، في إمكان رؤية النبي والملك]، القول بإمكان رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة كذلك عن الشيخ أبي بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى في كتابه [قانون التأويل].

وذكر في [الجيش الكبير] أن اللقاني رحمه الله تعالى حكى اتفاق الحفاظ على جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام، وأنهم لم يختلفوا في ذلك، وإنما اختلفوا هل يرى الرائي ذاته الشريفة حقيقة أو مثالا يحكيها، فذهب إلى الأول جماعات، وذهب إلى الثاني القرافي، والغزالي اهـ. وذكر هذا الخلاف السيوطي في [تنوير الحلك] وقال بعده ما نصه: "وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال: رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته المعلومة إدراك للمثال. وهذا الذي قاله في غاية الحسن". قال، يعني السيوطي رحمه الله تعالى: "ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعدما قبضوا، وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي. وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء، وقد ألفنا فيها جزءا لطيفا" اهـ المراد منه بلفظه.

ثم قال بعد كلام هنا ما نصه: "فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم. فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد كرامته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال" اهـ منه بلفظه أيضا.

وهذا التحصيل صريح في أن الذي اعتمده السيوطي رحمه الله تعالى من الخلاف إمكان رؤيتهصلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بذاته الشريفة الحقيقية. وهو أيضا كاف في رد جميع ما يخدش في وجه صحته كما ترى.

وذكر في [الجيش الكبير] أن شيخ مشايخ المالكية أبا الحسن سيدي عليا الأجهوري رحمه الله تعالى نقل هذا التحصيل بلفظه في نوازله، فهو قائل به.

وقال الإمام الساحلي في [بغية السالك] بعد ما ذكر طبقات الناس في انطباع صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم في نفوسهم: "ووراء هذا ما هو أعلى درجة منه، وهو أن يراه بعين رأسه عيانا في عالم الحس. ولا تنكر هذا، فقد يكرم الله من يشاء من عباده بإقامة صورته الكريمة له حتى يشاهدها. وهذا من جائز الكرامات التي يتحف الله بها أولياءه" اهـ

قال الجلال السيوطي، أول كتابه [إنباء الأذكياء، لحياة الأنبياء]: "حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة على ذلك، وتواترت به الأخبار".

وذكر من الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: »أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر موسى عليه السلام فإذا هو حي في قبره يصلي قائما«.

ومن ذلك حديث: »الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

وعن ثابت البناني رضي الله عنه أنه قال لحميد الطويل: "هل بلغك أن أحدا يصلي في قبره غير الأنبياء؟" قال: "نعم"، وفي رواية: فقال: "اللهم ارزقني هذه الكرامة"، فروي أنه بقر على قبره فوجد قائما يصلي".

وذكر القبر في مثل هذه الأخبار دليل لحياة الجسد، إذ لو كان المراد الروح لم يحتج لتخصيصه بكونه في القبر". قاله في [تنوير الحلك].

وذكر في [إنباء الأذكياء] أيضا عن البيهقي: "أن من شواهد هذا الباب لقيه صلى الله عليه وسلم لجماعة من الأنبياء في ليلة الإسراء، وأنه كلمهم وكلموه، وأنه رأى سيدنا موسى قائما يصلي، وكذلك سيدنا عيسى، وكذلك سيدنا إبراهيم على جميعهم الصلاة والسلام".

وذكر في [الإنباء] أيضا عن دلائل النبوة أن سعيد بن المسيب قال: "لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر الشريف". وفي رواية عنه: "لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة". وفي رواية: "فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من القبر الشريف". وفي رواية الدارمي: "ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم".

ونقل في [الإنباء] أيضا عن القرطبي رحمه الله تعالى: "أن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن يغيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجدين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء لا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه" اهـ.

وذكر هنا كلام الشيخ عفيف الدين اليافعي، ونصه على نقله: "الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى موسى عليه الصلاة والسلام في قبره. وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة، جاز للأولياء كرامة، بشرط عدم التحدي. ولا ينكر ذلك إلا جاهل" اهـ. قال السيوطي بعد حكايته لكلام الشيخ عفيف الدين هذا رحمهما الله تعالى: "ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر" اهـ.

وسئل ابن حجر الهيتمي كما في الفتاوى الحديثيةص ٢٩٧: هل يمكن الآن الاجتماع بالنبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في اليقظة والتلقي منه؟

فأجاب بقوله: نعم يمكن ذلك، فقد صرح بأن ذلك من كرامات الأولياء الغزالي والبارزي والتاج السبكي والعفيف اليافعي من الشافعية، والقرطبي وابن أبي جمرة من المالكية، وقد حكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثا، فقال له الولي: هذا حديث باطل. قال: ومن أين لك هذا؟ قال: هذا النبي صلى الله عليه

(وآله) وسلم واقف على رأسك إني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه.

ويقول ابن العماد الحنبلي في ترجمته في شذرات الذهب(ج٨ ص ٥٣، ٥٤): وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتاب ترجمته : أنه كان يقول: رأيت النبي (ص) يقظة. فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم. فقلت: من غير عذاب يسبق؟ فقال: لك ذلك وقال الشيخ عبد القادر: قلت له: كم رأيت النبي (ص) يقظة؟ فقال: بضعا وسبعين مرة.

وفي تر جمة أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي قال السبكي فى (طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٤٠١ رقم ١٢٩٠): الشيخ الزاهد العابد صاحب الأحوال والكرامات المجمع على علمه ودينه كان شافعي المذهب أشعري العقيدة.

ثم قال: وقد ألف في مناقبه حفيده الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ أبي بكر مصنفا حسنا، وأنا أذكر بعض ما فيه. إلى أن قال: وكان يقول حضرت بين يدي رسول الله (ص)، وذلك أن الخضر عليه السلام جاءني في بعض الليالي وقال: قم يا أبا بكر، فقمت معه، فانطلق بي حتى أحضرني بين يدي رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (ع) والأولياء رضي الله عنهم، فسلمت عليهم فردوا علي السلام، فقال رسول الله (ص): يا أبا بكر. فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: إن الله قد اتخذك وليا فاختر لنفسك

واشترط فوفقني الله تعالى، وقلت: يا رسول الله أختار ما اخترته أنت لنفسك فسمعت قائلا يقول: إذا لا نبعث لك من الدنيا إلا قوتك ولا نبعثه إلا على يد صاحب آخرة، فقال رسول الله: تقدم يا أبا بكر فصل بنا، فهبت من رسول الله (ص) والصحابة والأولياء أن أتقدم فقلت في نفسي كيف أتقدم على جماعة فيهم رسول الله (ص) فقال رسول الله: تقدم فإن في تقدمك سر الولاية ولتكون إماما يقتدي بك فتقدمت بأمر رسول الله (ص) وصليت بهم ركعتين قرأت في الأولى بالفاتحة وإنا أعطيناك الكوثر وفي الثانية بالفاتحة وقل هو الله أحد.

وقال الحافظ السيوطي فى(الديباج (ج٥ ص ٢٨٦) أثناء كلامه عن رؤية الرسول الأكرم (ص): وطائفة على انه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه، وأن ذلك كرامة من كرامات الأولياء، ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها ...

ومما ذكره السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/٢٥٩ رسالة تنوير الحلك): "أن رجلا اسمه خليفة بن موسى النهر ملكي، أنه كان كثير الرؤية لرسول الله r يقظة ومناما، فكان يقال: إن أكثر أفعاله متلقاة منه بأمر منه إما يقظة وإما مناما".

والقائلين بروية اليقظة هم أكابر العلماء في هذه الأمة ونذكر منهم هنا على سبيل المثال لا الحصر

١- الحافظ بن أبي جمرة في شرحه على (مختصر صحيح البخاري)

٢- الحافظ جلال الدين السيوطي في (تنوير الحلك بروية النبي والملك)

٣- الحافظ بن حجر الهيثمي في كتابه (الفتاوي الحديثية) وفي كتابه (شرح الخمائل)

٤- الإمام بن الحاج في كتابه (المدخل)

٥- الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه (قانون التأويل)

٦- الإمام العلامة شرف الدين البارزي في كتابه (توثيق عرى الإيمان

٧- الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في (المنقذ من الضلال)

٨- الإمام العلامة عفيف الدين اليافعي في كتابه (روضة الرياحين)

٩- الإمام العلامة كمال الدين الأدفوي في (الطالع السعيد)

١٠- الإمام العلامة شهاب الدين الألوسي في (روح المعاني).

الفصل الرابع عشر

من تتنزل عليه كلمات من السماء:-

قال الابن عساكر فى (تاريخ مدينة دمشق ج٥ ص ٣٤٠): أخبرني أبو المظفر الصوفي، أنبأنا أبو بكر الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة، حدثني أبو محمد المقرئ البغدادي، حدثنا جعفر بن محمد صاحب بشر قال: اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من الرملة فإنها لعنده، إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية بلغتها علتي فجاءتني من الرملة تعودني قال فسلها تدعو لنا قالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما، فقال أحمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طرحت إلي رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ولدينا مزيد.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياءج٥ ص ٣٣٧: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن المذكر، حدثنا العباس بن حمدان، قال حدثنا محمد ابن يحيى، حدثنا عباد بن عمر، حدثنا مخلد بن يزيد، عن يوسف بن ماهك قال: بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز، إذ سقط علينا رق من السماء فيه: كتاب بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار. (١)

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاءج٥ ١٤٣: وروى ابن سعد وإسحاق بن سيار عن عباد بن عمر الواشحي المؤذن، حدثنا مخلد بن

يزيد وكان فاضلا خيرا، عن يوسف بن ماهك قال: بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذا سقط علينا كتاب رق من السماء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

وقال ابن كثير في تاريخه(البداية والنهاية ج٩ ص ٢١٠، ٢١١): قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن الدراوردي، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب،فقرأوها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه.

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد(ج١٢ ص ١١٢): أخبرني علي بن احمد الرزاز، أخبرنا عثمان بن احمد الدقاق، حدثنا محمد بن احمد بن المهدي، قال سمعت علي بن الموفق يقول: خرجت يوما لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته ووضعته في كمي فأذنت وأقمت وصليت، فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن الموفق تخاف الفقر وأنا ربك.

وذكر تلك القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة(ج٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٧٣).

الفصل الخامس عشر

فيما ذكروه بشأن المحدثين والكلام في هذا الفصل يقع في مبحثين :

المبحث الأول

فيما رووه بهذا الشأن:–

أخرج البخاري في صحيحه وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة وأبو بكر بن أبي عاصم واللالكائي الطبري وابن عساكر بالإسناد عن أبي هريرة عن الرسول الأكرم (ص) قال: إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب. (١)

(١) صحيح البخاري ج٣ ص ١٢٧٩ وص ١٣٤٩ ط. دار ابن كثير – دار اليمامة / بيروت سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، كتاب السنة لابن أبي عاصم ج٢ ص ٥٨٣ ح ١٢٦١ط. المكتب الإسلامي / بيروت سنة ١٤٠٠هـ، كرامات الأولياء للالكائي الطبري ص ٩٣ ح ٤١ ط. دار طيبة / الرياض سنة ١٤١٢هـ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص ٣٦١ ح ٥٢٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٤ ص ٩٤، فتح الباري ج٢ ص ٤١٨ ح ٣٦٨٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. ...

وأخرج مسلم في صحيحه وأحمد بن حنبل في المسند وفضائل الصحابة وإسحاق بن راهويه والحميدي والترمذي والنسائي في السنن

الكبرى والحاكم في المستدرك على الصحيحين ومعرفة علوم الحديث وأبو بكر الخلال وابن عساكر في تاريخه واللالكائي الطبري والديلمي والعقيلي بالإسناد عن عائشة عن الرسول الأعظم (ص) أنه (ص) كان يقول: قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم. (١)

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص ١٨٦٤ ح ٢٣٩٨ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت، المستدرك على الصحيحين ج٣ ص ٩٢ ح ٤٤٩٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، سنن الترمذي ج٥ ص ٦٢٢ ح ٣٦٩٣ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت، السنن الكبرى ج٥ ص ٣٩ ح ٨١١٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص ٥٥ط١، مسند الحميدي ج١ ص ١٢٣ ط. دار الكتب العلمية / بيروت - مكتبة المتنبي / القاهرة، مسند إسحاق بن راهويه ج٢ ص ٤٧٩ ح ١٠٥٨ ط. مكتبة الإيمان / المدينة المنورة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، كتاب السنة للخلال ج٢ ص ٣١٢ ح ٣٨٧ ط. دار الراية / الرياض سنة ١٤١٠هـ، كرامات الأولياء ص ٩٣ ح ٤٢، الفردوس بمأثور الخطاب ج٢ ص ٢٧٨ ح ٤٨٣٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٩٨٦م، كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي ج٢ ص ٢٥٥ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، معرفة علوم الحديث للحاكم ص

٢٢٠ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص ٣٥٤ ح ٥١٦ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٣٠٤هـ - ١٩٨٣م، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٤ ص ٩١، ٩٢، ٩٣. ...

أقول: ومن المحدثين معروف الكرخي: يقول ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة(طبقات الحنابلة ج١ ص٣٨٢): وقال إمامنا احمد للمروذي: إذا أخبرت عن معروف بشيء من أخبار السماء فاقبله).

المبحث الثاني

في تفسيرهم لمعنى المحدث:-

اختلف العلماء في تفسير معنى المحدث على عدة أقوال:

الأول: أنه الرجل الصادق الظن لكونه ممن ألقي في روعه شيء من الملأ الأعلى.

الثاني: أنه من يجري الصواب على لسانه.

الثالث: أنه الشخص الملهم من الله عز وجل بما يتطابق مع الواقع.

الرابع: أنه من تكلمه الملائكة بغير نبوة.

قال النووي في شرح صحيح مسلم(ج١٥ ص ١٦٦): واختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون، فقال ابن وهب: ملهمون. وقيل: مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا، وقيل: تكلمهم

الملائكة، وجاء في رواية متكلمون وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم، وفيه إثبات كرامات الأولياء).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني فى (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٧ ص ٥٠ شرح حديث ٣٤٦٨ ، وج٢ ص ٤٢١ شرح حديث ٣٦٨٩): محدثون بفتح الدال جمع محدث، وأختلف في تأويله، فقيل: ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو: الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلم، أي تكلمه الملائكة بغير نبوة، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه قيل: يا رسول الله، وكيف يحدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه. رويناه في فوائد الجوهري وحكاه القابسي وآخرون ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الأول أي تكلمه في نفسه وان لم ير مكلما في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام وفسره بن التين بالتفرس، ووقع في مسند الحميدي عقب حديث عائشة: المحدث الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه، وعند مسلم من رواية بن وهب: ملهمون وهي الإصابة بغير نبوة، وفي رواية الترمذي عن بعض أصحاب بن عيينة: محدثون يعني مفهمون وفي رواية الإسماعيلية قال إبراهيم يعني بن سعد راويه قوله: محدث أي يلقى في روعه انتهى، ويؤيده حديث إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، أخرجه الترمذي من

حديث ابن عمر، وأحمد من حديث أبي هريرة، والطبراني من حديث بلال، وأخرجه في الأوسط من حديث معاوية، وفي حديث أبي ذر عند أحمد وأبي داود يقول به بدل قوله وقلبه، وصححه الحاكم وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمر نفسه.

وقال الطيبي حسب ما ينقله عنه ابن حجر(فتح الباري ج٧ ص ٥١ط. دار المعرفة وج٢ ص ٤٢١): المراد بالمحدث الملهم البالغ في ذلك مبلغ النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في الصدق، والمعنى: لقد كان فيما قبلكم من الأمم أنبياء ملهمون، فإن يك في أمتي أحد هذا شأنه فهو عمر، فكأنه في انقطاع قرينة في ذلك، هل نبي أم لا لذلك أتى بلفظ إن ويؤيده حديث لو كان بعدي نبي لكان عمر.

وقال المناوي فى (فيض القدير ج٤ ص ٥٠٧): قال القرطبي الرواية بفتح الدال اسم مفعول جمع محدث بالفتح أي ملهم أو صادق الظن وهو من ألقي في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملإ الأعلى، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد أو تكلمه الملائكة بلا نبوة، أو من إذا رأى رأيا أو ظن ظنا أصاب كأنه حدث به وألقى في روعه من عالم الملكوت، فيظهر على نحو ما وقع له، وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء، فإن يك من أمتي منهم أحد هذا شأنه، وفي رواية بدله وإن يكن في أمتي من أحد فإنه عمر بن الخطاب كأنه جعله في انقطاع قرينه في ذلك كأنه نبي فلذلك أتى بلفظ إن بصورة الترديد).

وقال ابن تيمية أثناء حديثه عن سيدناعمر بن الخطاب فى (العقيدة الأصفهانية ص ١٥٧) :(أفضل الأولياء المحدثين الملهمين المخاطبين).

وقال أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٠ ص ٣٧٦):

والمحدث: الملهم المخاطب.

وقال أيضا فى(مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ١٨٥) : المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه.

وقال ابن قيم الجوزية في بدائع الفوائد ج١ ص ٨٠: والتحديث المذكور هو ما يلقى في القلب من الصواب والحق وهذا طريقه السمع الباطن وهو بمنزلة التحديث والإخبار في الأذن.

وقال في إعلام الموقعين ج٤ ص ١٤٢: والمحدث هو المتكلم الذي يلقى الله في روعه الصواب يحدثه به الملك عن الله.

وقال ايضا فى مدارج السالكين ج ١ص ٤٩:[فصل المرتبة الرابعة مرتبة التحديث](وهذه دون مرتبة الوحي الخاص، وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت ل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب" .

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة ب " إن " الشرطية، مع أنها أفضل الأمم، لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء

هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم، ولا صاحب كشف ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها.

والمحدث: هو الذي يحدث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث به.

قال شيخنا: والصديق أكمل من المحدث، لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول، فاستغنى به عما منه.

قال: وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قبله، وإلا رده، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث.

الشيخ ابن تيمية فى كتاب النبوات ص ١٦٧ :(وليس كل من أوحي إليه الوحي العام يكون نبيا؛ فإنه قد يوحى إلى غير الناس؛ قال تعالى: {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون} ، وقال تعالى: {وأوحى في كل سماء أمرها}. وقال تعالى عن يوسف وهو صغير: {فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون} وقال تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} ٤ ، وقال تعالى: {وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي}.

وقوله: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا} ؛ يتناول وحي الأنبياء، وغيرهم؛ كالمحدثين الملهمين؛ كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم".

وقال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في منامه).

معنى المحدث والملهم فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديث الذي هو لهم [خطاب] ،..).

وقال ايضا ج١ص ٥٨:([فصل المرتبة التاسعة مرتبة الإلهام][الإلهام هو مقام المحدثين]فصل المرتبة التاسعة مرتبة الإلهام:

قال تعالى {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} [الشمس: ٧]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ل حصين بن منذر الخزاعي لما أسلم "قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي" .

وقد جعل صاحب المنازل الإلهام هو مقام المحدثين، قال: وهو فوق مقام الفراسة، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة، واستصعبت على صاحبها وقتا، أو استعصت عليه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.

قلت: التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه "إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر" يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص، وهو

الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} [القصص: ٧] وقوله {وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي} [المائدة: ١١١] وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون} [النحل: ٦٨] فهذا كله وحي إلهام.

وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة ربما وقعت نادرة كما تقدم، والنادر لا حكم له، وربما استعصت على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقام القرب والحضور.

والتحقيق في هذا أن كل واحد من " الفراسة " و " الإلهام " ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيرا، وخاصه قد يقع نادرا، ولكن الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة).

وقال البيهقي في الاعتقاد: وعن عبد الله بن مسعود ما رأيت عمر قط إلا وكان بين عينيه ملكا يسدده، وعن عبد الله بن عمر قال كان عمر يقول القول فننتظر متى يقع.

قال البيهقي فى (كتاب الاعتقاد ص ٣١٥)بعد ذلك: وكيف لا تكون وقد قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر بن الخطاب، وهذا الحديث أهل في جواز كرامات الأولياء وفي قراءة أبي بن كعب: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) ولا محدث. وقرأها ابن عباس كذلك، ثم في بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أنه قيل: كيف يحدث؟ قال يتكلم الملائكة على لسانه، وذلك يوافق ما روينا عن علي (ع) وعبد الله في عمر .

المبحث الثالث

الفراسة

الفراسة وردة في الكتاب والسنة المطهرة، قال تعالى: {إن في ذلك لآيات للمتوسمين} .

وقال)صلى الله عليه وسلم) : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين).

قال الترمذي: " وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) قال للمتفرسين". أخرجه الترمذي (التفسير ح ٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري. قال التترمذي: "هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه".

وقال الله عزوجل في الحديث القدسي الجليل:(من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته). أخرجه البخاري (الرقاق ح ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة.

وقال العلامة القنوجي: "عده صاحب مفتاح السعادة من فروع العلم الطبيعي، وقال: هو علم تعرف منه اخلاق الناس من احوالهم الظاهرة من الالوان والاشكال والاعضاء وبالجملة الإستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن وموضوعه ومنفعته ظاهران". أبجد العلوم (٣٩٦/٢).

قال ابن تيمية فى توحيد الألوهية (٩/٤): " من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم، فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى، مثل المعقول والقياس والرأي والكلام والنظر والاستدلال، والمحاجة والمجادلة والمكاشفة والمخاطبة والوجد والذوق ونحو ذلك، وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها، فهم أكمل الناس عقلا وأعدلهم قياسا وأصوبهم رأيا، وأسدهم كلاما وأصحهم نظرا وأهداهم استدلالا، وأقومهم جدلا

وأتمهم فراسة وأصدقهم الهاما، وأحدهم بصرا ومكاشفة وأصوبهم سمعا ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجدا وذوقا، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل".

وروى الخطيب بسنده فى (تاريخ بغداد ١٤/٢٤٨)) فقال: (كان أبو حنيفة حسن الفراسة! فقال لداود الطائي: أنت رجل تتخلى للعبادة! وقال لأبي يوسف: تميل إلى الدنيا! وقال لزفر وغيره كلاما فكان كما قال).

المبحث الرابع

الرؤيا

قال الشيخ ابن القيم فى مدارج السالكين (ج١ص٦٠-٦٣)

[فصل المرتبة العاشرة الرؤيا الصادقة]:(فصل المرتبة العاشرة من مراتب الهداية: الرؤيا الصادقة وهي من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة" .

(إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة، والرؤيا مبدأ الوحي، وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا، وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا، وأما في زمن قوة نور النبوة ففي ظهور نورها وقوته ما يغني عن الرؤيا.

ونظير هذا الكرامات التي ظهرت بعد عصر الصحابة، ولم تظهر عليهم، لاستغنائهم عنها بقوة إيمانهم، واحتياج من بعدهم إليها لضعف إيمانهم، وقد نص أحمد على هذا المعنى، وقال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له" وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما أروا ليلة القدر في العشر الأواخر، قال "أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان منكم متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان" .

والرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام" .انتهي المراد بحزف واختصار

العمل بالروياء:–

قال الشيخ ابن القيم فى كتاب الروح :(قد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الأشبيلى على هذا فقال ذكر ما جاء أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم قال ذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان

يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ويروى هذا الحديث أبي هريرة مرفوعا قال فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام

قال ويروى من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم

واحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام قال وقال سليمان بن نعيم رأيت النبي في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم قال نعم وأرد عليهم قال وكان يعلمهم أن يقولوا إذا دخلوا المقابر السلام عليكم أهل الديار الحديث..الخ.

وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به أن النبي صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا لأخيكم التثيب فإنه الآن يسأل فأخبر أنه يسأل حينئذ وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال مات أخ لى فرأيته في النوم فقلت يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لهلكت

وقال شبيب بن شيبة أوصتني أمى عند موتها فقالت يا بنى إذا دفنتني فقم عند قبرى وقل يا أم شبيب قولى لا إله إلا الله فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت يا أم شبيب قولى لا إله إلا الله ثم انصرفت فلما كان

من الليل رأيتها في النوم فقالت يا بنى كدت أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله فقد حفظت وصيتى يا بنى.

وذكر ابن أبى الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عيينة قالت رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال جزى الله أخى أيوب عنى خيرا فإنه يزورني كثيرا وقد كان عندى اليوم فقال أيوب نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت إلى قبره.

وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف ابن مالك كانا متآخيين قال صعب لعوف أى أخى أينا مات قبل صاحبه فليتراءا له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد اتاه قال قلت أى أخى قال نعم قلت ما فعل بكم قال غفر لنا بعد المصائب قال ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت أى أخى ما هذا قال عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها وأعلم أن أى أخي انه لم يحدث في أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام واعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام فأستوصوا بها معروفا فلما أصبحت قلت إن في هذا لمعلما فأتيت أهله فقالوا مرحبا بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب قال فأتيت فأعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فأنزلته فأنتثلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير فبعثت بها إلى اليهودي فقلت هل كان لك على صعب شيء قال رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم هى له قلت لتخبرني قال نعم اسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه قال هى والله بأعيانها قال قلت هذه واحدة قال فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث قال قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ ايام فقلت هاتان اثنتان قلت أين أبنة أخى قالوا تلعب فأتيت بها فمسستها فإذا هى محمومه فقلت استوصوا بها معروفا فماتت في ستة أيام

وهذا من فقه عوف رحمه الله وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التي أخبره بها من أن الدنانير عشرة وهى في القرن ثم سأل اليهودى فطابق قوله لما في الرؤيا فجزم عوف بصحة الأمر فأعطى اليهودي الدنانير وهذا فقه إنما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهى لأيتامه وورثته إلى يهودى بمنام ونظير هذا من الفقه الذي خصهم به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرها أبو عمر بن عبد البر وغيره قال أبو عمر أخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا سعيد بن عفير وعبد العزيز بن يحيى المدني حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصارى عن ثابت ابن قيس بن شماس أن رسول قال له يا ثابت أما ترضي أن تعيش حميدا

وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قال مالك فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيدا.

قال أبو عمرو روى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثني عطاء الخراساني قال حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت يا أيها الذين آمنو لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي دخل أبو هابية وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله وأرسل إليه يسأله ما خبره قال أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى قال لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم أنزل الله {إن الله لا يحب كل مختال فخور} فأغلق عليه بابه وطفق يبكي ففقده رسول الله فأرسل إليه فأخبره فقال يا رسول الله إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومى فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا وأنكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ ذرع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضعيه إني لما قتلت أمس مربى رجل من المسلمين فأخذ ذرعى ومنزلة في أقصي الناس وعند خبائه فرس يستين في طوله وقد كفا على الدرع برمة وفوق البرمة رجل فأت خالدا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها وإذا قدمت

المدينة على الخليفة رسول الله يعني أبا بكر الصديق فقل له أن على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان فأتي الرجل خالدا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته قال ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله انتهى ما ذكره أبو عمرو.

فقد اتفق خالد أبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هى في يده وهذا محض الفقه).

وقال ايضا ابن القيم من كرمات الشيخ ابن تيمية:-

(وأما من حصل له الشفاء بإستعمال دواء رأى من وصفه له في منامه فكثير جدا وقد حدثنى غير واحد ممن كان غير مائل إلي شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب

وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها وبالله التوفيق). انتهي المراد من كتاب الروح

الفصل السادس عشر

ما ذكروه بشأن الإطلاع على المغيبات والكلام بالنسبة للإطلاع على المغيبات يقع في مبحثين :

المبحث اولأل

في بيان عقيدتهم بشأن إطلاع الأولياء على المغيبات

من جملة ما ذكروه في كرامات الأولياء هو إخبارهم بالمغيبات، وكلماتهم بذلك كثيرة جدا، ومنها:

الشيخ ابن تيمية:-

يقول ابن تيمية أيضا(مجموع فتاوى ابن تيمية ج٣ ص ١٥٦): ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم).

ويقول أيضافى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٠٥): فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات)..

ابن خلدون :-

ويقول ابن خلدون أثناء حديثه عن الصوفية فى (مقدمة ابن خلدون ص ٤٧١): (وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر).

وقال أبو سعد السمعاني في ترجمة شيخه أبي القاسم الجرموكي (التحبير في المعجم الكبير ج١ ص ٥٠١ رقم ٥٣٨.

): شيخ مقرئ فاضل صالح زاهد كثير العبادة، صاحب كرامات وآيات، ما كان يفارق مجلسه إلا في روينا الوضوء، وكان الشيخ معروفا بين أهل بلده بالكرامات والكلام على المغيبات.

وقال الفقيه الحنفي ابن عابدين أثناء رده على المعتزلة المنكرين لكرامات الأولياء وإطلاعهم على المغيبات في حاشيته (حاشية ابن

عابدين ج٣ ص ٢٧): قلت: (بل ذكروا في كتب العقائد أن جملة كرامات الأولياء الاطلاع على بعض المغيبات، وردوا على المعتزلة المستدلين بهذه الآية على نفيها بأن المراد الإظهار بلا واسطة والمراد من الرسول الملك أي لا يظهر على غيبه بلا واسطة إلا الملك أما النبي والأولياء فيظهرهم عليه بواسطة الملك أو غيره وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في رسالتنا المسماة سل الحسام الهندي لنصرة سيدنا خالد النقشبندي فراجعها فإن فيها فوائد نفيسة والله تعالى أعلم).

وقال الشيخ أبو الفضل بن عطاء حسب نقل ابن حجر العسقلاني عنه في شرح حديث (من عادى لي وليا الخ): وفيه دلالة على جواز إطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله ... (١)

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١١ ص ٣٤١ شرح حديث ٦١٧٣ ط. دار المعرفة / بيروت سنة ١٣٧٩هـ وج٣ ص ٣٩٤ شرح حديث ٦٥٠٢ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

ونقل ابن حجر العسقلاني فى (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١١ ص ١٦٢ شرح حديث ٥٩٩٦ وج٣ ص ٣٩٤ شرح حديث ٦٣٥٨) عن مجد الدين الشيرازي في شرح معنى الصلاة على النبي (ص) وآله (ع) نقلا عن بعض أهل الكشف حيث قال: والمراد بقوله (وعلى آل محمد) اجعل من أتباعه أناسا محدثين بالفتح ويخبرون

بالمغيبات كما صليت على إبراهيم بأن جعلت فيهم أنبياء يخبرون بالمغيبات، والمطلوب حصول صفات الأنبياء لآل محمد كما كانت حاصلة بسؤال إبراهيم.

قال ابن حجر: وهذا جيد إن سلم أن المراد بالصلاة هنا ما ادعاه والله أعلم.

ويقول ابن كثير فى (البداية والنهاية ج٦ ص ٢٠١): وقد ذكرنا في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياء كثيرة من مكاشفاته وما كان يخبر به من المغيبات كقصة سارية بن زنيم وما شاكلها ولله الحمد والمنة).

ويقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج٢ ص ٣٤٠) بشأن كرامات الأولياء: وأما جمهور أئمتنا فعمموا التجويز، وأطلقوا القول إطلاقا، وأخذ بعض المتأخرين يعدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة،وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها.

إلى أن قال: الرابع عشر الإخبار ببعض المغيبات والكشف وهو درجات تخرج عن حد الحصر).

وقال ايضا في ترجمة أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي (طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص ٤٠٣):(وقد ألف في مناقبه حفيده الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ أبي بكر مصنفا حسنا وأنا أذكر بعض ما فيه: (إلى أن قال نقلا عن حفيده: سمعته يوما وقد دخل إلى البيت وهو يقول لزوجته: ولدك قد أخذه

قطاع الطريق في هذه الساعة، وهم يريدون قتله وقتل رفاقه فراعها قول الشيخ رضي الله عنه فسمعته يقول لها: لا بأس عليك، وإني قد حجبتهم عن أذاه وأذى رفاقه، غير أن مالهم يذهب وغدا إن شاء الله يصل هو ورفاقه، فلما كان من الغد وصلوا كما ذكر الشيخ وكنت فيمن تلقاهم وأنا يومئذ ابن ست سنين وذلك سنة ست وخمسين وستمائة).

ومن عجيب ما ذكروه بشأن الإطلاع على المغيبات كلام ابن القيم أن شيخة ابن تيمية يعلم بوقت وفاة الناس وقبض أرواحهم،

ومن ذلك ما ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج٨ ص ٣٧ رقم ١٠٥٨)في ترجمة أبي العباس الملثم ناقلا عن أحد أقرب خواصه حيث قال: قال عبد الغافر: وكنت عزمت على الحجاز وحصل عندي قلق زائد فأنا أمشي في الليل في زقاق مظلم وإذا يد على صدري فزاد ما عندي من القلق، فنظرت فوجدته الشيخ أبا العباس فقال: يا مبارك القافلة التي أردت الرواح فيها تؤخذ والمركب الذي يسافر فيه الحجاج يغرق، فكان الأمر كذلك، قال وكان الشيخ أبو العباس لا يخلو عن عبادة يتلو القرآن نهارا ويصلي ليلا، قال وكان أبوه ملكا بالمشرق. قال: وقلت له يوما: يا سيدي أنت تقول فلان يموت اليوم الفلاني، وهذه المراكب تغرق وأمثال ذلك والأنبياء عليهم السلام لا يقولون ولا يظهرون إلا ما أمروا به مع كمالهم وقوتهم، ونور الأولياء إنما هو رشح من نور النبوة، فلم تقول أنت هذه الأقوال؟

فاستلقى على ظهره وجعل يضحك ويقول وحياتي وحياتك يا فتى ما هو باختياري).

ما ذكروه بشأن إخبارسيدنا أبي بكر (رضى الله عنه) بالمغيبات:–

مما ذكروه من إخبار سيدنا أبي بكر بالمغيبات ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أنها قالت: أن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلي غنى بعدي منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا، فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة: فقلت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى، فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية).

(١) موطأ مالك برواية يحي بن يحي الليثي ج٢ ص ٧٥٢ ح ١٤٣٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار إحياء التراث العربي / القاهرة.

...

(١) راجع شرح معاني الآثار ج٤ ص ٨٨ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٣٩٩هـ، كرامات الأولياء للالكائي الطبري ص ١١٧ ص ٦٣ ط. دار طيبة / الرياض سنة ١٤١٢هـ، السنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص ١٦٩ وص ٢٥٧ ط. مكتبة دار الباز / مكة المكرمة سنة

١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص ٤٢٥، الاستذكار لابن عبد البر الأندلسي ج٧ ص ٢٢٦ رقم ١٤٤٠ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. ...

ويقول الامام السبكي بعد إيراد هذا الخبر: قلت: فيه كرامتان لأبي بكر:إحداهما: إخباره بأنه يموت في ذلك المرض، حيث قال: (وإنما هو اليوم مال وارث).

والثانية: إخباره بمولود يولد له، وهو جارية.

ما ذكروه بشأن إخبار سيدنا عثمان بن عفان بالمغيبات

يقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج٢ ص ٣٢٧) أثناء حديثه عن عثمان بن عفان: دخل إليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا! فقال الرجل: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم؟ قال: لا،ولكنها فراسة).

وقال الشيخ ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين (ج٢ ص ٤٨٦): وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه صادق الفراسة، وقال أنس ابن مالك رضي الله عنه: دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكنت رأيت امرأة في الطريق تأملت محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه. فقلت: أوحي بعد رسول

الله؟! فقال: ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة. (١)

(١) وراجع أيضا: الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية ص ٤٣ ط. مطبعة المدني / القاهرة، فيض القدير للمناوي ج١ ص ١٤٢ ط. المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة.

كرامات الشيخ ابن تيمية بشأن إطلاعه على المغيبات

يقول الشيخ ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين (ج٢ ص ٤٨٩، ٤٩٠): ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم،ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما، أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا فيقال له: قل إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

وسمعته يقول ذلك قال: فلما أكثروا علي قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر

قبل خروجهم إلى لقاء العدو وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر.

ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور: اجتمع أصحابه لوداعه وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدا قالوا: أفتحبس قال: نعم، ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك وقالوا: الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكرا وأطال فقيل له: ما سبب هذه السجدة فقال: هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن وقرب زوال أمره فقيل له: متى هذا فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه.

وقال أيضا متحدثا عن أستاذه ابن تيمية فى (مدارج السالكين ج٢ ص ٤٩٠): وقال مرة: يدخل علي أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم، فقلت له أو غيري لو أخبرتهم؟! فقال: أتريدون أن أكون معرفا كمعرف الولاة، وقلت له يوما: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح! فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال: شهرا!.

قال ابن قيم الجوزية بعد ذلك: وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني، وأخبرني ببعض حوادث كبار

تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم.

وقال الشيخ ابن القيم فى (مدارج السالكين (١/ ٣))ما نصه:(وقلت له يوما لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح، فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال شهرا، وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي، مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني، وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها، وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم".

أقول: هذا كلام الشيخ ابن قيم الجوزية واضح في أن الشيخ ابن تيمية لديه علم بجملة من الأمور المستقبلية قبل وقوعها، وأنها كان على علم تام بها حتى أنه كان يقول ببعض الحوادث أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ، وأنه يعلم بما في ضمائر أتباعه، وأنه لم يكن يخبرهم بما في نفوسهم لكونهم لا يطيقون ذلك، بينما نجد جماعة من أتباعه الوهابية يكفرون من يعتقد ذلك فيمن غيره ، كما نجده في كلمات الكثير من الوهابية فلا بد من التزامهم بتكفير إمامهم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

المبحث الثاني

في بيان عقيدتهم بأن الإطلاع على المغيبات قد يقع لغير الأولياء

من الأمور التي صرح بها عدة من العلماء أن غير المؤمنين وغير الصالحين قد يطلعون على المغيبات ويخبرون بها، ومن بين من صرح بذلك:

١ -الشيخ ابن تيمية:-

يقول ابن تيمية فى (كتاب النبوات ص ١٠ ط. دار القلم / بيروت) : (... وكذلك الإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض الإخبار ، فهذا تفعله الجن كثيرا مع الكهان وهو معتاد لهم مقدور بخلاف أخبارهم بما يأكلون .... والرب قد أخبر في القرآن أن الشياطين تنزل على بعض الناس فتخبره ببعض الأمور الغائبة ...) .

ويقول أيضا: ... وهو انه قد ادعى جماعة من الكذابين النبوة وأتوا بخوارق من جنس خوارق الكهان والسحرة: ... وهذا الأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن في حياة النبي (ص) واستولى على اليمن وكان معه شيطان سحيق ومحيق ، وكان يخبره بأشياء غائبة.

إلى أن قال فى (كتاب النبوات ص ١٥٥، ١٥٦): (وكذلك الحارث الدمشقي ومكحول الحلبي وبابا الرومي لعنة الله عليهم ، وغير هؤلاء كانت معهم شياطين كما هي مع السحرة والكهان).

ويقول أيضا فى (كتاب النبوات ص ٣٠٩): (وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة لإخبار الشياطين لهم بذلك وسحر السحرة بحيث

يموت الإنسان من السحر ، أو يمرض أو يمنع النكاح ، ونحو ذلك مما هو بإعانة الشياطين ، فهذا أمر موجود في العالم كثير معتاد يعرفه الناس ، وليس هذا خرق للعادة ، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس).

وقال أيضا فى (الصفدية ص ١٦٨ تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. سنة ١٤٠٦هـ.): (والذي علمناه في زماننا ممن تحمله الجن وتطير به في الهواء وتسرق له أنواع الأطعمة من الحلاوة وغيرها وتأتيه بها وتخبره عن بعض الأمور الغائبة عنه بأمور كثيرة يطول وصفها في هذا الباب)

وقال أيضا فى (الصفدية ص ١٩١، ١٩٢): ومن المشهور المتواتر عند الترك ما تفعله سحرتهم وكهانهم من البخشية والطوينية وشيخهم الذي يقال له البوا،ومن شرطه عندهم أن يكون مخنثا مأبونا ينكح ينصب له خركاة في ظلمة، فيذبحون ذبيحة للشيطان ويغنون له فتأتي الشياطين وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة كأحوال غائبيهم وسرقاتهم وغير ذلك، ويحمل البوا فيوقف به في الهواء وهم يرونه ولا يكون بينهم إذ ذاك مسلم ولا كتاب فيه قرآن، هذا مشهور عندهم إلى هذا الوقت أخبرنا به غير واحد، وآخرون كانت الشياطين تأتيهم بأطعمة يسرقونها من حوانيت الناس، وجرى هذا لغير واحد في زماننا وغير زماننا وأتى قوم بحلاوة من الهواء، وعرفت تلك الحلاوة المسروقة وفقدها صاحبها ووصفت الآنية التي كانت فيها، فرد ثمنها إليه وهذه

الأمور وأمثالها معلوم لنا بالضرورة والتواتر، فإذا كانت الجن تحمل الإنسان من مكان إلى مكان بعيد في الهواء وتحمل الأموال إليه من مكان بعيد وتخبره بأمور غائبة عن الحاضرين علم أن هذه الخوارق ليست من قوى النفوس، بل بفعل الجن، وإذا كانت الجن تفعل مثل هذا فالملائكة أعلى منهم وأقدر وأكمل وأفضل).

وقال أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١ ص ٨٢): وهؤلاء المشركون قد تتمثل لهم الشياطين وقد تخاطبهم بكلام، وقد تحمل أحدهم في الهواء وقد تخبره ببعض الأمور الغائبة وقد تأتيه بنفقة أو طعام أو كسوة أو غير ذلك، كما جرى مثل ذلك لعباد الأصنام من العرب وغير العرب، وهذا كثير موجود في هذا الزمان وغير هذا الزمان للضالين المبتدعين المخالفين للكتاب والسنة إما بعبادة غير الله وإما بعبادة لم يشرعها الله ...).

وقال أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٥): وكذلك مسيلمة الكذاب وكان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنا ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه

طعنه الطاعن بالرمح، فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك: انك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله).

٢- الشيخ ابن قيم الجوزية:-

الفراسة عند الصوفية :

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٢ ص٤٨٣":"الفراسة سببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل ، والحالي والعاطل ، والصادق والكاذب .

وحقيقتها : أنها خاطر يهجم على القلب ينفي مضاده ، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة ، لكن الفريسة فعلية بمعنى مفعولة . وبناء الفراسة كبناء الولاية والامارة والسياسة . وهذه "الفراسة" على حسب قوة الايمان ، فمن كان أقوى إيمانا فهو أحد فراسه .

قال أبو سعيد الخذار : من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق ، وتكون مواد علمه مع الحق بلاسهو ولاغفلة ، بل حكم حق جرى على لسان عبده .

وقال الواسطي : الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب ، وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب الي غيب ، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم عن ضمير الخلق .

وقال الداراني : الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب ، وهي من مقامات الايمان . وسئل بعضهم عن الفراسة ؟ فقال : أرواح تتقلب في

الملكوت ، فتشرف على معاني الغيوب ، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لاتطق ظن وحسبان .

وكان الجنيد يوما يتكلم على الناس ، فوقف عليه شاب نصراني متنكرا ، فقال : أيها الشيخ مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ، فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه اليه وقال : فقد حان وقت اسلامك ،فأسلم الغلام .

وكان إياس بن معاوية من ظاعظم الناس فراسة ، وله الوقائع المشهورة ، وكذلك الشافعي رحمه الله ، وقيل إن له فيها تآليف "اه.

وقال في (مدارج السالكين (٤٨٩/٢):(وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الإرتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر وبعد ما بين جانبيه على سعة خلق صاحبه، واحتماله وبسطته وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة، وهو الشكل على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها على خيانته ومكره وخداعه، ومعظم تعلق الفراسة بالعين فإنها مرآة القلب وعنوان ما فيه ثم باللسان فإنه رسوله وترجمانه...).

ثم قال المصدر السابق: "وللفراسة سببان:

أحدهما: جودة ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته.

والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه.

فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطىء للعبد فراسة وإذا انتفيا لم تكد تصح له فراسة وإذا قوي أحدهما وضعف الآخر كانت فراسته بين بين، وكان إياس بن معاوية من أعظم الناس فراسة وله الوقائع المشهورة وكذلك الشافعي رحمة الله وقيل إن له فيها تآليف ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورا عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما...".

٣ – الامام ابن خلدون:–

يقول ابن خلدون في (مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٧) : (... ونفوس الكهنة لها خاصية الإطلاع على المغيبات بقوى شيطانية ...)

٤ – الحافظ ابن حجر العسقلاني

يقول ابن حجر في الدرر الكامنة (ج٢ ص ١٩١): ... الحسين المولة التركماني، كان يحلق ذقنه ويمشي حافيا ويكثر الحلف بالله وينطق أحيانا بالمغيبات فيقع كما قال، فارتبط عليه الناس وأكثرهم يعتقد صلاحه ومنهم من لا يلتفت إلى ذلك ويعدها أحوالا شيطانية لما يرى منه من دناسة الثياب وملابسة النجاسات وكان يحدث نفسه ويحرك رأسه ومات بدمشق في شوال سنة ٧٢٤.

الفصل السابع عشر

في بيان موقفهم من الولاية التكوينية للأولياءويقع الكلام فيه في مباحث :

المبحث الأول

في كلماتهم بشأن الولاية التكوينية:-

يقول ابن تيمية أثناء كلامه عما يحصل من الخوارق فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٣٢٥): (وأما الثالث فمن يجتمع له الأمران بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي، وهو علم الدين والعمل به، والأمر به، ويؤتى من علم الدين والعمل به ما يستعمل به الكشف والتأثير الكوني، بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية أو أن تخرق له العادة في الأمور الدينية بحيث ينال من العلوم الدينية ومن العمل بها ومن الأمر بها ومن طاعة الخلق فيها ما لم ينله غيره في مطرد العادة، فهذا أعظم الكرامات والمعجزات وهو حال نبينا محمد صلى اله تعالى عليه (وآله) وسلم وأبي بكر الصديق وعمر وكل المسلمين، فهذا القسم الثالث هو مقتضى (إياك نعبد وإياك نستعين) إذ الأول العبادة والثاني هو الاستعانة، وهو حال نبينا محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم والخواص من أمته المتمسكين بشرعته ومنهاجه باطنا وظاهرا، فإن كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة ... الخ).

ويقول أيضا (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٣٢٨): وأما التأثير الكوني فقد يقع من كافر ومنافق وفاجر تأثيره في نفسه وفى غيره كالأحوال الفاسدة والعين والسحر، وكالملوك والجبابرة المسلطين والسلاطين الجبابرة وما كان من العلم مختصا بالصالحين أفضل مما يشترك فيه المصلحون والمفسدون ...

وقد تقدم كلام ابن تيمية أيضا حيث يقول فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج٣ ص ١٥٦): ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سائر الأمم.

وقال أيضا فى (العقيدة الواسطية ص ٤٦): ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة. (٤)

وقال الشيخ ابن تيمية فى (مجموع الفتاوى (١٠/١٥٨) ما نصه:(وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون، وكثر فيه الاشتباه على السالكين، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان،

مالا يحصيهم إلا الله الذى يعلم السر والإعلان، وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه، فبين أن كثيرا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا فإنى انفتحت لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر. والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله، لكن كثير من الرجال غلطوا، فإنهم قد يشهدون ما يقدر على احدهم من المعاصى والذنوب، أو ما يقدر على الناس من ذلك، بل من الكفر، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله، وقضائه وقدره داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته، فيظنون الإستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة، فيضاهون المشركين الذين قالوا: {لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء}، وقالوا: {أنطعم من لويشاء الله اطعمه}، وقالوا: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم})).

ويقول ايضا (مجموع الفتاوى (٣٧٩/٤)ما نصه:"إن علماء الآدمين مع وجود المنافى والمضاد أحسن وافضل، ثم هم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وأما النفع المتعدى والنفع للخلق وتدبير العالم فقد قالوا: هم تجرى أرزاق العباد على أيديهم، وينزلون بالعلوم والوحي ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من افعال الملائكة؟

والجواب: إن صالح البشر لهم مثل ذلك واكثر منه ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع فى المذنبين وشفاعته فى البشر كى يحاسبوا وشفاعته فى أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة. ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة وأين هم من قوله {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}).

الشيخ ابن تيمية في سياق كلامه السابق عن التوكل وهو:(... فإنه يفيد قوة العبد وتصريف الكون ولهذا هو الغالب على ذوي الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر و تارة بما يخالفه).

وقال ايضا في كتابه الحسنة والسيئة "الكرامات عند الصوفية" (ص ١١٢)فقال: " وآخرون من عوام هؤلاء يجوزون أن يكرم الله بكرامات أكابر الأولياء، من يكون فاجرا بل كافرا، ويقولون هذه موهبة وعطية يعطيها الله من يشاء، ما هي متعلقة لا بصلاة ولا بصيام ويظنون أن تلك من كرامات الأولياء وتكون كراماتهم من الأحوال الشيطانية التي يكون مثلها للسحرة والكهان..".

وقال أيضا فى (مجموع الفتاوى (١٠/٤٥٣)مانصه: (بين النبى أن القلب يكون فيه شعبة نفاق وشعبة إيمان، فإذا كان فيه شعبة نفاق كان فيه شعبة من ولايته وشعبة من عداوته، ولهذا يكون بعض هؤلاء يجرى على يديه خوارق من جهة إيمانه بالله وتقواه، تكون من كرامات الأولياء وخوارق من جهة نفاقه وعداوته تكون من أحوال الشياطين، ولهذا أمرنا

الله تعالى أن نقول كل صلاة: {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}).

والشيخ ابن تيمية يقول ان الولي الصالح يقول للشيئ كن فيكون:-

قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى "٤/٣٧٦- ٣٧٧"متحدثاعن الحديث القدسي فقال :"وقد جاء فى الاثر "ياعبدى أنا أقول للشىء كن فيكون أطعنى أجعلك تقول للشىء كن فيكون يا عبدى انا الحى الذى لا يموت أطعنى أجعلك حيا لا تموت "وفى أثر أن المؤمن تأتيه التحف من الله من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت "فهذه غاية ليس وراءها مرمى كيف لا وهو بالله يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى فلا يقوم لقوته قوة". اهـ.

وقال ايضا الله أعطى بعض الأولياء أعظم مما أعطى جبريل ، وأن هذا عام في كل الأشياء فى (مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧٦

) :(واذا تبين هذا ان العلم مقسوم من الله ليس كما زعم هذا الغبي بأنه لا يكون الا بأيدى الملائكة على الاطلاق وهو قول بلا علم بل الذى يدلعليه القرآن ان الله تعالى اختص آدم بعلم لم يكن عند الملائكة وهو علم الأسماء الذىهو أشرف العلوم وحكم بفضله عليهم لمزيد العلم فأين العدول عن هذا الموضع إلى بنياتالطريق ومنها القدرة، وزعم بعضهم أن الملك أقوى وأقدر وذكر قصة جبرائيل بأنه شديد القوى وأنه حمل قرية قوم لوط على ريشة من جناحه.

فقد آتى الله بعض عباده أعظممن ذلك فأغرق جميع أهل الارض بدعوة نوح وقال النبى " ان من عباد الله من لو أقسمعلى الله لأبره ورب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لأبره " وهذا عام فى كل الاشياء) .

وقال في مجموع الفتاوي"١٥٦/٣"ومن أصول أهل السنة :(التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات ..."اهـ

وقال الشيخ ابن تيمية :(والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء! أقسم على ربك، فيقول: يا رب! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا ....وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .....ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت ...والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا، لما عدموا الماء، والإسقاء لما بعدهم،

فأجيب...وتغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج – كان يؤذيهم – فخر ميتا...وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا.

....ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك، لعلو درجته وغناه عنها، لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظم درجة).

من (كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن والشيطان).

واقول في ذلك أمور منها:

• مكانة الولي عظيمة عند ربه

كما في الحديث القدسي: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته).

أخرجه البخاري في (الرقاق ح ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة.

فإذا كان هذا حال الولي مع ربه سبحانه، أفيبخل عليه سبحانه بإستنزال النصر والغيث، وإبرار قسمه واستجابة دعائه في الحال وتحقيق شفاعته، وجعل حرمته أعظم من بيته الحرام، وأن يتوسل به إلى الله وهو حي وأن يخرق له العادات.

ومما أثبته الشرع الحنيف للولي من تصريف في الكون ونحوه بقوة الله ومشيئته أمور:

أولا: تنزل النصر والرزق بسببه:-

(رأى سعد (رضى الله عنه):) أن له فضلا على من دونه فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم).

أخرجه البخاري (الجهاد والسير ح ٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص

ثاني: إبرار قسمه:-

عن أنس(رضى الله عنه) قال: (أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأبوا فأتوا النبي(صلى الله عليه وسلم) فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال يا أنس كتاب الله القصاص فرضي القوم وعفوا فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) إن

من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره). أخرجه البخاري في (الصلح ح ٢٧٠٣).

وفي رواية من حديث أبي هريرة ولفظه:

(أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره). أخرجه مسلم في (البر والصلة ح ٢٦٢٢).

وممن أبر الله قسمه البراء بن مالك رضي الله عنه.

ثالثا: حرمة الولي أعظم من الكعبة

عن ابن عمر قال: (صعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك). أخرجه الترمذي في (البر والصلة ح ٢٠٣٢).

والأحاديث في هذا كثيرة تدل على القوة الخارقة التي وهبها الله عزوجل للولي ، بل وتدل على قدرته الخارقة المخالفة لأمور الطبيعة، ومن هذه القوى ما حصل من كرامات لبعض الخلص من المؤمنين من عهد الصحابة فمن بعدهم:

كما حصل مع العلاء بن الحضرمي ومشيه على الماء هو من معه، واستجابة دعاء العباس لاستنزال المطر وقبول توسل عمر به، ومثله حصل مع معاوية، وفضل أويس القرني.

المبحث الثاني

الموارد التي ذكروها الدالة على الولاية التكوينية:-

ذكروا لذلك موارد كثيرة جدا ومنها:

١ - انقلاب الأعيان للأولياء:-

يقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج٢ ص ٣٣٩) بشأن كرامات الأولياء: وأما جمهور أئمتنا فعمموا التجويز، وأطلقوا القول إطلاقا، وأخذ بعض المتأخرين يعدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة، وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها.

إلى أن قال: الرابع انقلاب الأعيان كما حكي أن الشيخ عيسى الهتار اليمنى أرسل إليه شخص مستهزئا به إناءين ممتلئين خمرا فصب أحدهما في الآخر وقال: بسم الله كلوا فأكلوا، فإذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكاية.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية(ج٧ ص ١١٤) : وقال أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن خيثمة قال: أتى خالد برجل معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلا فصار عسلا.

قال ابن كثير بعد ذلك: وله طرق، وفي بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد: ما هذا؟ فقال: عسل. فقال: اللهم اجعله خلا، فلما رجع إلى أصحابه قال: جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله، ثم فتحه فإذا هو خل فقال: أصابته والله دعوة خالد. (١)

١) وراجع أيضا بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج١ ص ٥٧٩ وج٧ ص ٣١٥٣ ط. دار الفكر / بيروت سنة ١٩٨٨م.

٢ – طاعة الحيوانات والجمادات للأولياء:-

قال السبكي أثناء بيانه لما يعتقد به من كرامات الأولياء(طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٤٠) : الثامن طاعة الحيوانات لهم كما في حكاية الأسد مع أبى سعيد بن أبى الخير الميهنى وقبله إبراهيم الخواص، بل وطاعة الجمادات، كما في حكاية سلطان العلماء شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، وقوله في واقعة الفرنج: يا ريح خذيهم فأخذتهم.

ومن جملة ما ذكروه بشأن طاعة الجمادات لهم ما ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج٢ ص ٣١٤)حيث قال: قال أبو على الروذبارى: سمعت أبا العباس الرقى يقول: كنا مع أبى تراب النخشبي في طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان فضرب برجله فإذا عين من ماء زلال، فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدح فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقاني وما زال القدح معنا إلى مكة.

ما ذكروه بشأن طاعة الأسد لابن عمر:-

قال السبكي فى (طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٣٢)أثناء ذكره لكرامات الأولياء: ومنها على يد ابن عمر رضى الله عنهما، حيث قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنح، فبصبص بذنبه وذهب.

وقال القرطبي فى (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص ٣٨٣)أثناء ذكره لكرامات الأولياء: ومن ذلك خبر ابن عمر رضي الله عنه أنه كان في بضع أسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق خوفا من السبع، فطرد السبع عن طريقهم ثم قال إنما يسلط الله على ابن آدم ما يخافه، ولو أنه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شيء).

ما ذكروه بشأن استجابة الأسد لصلة بن أشيم:-

وقال ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان (ج١ ص ٨٥) : (وذكر عن مسلم بن سعيد الواسطي قال: أخبرني حماد بن جعفر بن زيد: أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع فقلت: لأرمقن عمله فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت: هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبا منا، فدخلت على أثره فتوضأ ثم قام يصلي، وجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة فتراه التفت أوعده جروا، فلما سجد قلت: الآن يفترسه فجلس، ثم سلم ثم قال: أيها السبع طلب الرزق من مكان آخر فولى، وإن له لزئيرا أقول: تصدع الجبال منه قال: فما زال كذلك

يصلي حتى كان عند الصبح جلس فحمد الله تعالى بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ومثلي يصغر أن يجترىء أن يسألك الجنة قال: ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عالم).

ما ذكروه بشأن تحول الحجارة إلى ذهب بدعاء الأولياء:-

قال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياءص ١٩٣ رقم ١٥٤:

(أخبرنا علي، أنبانا الحسين، حدثنا عبد الله، قال حدثني أحمد بن سهل الأزدي، قال حدثني خالد بن نزار الفزاري قال: كان حيوة بن شريح دعاء، من البكائين، وكان ضيق الحال جدا، فجلست إليه ذات يوم وهو متخل وحده يدعو، فقلت: رحمك الله لو دعوت الله فوسع عليك في معيشتك، قال: فالتفت يمينا وشمالا، فلم ير أحدا، فأخذ حصاة من الأرض،فقال: اللهم اجعلها ذهبا. قال: وإذا هي والله تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها قال: فرمى بها إلي، فقال: هو أعلم بما يصلح عبادة. فقلت: ما أصنع بها؟ قال: استنفقها فهبته، والله أن أراده).

أقول: ذكر ذلك في ترجمة حياة بن شريح الذهبي في سير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ والمزي في تهذيب الكمال والسيوطي في طبقات الحفاظ وابن الجوزي في صفة الصفوة. (راجع سير أعلام النبلاء ج٦ ص ٤٠٥ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤١٣هـ، تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٨٥ رقم ١٨٠ ط. دار الصميعي / الرياض

سنة ١٤١٥هـ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٨٧ رقم ١٧١ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤٠٣هـ، تهذيب الكمال ج٧ ص ٤٨١ رقم ١٥٨٠ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، صفة الصفوة ج٤ ص ٣٠٩ ط. دار المعرفة / بيروت.)

٣ - رؤية المكان البعيد من وراء الحجب :-

قال السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٤١)أثناء بيانه لما يعتقد به من كرامات الأولياء: التاسع عشر رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما قيل إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

٤ -كرامة نداء سيدنا عمر بن الخطاب لساريةمن وراء البلدان:-

ومن جملة ما ذكروه بشأن رؤية الأولياء للأشياء البعيدة وكذا تكليمه لمن تفصل بينه وبينه بلدان ومسافات ما نقلوه بشأن سيدنا عمر بن الخطاب بأنه كان جيشه مكشوفين لأعدائهم وكانوا بحاجة إلى الاحتماء بالجبل، وكان على رأس الجيش رجل يقال له سارية فرآهم من بعيد ونادى سارية فسمعوه واحتموا بالجبل فكان لهم الغلبة، وقد أكثر علماء السنة من الكلام عن ذلك ونسبته إلى عمر بن الخطاب، يقول أبو بكر البيهقي في الاعتقاد (ص ٣١٤): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا حمزة بن العباس العقبي، حدثنا عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أيوب، عن محمد بن عجلان، عن نافع عن ابن عمر: أن عمر بن

الخطاب بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية. قال: فبينا عمر يخطب قال: فجعل يصيح وهو على المنبر يا سارية، الجبل يا سارية الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، وإن الصائح ليصيح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، فشددنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك.

وقال العجلوني في كشف الخفاء (ج٢ ص ٥١٤ رقم ٣١٧٢): (يا سارية الجبل، قاله عمر بن الخطاب وهو يخطب يوم الجمعة، حيث وقع في خاطره أن الجيش الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك في أثناء خطبته، ورفع به صوته، فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد، ففتح الله عليهم، كذا رواه الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابن اسلم عن أبيه عن عمر، وأخرجها سيف مطولة عن رجل من بني مازن، والبيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة وابن الأعرابي في كرامات الأولياء عن ابن عمر، قال: وجه عمر جيشا وولى عليهم رجلا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي: يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله، قال: فقيل لعمر: انك كنت تصيح هكذا، وهكذا رواه

حرملة في حديث ابن وهب واسناده كما قال الحافظ ابن حجر حسن ولابن مردويه عن ابن عمر، عن أبيه، أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض، فقال لهم علي (ع) ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وإنهم يمرون بجبل، فان عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون إنكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا، قال في اللآلئ وقد أفرد الحافظ القطب الجلي لطرقه جزءا ووثق رجال هذا الطريق وقال ذكره ابن عساكر وابن ماكولا وغيرهم وسارية له صحبة. (١)

وقال ابن مفلح الحنبلي فى (المبدع لابن مفلح الحنبلي ج٣ ص ٣١٧): قال عمر: يا سارية الجبل، فانحازوا إليه وانتصروا على عدوهم ومعنى التحيز إلى فئة هو أن يصير إلى قوم من المسلمين ليكون معهم فيقوى بهم على العدو وظاهره، ولو بعدت المسافة كخراسان والحجاز لحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني فئة لكم وكانوا بمكان بعيد منه وقال عمر: أنا فئة لكل مسلم وكان بالمدينة وجيوشه بالشام والعراق وخراسان رواهما سعيد.

ونحو ذلك قال البهوتي في كشاف القناع. (راجع كشاف القناع ج٣ ص ٤٦ ط. دار الفكر / بيروت سنة ١٤٠٢هـ.)

وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح ص ٢٣٩ : (ورأى عمر سارية بنهاوند من أرض فارس هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فناداه يا سارية الجبل.

وقال الحافظ ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة (ج١ ص ٢٩٣ – إلى – ٢٩٥): أخرج البيهقي وأبو نعيم واللالكائي وابن الأعرابي والخطيب عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن قال: وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر رضي الله عنه يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل، ثلاثا، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر: فقال: يا أمير المؤمنين، هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل، ثلاثا فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله قال قيل لعمر إنك كنت تصيح بذلك و ذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم،و أخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان عمر يخطب يوم الجمعة، فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم، فالتفت الناس بعضهم لبعض، فقال لهم علي (ع) ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا، وإنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه فقال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم

سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا، و اخرج أبو نعيم عن عمرو بن الحارث قال: بينا عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة وقال: يا سارية الجبل، مرتين أو ثلاثا، ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين: لقد جن إنه لمجنون، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل، أي شيء هذا قال: إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي: يا سارية الجبل، مرتين فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال: أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له.

وقال ابن عساكر فى (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٠ ص ١٩، ٢٠)في ترجمة سارية بن زنيم: له صحبة، وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب من منبر رسول الله (ص) بالمدينة وهو بفارس يا سارية الجبل، وكان أميرا في بعض حروب الفرس.

وقال ابن حجر العسقلاني في الإصابة في ترجمة سارية بن زنيم: وذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعا في الجاهلية، أي لصا كثير الغازة وأنه كان يسبق الفرس عدوا على رجليه، ثم أسلم وحسن

إسلامه، وأمره عمر على جيش، وسيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال: في أثناء خطبته: يا سارية، الجبل، ورفع صوته فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم.

وقال ابن حجر بعد ذلك فى (الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص ٥، ٦ رقم ٣٠ ٣٦): قلت: هكذا أخرج القصة الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، وأخرجها سيف مطولة عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء عن رجل من بني مازن فذكرها مطولة، وأخرجها البيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنة والزين عاقولي في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء من طريق بن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن بن عجلان، عن نافع عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل، ثلاثا، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل ثلاثا، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى. قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك، وهكذا ذكره حرملة في جمعة لحديث بن وهب وهو إسناده حسن.

وقال السبكي فى طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٢٣، ٣٢٤:
(كان عمر قد أمر سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه إلى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضى الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: يا سارية، الجبل يا سارية، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر، فلجأوا إلى الجبل وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا. هذا ملخصها وسمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يزيد فيها: أن عليا (ع) رضي الله عنه كان حاضرا فقيل له: ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين وأين سارية منا الآن؟ فقال كرم الله وجهه: دعوه فما دخل في أمر إلا وخرج منه، ثم تبين الحال بالآخرة.
قال السبكي بعد ذلك: قلت: عمر رضى الله عنه لم يقصد إظهار هذه الكرامة وإنما كشف له، ورأى القوم عيانا، وكان كمن هو بين أظهرهم أو طويت الأرض وصار بين أظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند، فخاطب أميرهم خطاب من هو معه إذ هو حقيقة أو كمن هو معه، واعلم أن ما يجربه الله على لسان أوليائه من هذه الأمور يحتمل أن يعرفوا بها ويحتمل أن لا يعرفوا بها وهى كرامة على كلا الحالين.

٤ – ما ذكروه بشأن طاعة الأرض للأولياء:-

سيدنا عمر بن الخطاب(رضى الله عنه)

قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٢٦: (قال إمام الحرمين رحمه الله في كتاب الشامل: إن الأرض زلزلت في زمن عمر رضى الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه والأرض ترجف وترتج، ثم ضربها بالدرة وقال: أقري، ألم أعدل عليك، فاستقرت من وقتها.

قال السبكي بعد ذلك: قلت: كان عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن وخليفة الله في أرضه وفي ساكني أرضه، فهو يعزر الأرض ويؤدبها بما يصدر منها كما يعزر ساكنيها على خطيئاتهم، فإن قلت: أيجب على الأرض تعزير وهى غير مكلفة؟

قلت: هذا الآن جهل وقصور على ظواهر الفقه، اعلم أن أمر الله وقضاءه متصرف في جميع مخلوقاته ثم منه ظاهر وباطن، فالظاهر ما يبحث عنه الفقهاء من أحكام المكلفين، والباطن ما استأثر الله بعلمه، وقد يطلع عليه بعض أصفيائه، ومنهم الفاروق سقى الله عهده فإذا ارتجت الأرض بين يدي من استوى عنده الظاهر والباطن عزرها، كما إذا زل المرء بين يدي الحاكم وانظر خطابه لها وقوله: (ألم أعدل عليك)، والمعنى والله أعلم: أنها إذا وقع عليها جور الولاة جديرة بأن ترتج غير ملومة على التزلزل بما على ظهرها، وأما إذا لم يكن جور بل كان الحكم بالقسط قائما ففيم الارتجاج وعلام القلق ولم يأت الوقت المعلوم، فما لها أن ترتج إلا في وقتين أحدهما الوقت المعلوم).

ما ذكروه بشأن سيطرة بعض الصحابة على النار:-

يقول السبكي فى طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٣٢٦: ومنها قصة النار الخارجة من الجبل كانت تخرج من كهف فى جبل فتحرق ما أصابت، فخرجت فى زمن عمر فأمر أبا موسى الأشعري أو تميما الداري أن يدخلها الكهف فجعل يحبسها بردائه حتى أدخلها الكهف فلم تخرج بعد.

قال السبكي: قلت: ولعله قصد بذلك منع أذاها.

٥ – ما ذكروه بشأن طاعة البحر للبعض:-

قال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياءص ٢٢٨ رقم ٢٠٤ : أنبأنا علي، أنبأنا الحسين، حدثنا عبد الله، حدثني محمد بن الحسين، قال حدثنا موسى بن عيسى العابد وغيره، قالوا ثنا ضمرة بن ربيعة، عن فروة الأعمى مولى سعد بن أبي أمية المقرئ قال: ركب أبو ريحانة البحر وكان يخيط فيه بإبرة معه فسقطت إبرته في البحر فقال: عزمت عليك يا رب إلا رددت علي إبرتي فظهرت حتى أخذها، قال: واشتد عليهم البحر ذات يوم فقال: اسكن أيها البحر فإنما أنت عبد حبشي. قال فسكن حتى صار كالزيت.

٦ – ما ذكروه بشأن المشي على الماء:-

قال السبكي أثناء ذكره لكرامات الأولياء ج٢ ص ٣٣٣: وعلى يد العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، وقد بعثه النبي (ص) فى غزاة بجيش فحال بينهم وبين الموضع البحر، فدعا الله ومشوا على الماء.

وقال القرطبي فى(الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٨٣)أثناء حديثه عن كرامات الأولياء: ومن ذلك حديث العلاء بن الحضرمي بعثه رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في غزاة فحال بينهم وبين الموضع الذي يريدونه قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء. (٢)

وقال الامام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ص ٣٨٣: (حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان، عن حميد بن هلال أو غيره: أن أبا مسلم الخولاني مر بدجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فتدعوا الله عز وجل) .

وقال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياء (ص ١٨٥ رقم ١٤٢): أخبرنا علي، أنبانا الحسين، حدثنا عبد الله، قال حدثنا أبو موسى هارون بن عبد الله، قال: حدثنا أبو النضر، عن سليمان بن المغيرة قال: انتهى أبو مسلم الخولاني إلى دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون شيئا فندعو الله تعالى.

وقال أيضا(ص ٢٠٧ رقم ١٧٠): أخبرنا عبيد الله بن محمد، أنبأنا جعفر بن محمد بن نصير، قال حدثنا أحمد ابن محمد بن مسروق، قال حدثنا محمد بن الحسين، قال حدثنا عتاب بن زياد الخراساني، قال حدثنا ابن المبارك قال: قال مسلم بن يسار لأصحابه يوم التروية:

هل لكم في الحج؟ فقالوا نغرق. قال: جاء مسلم إلى دجلة وهي تقذف بالزبد، قال: فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال هل تفقدون شيئا.

وقال أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب الزهد ص ٣٨٢، ٣٨٣ : حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان، عن حميد بن هلال أو غيره أن أبا مسلم الخولاني مر بدجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فتدعوا الله عز وجل.

أقول: وأخرجه أيضا ابن عساكر في تاريخه. (راجع تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص ٢١٠ – إلى – ٢١٢).

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة في ترجمة جابر الرحبي: أبو جعفر الخصاف قال: حدثني جابر الرحبي قال: أكثر علي أهل الرحبة ينكرون علي ما يعطي الله عز وجل أولياءه، فخرجت إلى خارج، فركبت السبع و دخلت إلى الرحبة و أنا أقول أين الذين يكذبون أولياء الله عز وجل، فكفوا عني بعد ذلك، و قال أبو جعفر الخصاف: قال لي جابر يوما وأنا أماشيه: مر بنا نتسابق مر أنت هكذا حتى أمر أنا هكذا، قال: فمررت أنا على الجسر فلما حصلت على الجسر التفت فإذا هو يمشي على الماء فلما التقينا قلت: من لا يحسن مثل هذا أمشي أنا على الجسر و تمشي أنت على الماء؟!

قال: و قد رأيتني. قلت: نعم. قال: أنت رجل صالح.

وقال الامام أبو نعيم الأصبهاني : ومنهم جابر الرحبي، له الأحوال الرفيعة والألطاف البديعة، ثم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال سمعت الجنيد بن محمد يقول، حدثني أبو جعفر الخصاف، قال: قال لي جابر الرحبي يوما وأنا أماشيه: مر بنا نتسابق، مر أنت هكذا حتى أمر أنا هكذا. قال: فمررت أنا على الجسر فلما أبعدت على الجسر التفت فإذا هو يمشي على الماء ينتضح من تحت قدميه مثل ما يخرج الغبار من تحت قدم الماشي، فلما التقينا قلت: من يحسن مثل هذا أمشى على الجسر وتمشي أنت على الماء؟!

قال: فقال لي: أوقد رأيتني؟ قال: قلت: نعم. قال: أنت رجل صالح.

وقال الشيخ ابن تيمية:(والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا، لما عدموا الماء، والإسقاء لما بعدهم، فأجيب.

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد).

وقال ايضا :(وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من المعسكر على دجلة، وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم

شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني، فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها.

وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمد رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها، فوجدوه قائما يصلي فيها، وقد صارت عليه بردا وسلاما.

وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله، ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها).

٧ – ما ذكروه بشأن طي الأرض لعبد الله بن منير المروزي وطاعة الأسد له:–

قال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياءص ٢٤٦ رقم ٢٢٨: أخبرنا أحمد بن محمد بن الخليل، قال حدثنا محمد بن أحمد بن سلمة، قال حدثنا أبو شجاع الفضل بن العباس بن الحصيب التميمي، قال حدثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود الهروي قال: سمعت يحيى بن بدر القرشي يقول: كان عبد الله بن منير يوم الجمعة قبل الصلاة بقزوين، فإذا كان في وقت صلاة الجمعة يرونه في مسجد آمل، فكان

الناس يقولون: إنه يمشي على الماء فقيل له يا أبا محمد: إنك تمشي على الماء؟! قال: أما المشي على الماء فلا أدري ولكن إذا أراد الله جمع حافتي النهر حتى يعبر الإنسان قال: وكان عبد الله بن منير إذا قام من المجلس خرج إلى البرية مع قوم من أصحابه فيجمع شيئا مثل الأشنان وغيره فيدخل السوق فيبيع ذلك فيعيش به، قال: فخرج يوما مع أصحابه فإذا هو بالأسد رابض على الطريق فقيل له: هذا الأسد! فقال لأصحابه: قفوا ثم تقدم هو وحده إلى الأسد فلا ندري ما قال له، فقام الأسد فمر، فقال: لأصحابه مروا.

ما ذكروه بشأن طي الأرض لحياة بن قيس الحراني:-

قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (ج٤ ص ٢٦٩)أثناء ذكره لمن توفى في سنة (٥٨١هـ): وفيها الشيخ الكبير الولي الشهير حياة بن قيس الحراني أحد الأربعة الذين قال فيهم أبو عبد الله القرشي رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كحياتهم الشيخ معروف الكرخي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه، تخرج بالشيخ حياة كثير من المريدين وانجبوا، وله من الكرامات أحوال تذهل العقول، منها: ما حكاه الشيخ الصالح غانم بن يعلى، قال: انكسرت بنا سفينة في بحر الهند فنجوت إلى جزيرة فوجدت فيها مسجدا فيه أربعة نفر متوجهون إلى الله تعالى، فلما كان وقت العشاء دخل الشيخ حياة الحراني، فتبادروا للسلام وتقدم فصلى بهم، ثم صلوا الفجر وسمعته يقول في

مناجاته: يا حبيب التائبين، وياسر العارفين، ويا قرة عين العابدين، ويا أنس المنفردين، وياحرز اللاجئين، ويا ظهر المنقطعين، يا من حنت إليه قلوب الصديقين وأنست به أفئدة المحبين، وعلقت عليه همة الخائفين، ثم بكى فرأيت الأنوار قد حفت بهم، ثم خرج من المسجد وهو يقول:

سير المحب إلى المحبوب زلزال والقلب فيه من الأهوال بلبال

أطوى المهامه من قفر على قدم إليك تدفعني سهل وأجبال

فقالوا لي: اتبع الشيخ، فتبعته فكانت الأرض تطوى لنا فوافينا حران وهم يصلون الصبح.

٨ – ما ذكروه بشأن موت من يؤذي الأولياء بدعائهم عليه:–

قال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياء: أخبرنا علي، أنا الحسين، حدثنا عبد الله، قال أنبأنا محمد بن الحسين، قال حدثنا راشد أبو يحيى بن راشد، قال حدثني عصام بن زيد رجل من مزينة قال: كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم، فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى قال فسكت عنهم، قال: فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قال علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت، قال: فخر والله الرجل من قامته، فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سرير، فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال: البائس ما كان أغره بالله.

وقال أيضا ص ٢٠٨ رقم ١٧٢: أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى، قال حدثنا حمزة بن القاسم بن عبد العزيز، قال حدثنا محمد بن الجهم، قال حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا جرير بن حازم، وأنبأنا علي، أنبأنا الحسين، حدثني عبد الله، حدثني محمد بن الحسين، قال حدثنا يزيد بن هارون، قال أنبأنا جرير بن حازم، عنه حميد بن هلال قال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف، فقال له مطرف: إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك، فقال: فمات الرجل مكانه، فاستعدى أهله زيادا على مطرف. فقال لهم زياد هل ضربه؟! هل مسه بيده؟! فقالوا: لا، فقال: دعوة رجل صالح وافقت دعوته قدرا.

وقال أيضا: أنبأنا علي، أنبأنا الحسين، حدثنا عبد الله، قال حدثنا محمد بن الحسين، قال حدثنا سليمان بن حرب قال: كان مطرف مستجاب الدعوة، أرسله رجل يخطب له فذكره للقوم فأبوه فذكر نفسه فزوجوه، فقال له الرجل في ذلك بعثتك تخطب لي فخطبت لنفسك قال قد بدأت بك، قال: كذبت. قال اللهم إن كان كذب علي فأرني به قال: فمات مكانه، فاستعدوا عليه فقال لهم الأمير: ادعوا أيضا أنتم عليه كما دعا عليكم.

وقال الشيخ ابن تيمية:(ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت).

١٣ – ما ذكروه بشأن نزول المطر بدعاء الأولياء:-

قال اللالكائي الطبري في كرامات الأولياءص ٢١٩ رقم ١٩٠: أخبرنا أحمد بن عبيد، قال أنبأنا محمد بن الحسين، قال حدثنا أحمد بن زهير، قال حدثنا محمد البزاز، قال حدثنا داود بن الزبرقان، عن الجريري قال: كان عبد الله بن شقيق مجاب الدعوة، فكانت تمر به السحابة فيقول: اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر، فما تجوز ذلك الموضع حتى تمطر.

وقال أيضا: أخبرنا أحمد بن محمد بن الخليل، قال أنبأنا أحمد بن محمد بن سلمة، قال حدثنا علي بن الحسن بن عبد الرحيم سنان ومحمد بن حفص بن اسلم، قالا حدثنا محمد بن حامد بن أحمد الدقاق، قال سمعت علي بن عبد الله بن محمد بن موسى السعدي يقول: كنا في مجلس أحمد بن حرب لما قدم بخارى وكان نازلا في درب سمرقند في الرباط يكتب عنه العلم، إذ اجتمع عليه العامة من أهل المدينة والقرى قالوا كلهم له: يا أبا عبد الله ادع الناس ببركة دعائك فإن أرضنا وزرعنا لم تنبت ولم يخرج من النبات شيء منذ عامين أو قال عام – الشك منه – من سبب المطر فإنه لا تمطر علينا. قال: فرفع أحمد بن حرب يديه ودعا فما فرغ من دعائه حتى انسابت السماء سحابة وكانت الشمس طالعة.

المبحث الثالث

عقيدتهم بثبوت الولاية التكوينية للدجال:-

من الأمور التي يتفق عليها اهل السنة والجماعة بشأن الدجال أنه يأمر السماء بالمطر فتستجيب له، ويأمر الأرض بأن تنبت فتنبت، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها، وقد اتفقوا على صحة الروايات الواردة بهذا الشأن، وقد أخرجها مسلم في صحيحه بالإسناد عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله (ص) الدجال - واستمر في نقل الخبر إلى أن قال - قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ... الخ. صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص ٢٢٥١ ح ٢٩٣٧ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت. ...

وأخرج الخبر المذكور أحمد بن حنبل وابن ماجة والطبراني في مسند الشاميين والمزي في تهذيب الكمال.

(راجع مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص ١٨١ ط.١، سنن ابن ماجة ج٢ ص ١٣٥٦، ١٣٦٦ ح ٤٠٧٥ ط. دار الفكر / بيروت، مسند الشاميين للطبراني ج١ ص ٣٥٤ – إلى– ٣٥٦ ح ٦١٤ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م، تهذيب الكمال ج١٥ ص ٢٢٣ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).

اقول :وبالجملة فالدجال يقتل، ويحي الموتى الذين يقتلهم، ويأمر السماء فتطيع أمره، ويأمر الأرض فتستجيب له بحيث تكون الأرض عامرة بثمارها ومظهرة لكنوزها بأوامره، والسماء تهطل بالأمطار التي يتسبب منها نبات الأرض استجابة له، فالقول بثبوت ذلك للكافر يستلزمه بالأولوية القطعية، وعلى ضوء تهمة أولئك الجهلة للصوفية بالكفر نتيجة قولهم بأن الصالحين يحيون الموتى بإذن الله عز وجل كما حصل ذلك للأنبياء (ع) يلزم اتهام جميع أهل الاسلام بالكفر أيضا، والأمر كما تقدم ناشئ من عدم إطلاعهم وعدم معرفتهم بعقائدئهم .

المبحث الرابع

بيان موقفهم بشأن الولاية التكوينية للسحرة:-

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج١ ص ١٩٩: حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده. قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارا والحمار إنسانا، إلا أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا، خلافا للفلاسفة والمنجمين والصابئة، ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى بقوله تعالى: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) ومن الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم سحر، وأن السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر.

وقال الآلوسي في تفسير روح المعاني ج١ ص ٣٣٩ أثناء حديثه عن السحر: والجمهور على أن له حقيقة وأنه قد يبلغ الساحر إلى حيث يطير في الهواء ويمشي على الماء ويقتل النفس ويقلب الإنسان حمارا والفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى، ولم تجر سنته بتمكين الساحر من فلق البحر وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وغير ذلك من آيات الرسل عليهم السلام، والمعتزلة وأبو جعفر الإسترابإذي من أصحابنا على أنه لا حقيقة له وإنما هو تخييل وأكفر المعتزلة من قال

ببلوغ الساحر إلى حيث ما ذكرنا زعما منهم أن بذلك انسداد طريق النبوة، وليس كما زعموا على ما لا يخفى.
اقول راجع أيضا: عمدة القاري ج١٤ ص ٦٣، فيض القدير ج٣ ص ٣٧٦.

المبحث الخامس

في بيان عقيدة الصوفية في ثبوت الولاية التكوينية للصالحين

والمقصود بالولاية التكوينية أنهم بعد أن كانوا ممن اصطفاهم الله عز وجل وليس لديهم أدنى رغبة على خلاف ما يريده الله عز وجل لهم فإن الله عز وجل يجعل ما في الوجود مستجيبا لهم بأمره، خصوصا بعد كونهم ليس لديهم أدنى رغبة في إرادة ما يكون مبغوضا لله عز وجل،والولاية التكوينية بهذا المعنى تختلف عن التفويض الذي يجمع الصوفية أنه باطل، فالتفويض معناه أن هناك جماعة فوضهم الباري عز وجل في إدارة شئون الكون، وجعله تحت هيمنتهم وسيطرتهم، ولا إشكال في أن الاعتقاد بهذا يعتبر انحرافا، بل في بعض صوره يستلزم الكفر والخروج من ملة الإسلام والعياذ بالله عز وجل.
وأما الولاية التكوينية فليس معناها أن أحدا من أولياء الله عز وجل بما فيهم الأنبياء (ع) والأولياء مفوضين من قبل الله عز وجل في إدارة شئون هذا العالم، ولا غيره من العوالم، وليس معناها أن لهم سيطرة تامة على الكون بحيث يكون جميع ما في الوجود إنما يسير بإرادتهم،

وإنما المقصود أنه نتيجة لقربهم من الله عز وجل وعلو شأنهم عنده تبارك وتعالى، فإن الله تعالى جعل الكائنات تستجيب لهم، فأي شيء يريدوه فإنه يتحقق لهم بإذن الله تبارك تعالى، ولذا يمكنهم إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله عز وجل، ومخاطبة الملائكة ، ويمكنهم أن يطلعوا على بعض المغيبات بإذن الله عز وجل، ويمكنهم أن يأمروا الكائنات فتستجيب لهم بإذن الله تعالى، ويمكن أن تطوى لهم الأرض، ويمكن أن تكون لهم جميع ما كان للأنبياء (ع) كما حصل للنبي سليمان (ع) من تسخير الرياح وغيره، وأنه يمكنهم ما أمكن لآصف بن برخيا (ع) حيث كان بإمكانه أن يأتي للنبي سليمان (ع) بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه كما هو صريح القرآن الكريم، وهذه هي خلاصة ما يعتقده الصوفية في الولاية التكوينية.

الفصل التاسع عشر

في المعجزات التي وقعت للأنبياء (ع) وقعت لبعض الصالحين

والكلام في ذلك يقع في عدة مباحث :

المبحث الأول

ما ذكروه بأن النار صارت للبعض بردا وسلاما:-

وهو ما جرى للنبي إبراهيم الخليل عليه وعلى آله وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام، وقد ذكروا لذلك موارد أهمها:

١ – ما نقلوه بشأن أبي مسلم الخولاني:-

قال ابن تيمية في مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٦٦٦، ٦٦٧: وكان العنسي قد استولى على أرض اليمن في حياة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ثم قتله الله على أيدي عباده المؤمنين، وكان قد طلب من أبي مسلم الخولاني أن يتابعه فامتنع، فألقاه في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما كما جرى لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه، وذلك مع صلاته وذكره ودعائه لله مع سكينة ووقار. (١)

وقال أيضا في كتاب النبوات ص ٢٩٦: فأن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما.

وقال ابن كثير في تاريخه نقلا عن أبي المعالي الزملكاني: ... قال شيخنا مع أنه قد ألقى بعض هذه الأمة في النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا

منهم أبو مسلم الخولاني قال: بينما الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فقال أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع؟! فأعاد إليه، قال: ما أسمع!! فأمر بنار عظيمة فأججت

فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقيل له: لئن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي فبصر به عمر فقال من أين الرجل؟ قال: من اليمن قال: ما فعل الله بصاحبنا الذي حرق بالنار فلم تضره؟ قال: ذاك عبد الله بن أيوب. قال: نشدتك بالله أنت هو؟! قال: اللهم نعم، قال: فقبل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد (ص) من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

قال ابن كثيرفى (البداية والنهاية ج٦ ص ٢٦٧): وهذا السياق الذي أورده شيخنا بهذه الصفة، وقد رواه الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن أيوب في تاريخه من غير وجه عن عبد الوهاب بن محمد، عن إسماعيل بن عياش

الحطيمي، حدثني شراحيل ابن مسلم الخولاني: أن الأسود بن قيس بن ذي الحمار العنسي تنبأ باليمن فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فأتي به، فلما جاء به قال: أتشهد أني رسول الله قال: ما أسمع! قال أتشهد

أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع! قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. قال: فردد عليه ذلك مرارا، ثم أمر بنار عظيمة فأججت فألقي فيها فلم تضره. فقيل للأسود: انفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك فأمره فارتحل، فأتى المدينة وقد قبض رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد وقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب فأتاه فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل اليمن. قال: ما فعل الرجل الذي حرقة الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن أيوب. قال: فأنشدك بالله أنت هو؟! قال: اللهم نعم، قال: فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد (ص) من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن. قال إسماعيل بن عياش فأنا أدركت رجالا من الامداد الذين يمدون إلينا من اليمن من خولان ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين: صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره.

قال ابن كثير: وروى الحافظ ابن عساكر أيضا من غير وجه عن إبراهيم بن دحيم، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، أخبرني سعيد بن بشير عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية: أن رجلا أسلم فأراده قومه على الكفر، فألقوه في نار فلم يحترق منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء، فقدم على أبي بكر فقال: استغفر لي. قال: أنت

أحق. قال أبو بكر: أنت ألقيت في النار فلم تحترق فاستغفر له، ثم خرج إلى الشام وكانوا يسمونه بإبراهيم عليه السلام، وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولاني.

قال ابن كثير: وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة كما جاء في حديث الشفاعة وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود. (١)

أقول: وأخرج ما نقلوه من إلقاء أبي مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه الحافظ ابن حبان في صحيحه والحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وأبو القاسم اللالكائي الطبري في كرامات الأولياء والحافظ ابن عساكر في تاريخه. (٢)

(١) وراجع أيضا: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٧ ص ٢٠٠، ٢٠١ ط. دار الفكر / دمشق، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج١ ص ٥٥٦ صفة الصفوة لابن الجوزي ج٤ ص ٢٠٨ ط. دار المعرفة / بيروت سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ...

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج ٢ ص ٣٣٨ ح ٥٧٧ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، حلية الأولياء ج٢ ص ١٢٩ ط. دار الكتاب العربي / بيروت سنة ١٤٠٥هـ، كرامات الأولياء ص ١٨١ رقم ١٣٨، تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص ٢٠١، وراجع: تهذيب التهذيب ج١٢ ص ٢٥٦.

٢ – ما نقلوه بشأن أبي سليمان الداراني:-

قال ابن كثير في البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٦٣ حوادث سنة (٢٤٦هـ): وروى ابن عساكر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الداراني ألا يغضبه ولا يخالفه، فجاءه يوما وهو يحدث الناس فقال: يا سيدي، هذا قد سجروا التنور، فماذا تأمر فلم يرد عليه أبو سليمان لشغله بالناس، ثم أعادها أحمد ثانية، وقال له في الثالثة: اذهب فاقعد فيه ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق، فقال لمن حضره: إني قلت لأحمد: اذهب فاقعد في التنور وإني أحسب أن يكون قد فعل ذلك، فقوموا بنا إليه فذهبوا، فوجدوه جالسا في التنور، ولم يحترق منه شيء ولا شعرة واحدة.

٣ – ما ذكره ابن تيمية بأنه يمكنه أن تكون له النار بردا وسلاما:-

قال ابن تيمية في مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٤٥٩، ٤٦٠ ناقلا قصة عن نفسه بشأن تحديه لبعض من يدعي الكرامة: قلت للأمير: أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون أن لهم أحوالا يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك ويقولون لنا: هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع، ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه، وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم أن دخلوا النار ادخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم

فعليه لعنة الله وكان مغلوبا، وذلك بعد أن تغسل جسومنا بالخل والماء الحار. فقال الأمير: ولم ذاك؟ قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاستعظم الأمير هجومي على النار وقال: أتفعل ذلك؟ فقلت له: نعم، قد استخرت الله في ذلك، وألقي في قلبي أن افعله ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء فان خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد (ص) المتبعين له باطنا وظاهرا لحجة أو حاجة، فالحجة لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله وهؤلاء إذا اظهروا ما يسمونه إشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من أرواحنا وجسومنا وأموالنا، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات.

وقال أيضا فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٤٦٥، ٤٦٦ : ... فقال ورفع صوته نحن لنا الأحوال وكذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها، فقلت ورفعت صوتي وغضبت: أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغاربها أي شيء فعلوه في النار فانا اصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن

بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك فقلت: لأن لهم حيلا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق، فضج الناس بذلك فأخذ يظهر القدرة على ذلك فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت فقلت: فقم، وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمد يده يظهر خلع القميص فقلت: لا، حتى تغتسل في الماء الحار والخل، فاظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشبا، أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود بل قنديل يوقد وادخل إصبعي وإصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت إصبعه فعليه لعنه الله، أو قلت فهو مغلوب فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر، ثم قلت لهم: ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع فإن الدجال الأكبر يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: انبتي فتنبت وللخربة: أخرجي كنوزك، فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه ثم يقول له: قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب.

يقول الشيخ ابن تيمية :(..ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقرائته. وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين).

وقصة سيدنا ابوبكر الصديق في الصحيحين " لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا ".

وخبيب بن عدي كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة، سمعت حسا على رأسها، فرفعته فإذا دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها .

وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه).

راجع كتاب الشيخ ابن تيمية (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

المبحث الثاني

ما ذكروه بشأن تسبيح بعض الجمادات:-

وقد جرى مثله لنبينا الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص) فقد سبحت في كفه الحصى وغير ذلك مما ثبت عنه (ص).

قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص ٢١٧: أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي، أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أيوب، أنبأنا الحسن بن محمد الخلال الحافظ، قال أجاز لنا عبد الله بن عثمان بن بيان، حدثنا علي بن محمد الواعظ، حدثني جعفر بن مسكين، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن الحسين، حدثني عمرو بن جرير البجلي، عن بكر بن خنيس، عن رجل سماه قال: كان بيد أبي مسلم الخولاني سبحة يسبح بها. قال: فنام والسبحة في يده. قال: فاستدارت السبحة فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح، فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات ويا دائم الثبات قال: فقال: هلمي يا أم مسلم وانظري إلى أعجب الأعاجيب. قال: فجاءت أم مسلم والسبحة تدور تسبح، فلما جلست سكتت.

أقول: وأخرج هذا الخبر أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة(ج٥ ص ١٧٣٠)

وقال القرطبي فى(الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٨٤) : وأما التابعون فقد ظهرت لهم من الكرامات والخيرات ما لا يمكن استيفاء ذكره في هذا الكتاب، فقد كان كثير منهم يمشي على الماء، ويطير في الهواء، وينظر إلى الحصى فيصير جواهر، وينظر الآخر إلى الأرض بين يديه فيصير ذهبا وتطوى له الأرض، ويتوضأ فيسيل الماء من بين يديه قضبان ذهب، ويدعو الله تعالى فيبرئ المرضى والمجانين والزمناء إلى ما لا يحصى كثرة، وقد دون من هذا كثير يقضى منه العجب في كتب كرامات الأولياء ولو لم يكن من هذا إلا قبر معروف الكرخي الكائن ببغداد لكان فيه كفاية، وأعظم آية وذلك أن قبره يستشفى به ويدعى الله عنده فيشفى المريض وتقضى الحاجة، حتى أن أهل بغداد يقولون: قبر معروف الكرخي ترياق مجرب.

وقال الشيخ ابن تيمية :(وكان مطرف بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرف السوط.

وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها).

المبحث الثالث

ما ذكروه بشأن التظليل بالغمام:-

وهو ما جرى لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الحافظ ابن حبان في (الثقات ج٩ ص ٢٧ رقم ١٥٠٠٠):

كرز بن وبرة الحارثي العابد من أهل الكوفة، سكن جرجان يروي عن الثوري، وكان ابن شبرمة كثير المدح له، قدم مكة فاتعب العباد بها، وكانت سحابة تظله وإذا دعا أجيب، روى عنه بن شبرمة والفضل بن غزوان.

قال أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياءج٥ ص ٨٠، ٨١: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا احمد بن نصر، حدثنا احمد بن كثير، حدثني جرير بن زياد بن وبرة الحارثي، عن شجاع بن صبيح مولى كرز بن وبرة، قال أخبرني أبو سليمان المكتب، قال: صحبت كرزا إلى مكة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرحل،ثم تنحى للصلاة فإذا سمع رغاء الإبل أقبل فاحتبس يوما عن الوقت فانبث أصحابه في طلبه، فكنت فيمن طلبه قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رآني أقبل نحوي، فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجة، قال: قلت: وما حاجتك يا أبا عبدالله. قال: أحب أن تكتم ما رأيت. قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبدالله، فقال: أوثق لي فحلفت ألا أخبر به أحدا حتى يموت. (١)

(١) راجع سير أعلام النبلاء ج٦ ص ٨٥.

ونقل نحو ذلك حمزة السهمي في تاريخ جرجان ص ٣٣٩ عن كتاب غير مسموع له.

وذكر هذه القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة. (ج٣ ص ١٢١)

وقال ابن حبان في الثقات ج٥ ص ١٧٣ رقم ٤٤٢٩: عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي من العباد يروى عن جماعة من الصحابة روى عنه أهل العراق قتل بتستر في خلافة عثمان وكان يرعى ركائب الصحابة وسحابة تظله وربما بات وإلى جنبه سبع يحميه.

وقال الشيخ ابن تيمية :(وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوما في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم).

ما ذكروه بشأن من يخرج الماء من الأرض ببركته:–

وهو ما جرى لنبيه سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولنبيه إسماعيل (ع).

قال أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياءج٣ ص ٥: حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثماني، قال حدثنا خالد بن النضر القرشي، قال حدثنا محمد بن موسى الحرشي، قال ثنا النضر بن كثير السعدي، قال حدثنا عبد الواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب السختياني على حراء، فعطشت عطشا شديدا، حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش، وقد خفت على نفسي. قال: تستر علي؟! قلت: نعم قال: فاستحلفني، فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حيا، قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء قال: فما حدثت به أحدا حتى مات. قال: عبدالواحد فأتيت موسى الأسواري فذكرت له ذلك فقال: ما بهذه البلدة أفضل من الحسن وأيوب.

أقول: ذكر هذه القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة والذهبي في تذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام ، وراجع أيضا: تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٣٢ ط. دار الصيمعي / الرياض سنة ١٤١٥هـ، سير أعلام النبلاء ج٦ ص ٢٣ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤١٣هـ، صفة الصفوة لابن الجوزي ج٣ ص ٢٩٤ ط. دار المعرفة / بيروت سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

الفصل العشرون

ما ذكروه بشأن الكلام في المهد:-

يقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج١ ص ١٠٨ : تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة أم فرعون، وشاهد يوسف (ع)، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم (ع).

وقال الطبري أثناء كلامه عن شاهد يوسف (ع): وقال بعضهم: كان صبيا في المهد، وقد روي ذلك عن رسول الله (ص) ما حدثنا الحسن بن محمد، قال حدثنا عفان بن مسلم، قال حدثنا حماد، قال أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي (ص) قال: تكلم في المهد أربعة وهم صغار: فذكر فيهم شاهد يوسف (ع).

وقال أيضا(تاريخ الطبري ج١ ص ٢٠٥): حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف (ع)، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم (ع). (١)

(١) وراجع أيضا: تفسير الطبري ج١٢ ص ١٩٣، ١٩٤ ط. دار الفكر / بيروت سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ...

وقال الحاكم: حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأ

عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت: ما هذه الرائحة فقالوا هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت: بسم الله. فقالت ابنته: أبي. فقالت: لا، بل ربي وربك ورب أبيك. فقالت: أخبر بذلك أبي. قالت: نعم فأخبرته فدعا بها وبولدها. فقالت: لي إليك حاجة فقال: ما هي. قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنه جميعا فقال ذلك لك علينا من الحق فأتى بأولادها فألقى واحدا واحدا حتى إذا كان آخر ولدها وكان صبيا مرضعا فقال: اصبري يا أماه فإنك على الحق، ثم ألقيت مع ولدها. قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: تكلم أربعة وهم صغار هذا، وشاهد يوسف (ع)، وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام.

قال الحاكم (المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٥٣٨ ح ٣٨٣٥): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي في التلخيص.

وقال المقدسي في الأحاديث المختارة: قال الطبراني: وحدثنا محمد بن النضر الأزدي، حدثنا أبو نصر التمار، قالوا: أنبأنا حماد بن سلمة، أنبأنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: لما كانت الليلة التي أسري بي

فيها وجدت رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، قلت: ما شأنها؟

قال: بينا هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها. فقالت: بسم الله. فقالت بنت فرعون: أبي. قالت: لا، ولكن ربي وربك ورب أبيك الله. قالت: وإن لك أبي. قالت: نعم. قالت: فأعلمه ذلك؟ قالت: نعم، فأعلمته، فدعا بها، فقال: يا فلانة ألك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أخذ أولادها يلقون فيها واحدا واحدا، فقالت: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد فتدفنا جميعا، قال: وذلك لك علينا، فلم يزل أولادها يلقون في البقرة، حتى انتهى إلى ابن لها رضيع فكأنها تقاعست من أجله، فقال لها: يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال ابن عباس: فتكلم أربعة صغار عيسى بن مريم (ع) وصاحب جريج، وشاهد يوسف (ع) وابن ماشطة فرعون. قال المقدسي: واللفظ لحديث أبي عمر الضرير رواه الإمام أحمد عن أبي عمر الضرير بتمامه، وعن عفان بن مسلم، وحسن بن موسى، عن حماد بنحوه، ورواه أبو حاتم البستي، عن جعفر بن أحمد بن صليع الواسطي، عن عبد الحميد بن بيان، عن يزيد بن هارون والحسن بن سفيان عن هدبة كلاهما عن حماد بن سلمة بنحوه. (١)

أقول: وأخرج نحوه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان والطبري والبزار والطبراني وابن مردويه. (٢)

(١) الأحاديث المختارة ج١٠ ص ٢٧٧، ٢٧٨ ح ٢٩١ ط. مكتبة النهضة الحديثة / مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ، وراجع: الطبراني في المعجم الكبير ج١١ ص ٤٥٠ ح١٢٢٧٩ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت، مجمع الزوائد ج١ ص ٦٥ ط. دار الكتاب العربي / بيروت – دار الريان للتراث / القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ. ...

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص ٣٠٩ ط.١، شعب الإيمان ج٢ ص ٢٤٣ ح ١٦٣٦ ،

الدر المنثور ج٤ ص ٥٢٦ وج٥ ص ٢١٢.

وهذا ما أخرجه عدة من الحفاظ ، وممن أخرج ذلك مسلم في صحيحه، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة، عن الرسول الأعظم (ص) قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج، وكان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى. فقالت: يا جريج فقال:يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج. فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى

ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت فلما ولدت، قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، فقال: أين الصبي فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلى فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه. وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به. وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا، وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع، قال: فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وهو يحكى ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها، قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث، فقالت: حلقي مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله.

فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها، ويقولون: زنيت سرقت فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جبارا فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها. (١)

وأخرجه جماعة من الحفاظ. (٢)

وأخرج الحاكم بسنده عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم (ع)، وشاهد يوسف (ع)، وصاحب جريج، وابن ماشطة بنت فرعون.

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص ١٩٦٧ ح ٢٥٥٠.

(٢) راجع: صحيح البخاري ج٣ ص ١٢٦٨. ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١٤ ص ٤١١ ح٦٤٨٩ ، المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٥٩٥ ط. وج٢ ص ٦٥٠ ح ٤١٦١ ، المعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص ٢٢٤ ، المعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص ٣٢٩ ح ٧٤٩٨.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١)

أقول: وأخرج نحو ذلك بالإسناد عن أبي هريرة أبو الشيخ الأصبهاني وابن بشكوال. (٢)

وأخرج البخاري في الأدب المفرد بسنده عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما تكلم مولود من الناس في مهد إلا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وصاحب جريج الخ الحديث. (٣)

وعن الضحاك أنه قال: تكلم في المهد ستة: شاهد يوسف (ع)، وصبي ماشطة امرأة فرعون، وعيسى (ع)، ويحيى (ع)، وصاحب جريج، وصاحب الجبار. (٤)

وقال الواقدي في فتوح الشام (ج٢ ص ٥٥)عن عمرو بن العاص: قد تكلم في المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الأخدود وغيرهم.

وقال السيوطي في الدر المنثورج٥ ص ٥٠٨: وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن هلال بن يساف قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: صاحب جريج وعيسى (ع) وصاحب الحبشية.

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٦٥٠ ح ٤١٦١. ... (٢) غوامض الأسماء المبهمة ج٢ ص ٥٦٨، ٥٦٩ ، الدر المنثور ج٢ ص ١٩٩. ... (٣) الأدب المفرد ص ٢٦ ح ٣٣ ط. دار البشائر الإسلامية / بيروت سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. ... (٤) تفسير القرطبي ج٤ ص ٩١ ط. دار الشعب / القاهرة سنة ١٣٧٢هـ.

الفصل الحادي والعشرون

فى الكرامات الأخرى التي لم تعرف عن الأنبياء عليهم السلام والكلام في ذلك يقع في عدة مباحث :

المبحث الأول

ما ذكروه بشأن الطيران في الهواء وقد ذكروا لذلك موارد كثيرة منها:

١ – طيران الشيخ عبد الله اليونيني:–

قال ابن كثير في تاريخه في ترجمة الشيخ عبد الله اليونيني: وله أحوال وكرامات كثيرة جدا، وكان لا يقوم لأحد دخل عليه، ويقول: إنما يقوم الناس لرب العالمين، وكان الأمجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له: يا أمجد، فعلت كذا وكذا، ويأمره بما يأمره وينهاه عما ينهاه عنه، وهو يمتثل جميع ما يقوله له، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه، وكان يقبل الفتوح وكان لا يدخر منه شيئا لغد، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستفه ويشرب فوقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، وذكروا أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحي العباد، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجمي وكان من أصحاب الحسن البصري ثم من بعده من الصالحين رحمهم الله أجمعين، فلما كان يوم جمعة من عشر ذي الحجة من هذه السنة صلى الصبح عبدالله اليونيني، وصلاة الجمعة بجامع بعلبك، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو صحيح، فلما انصرف

من الصلاة قال للشيخ داود المؤذن: وكان يغسل الموتى انظر كيف تكون غدا ثم صعد الشيخ إلى زاويته، فبات يذكر الله تعالى تلك الليلة ويتذكر أصحابه ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة فمات وهو كذلك جالس لم يسقط ولم تسقط السبحة من يده، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأمجد صاحب بعلبك فجاء إليه فعاينه كذلك فقال: لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشاهد الناس منه آية فقيل له: ليس هذا من السنة، فنحى وكفن وصلى عليه ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى رحمه الله ونور ضريحه، وكانت وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين عاما أكرمه الله تعالى، وكان الشيخ محمد الفقيه اليونيني من جملة تلاميذه، وممن يلوذ به وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك.

٢ – طيران ابن أبي الحمايل:–

قال ابن العماد الحنبلي في (نفح الطيب ج٢ ص ١٠١٧) في ترجمة ابن أبي الحمايل: العارف الكبير الكامل الغيث الهامع الشامل، زاهد قطف كروم الكرامات، وعارف وصل إلى أعلى المقامات، كان طودا عظيما في الولاية، وملجأ لطالب الهداية، أخذ عنه خلق كالشناوي والحديدي والعدل وأضرابهم، وكان عالي الهمة، كثير الطيران من بلد لآخر، فكان يغلب عليه الحال ليلا، فيتكلم بألسنة غير عربية من عجم وهند ونوبة وغيرها، وربما قال قاق قاق طول الليل، ويزعق

ويخاطب قوما لا يرون، وإذا قال شيئا في غلبة الحال نفذ، وكان مبتلى بالأذى مع زوجته.

المبحث الثاني

ما ذكروه بشأن الكلام بعد الموت :-

الحافظ أبو بكر البيهقي: وقد روي التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة.

وقد ذكروا بشأن عدة من الناس أنهم تكلموا بعد الموت:

١ – كلام زيد بن خارجة بعد الموت:-

قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة زيد بن خارجة: وهو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه غشي عليه قبل موته وأسري بروحه، فسجي عليه بثوبه،ثم راجعته نفسه بكلام حفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان، ثم مات في حينه، روى هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير، عن أبيه، ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير، عن أبيه، ورواه يحي بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب.

قال ابن عبد البر بعد ذلك: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد، قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا علي بن المديني، قال حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، قال حدثنا سليمان بن بلال، عن يحي، عن سعيد بن المسيب، أن زيد

بن خارجة الأنصاري، ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي في زمن عثمان بن عفان، فسجي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع سنين وبقيت اثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم خبر بير أريس وما بير أريس.

قال يحي بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوب، فسمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج، صدق، صدق. (١)

٢ – الأنصاري الذي تكلم بعد الموت عند مواجهة مسيلمة الكذاب

قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه: أخبرنا أبو محمد بن طاوس، وأبو الفتح ناصر بن عبد الرحمن، قالا أنبأنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، أخبرنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا علي بن عاصم، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عتبة الأنصاري، قال بينما ثم يثورون القتلى يوم مسيلمة إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت. (٢)

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا فى : حدثنا خلف بن هشام البراز، حدثنا خالد الطحان، عن حصين، عن عبد الله بن عبيد الأنصاري: أن

رجلا من قتلى مسيلمة الكذاب تكلم فقال: محمد رسول الله صلى الله عليه

(وآله) وسلم أبو بكر الصديق عثمان اللين الرحيم. (٣)

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي الأندلسي ج٢ ص ٥٤٧، ٥٤٨ رقم ٨٤٤ ط. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة، وراجع أيضا: الغدير للعلامة الأميني قدس سره ج١١ ص ١٣٣ ط. مركز الغدير للدراسات الإسلامية / قم. ...

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص ٤٠٨. ... (٣) من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا ص ١٧ رقم ٨ ط. مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت سنة ١٤١٣هـ.

٣ – الأنصاري الذي تكلم في صفين :–

قال أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا علي بن عاصم، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبيد الأنصاري، قال: بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى فقال محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت. (١)

وأخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه بالإسناد عن البيهقي. (٢)

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص ٢٢٢. ... (١) البداية والنهاية ج٦ ص ١٥٨. ...

المبحث الرابع

ما ذكروه من الفعل في عالم الرؤيا ووجود أثره في الخارج:-

ومن ذلك ما ذكره الشيخ ابن قيم الجوزية فى (كتاب الروح ص ١٨٨، ١٨٩ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٣٩٥هـ وص ٢١٥ ط. مكتبة الصفا / القاهرة سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م) أثناء حديثه عن الروح وتأثيرها حيث قال: فصل المائة ما قد اشترك في العلم به عامة أهل الأرض من لقاء أرواح الموتى وسؤالهم لهم وإخبارهم إياهم بأمور خفيت عليهم فرأوها عيانا، وهذا أكثر من أن يتكلف إيراده، وأعجب من هذا الوجه الحادي والمائة أن روح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح يراها على البدن عيانا، وهي من تأثير للروح في الروح كما ذكر القيراوني في كتاب البستان، قال: كان لي جار يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولي، فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء، فرأيت رسول الله (في المنام، فقلت: يا رسول الله فلان يسب أصحابك. قال: من أصحابي؟ قلت: أبو بكر وعمر؟ فقال: خذ هذه المدية، فأذبحه بها، فأخذتها فأضجعته وذبحته ورأيت كأن يدي أصابها من دمه، فألقيت المدية وأهويت بيدي إلى الأرض لأمسحها، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره. فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح.

الفصل الثاني والعشرون

ما ذكروه من شرب بعض الأولياء من لبن الجنة وهم في عالم الدنيا:-

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح ص ١٩٠ ط. دار الكتب العلمية وص ٢١٦ ط. مكتبة الصفا): وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك سمعت مالكا يقول: إن يعقوب بن عبد الله بن الأشج كان من خيار هذه الأمة، نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لأصحابه: إني قد رأيت أمرا ولأخبرنه إني رأيت كأني أدخلت الجنة فسقيت لبنا فأستبقاء، فقاء اللبن، واستشهد بعد ذلك.

وقد سمعت غير مالك يذكره، ويذكر أنه معروف فقال: أني رأيت كأني أدخل الجنة، فسقيت فيها لبنا، فقال له: بعض القوم أقسمت عليك لما تقيأت، فقاء لبنا يصلد أي يبرق، وما في السفينة لبن ولا شاة.

قال ابن قيم الجوزية بعد ذلك: قال ابن قتيبة: قوله: يصلد أي يبرق يقال: صلد اللبن ومنه يصلد.

- ما ذكروه بشأن شخص أنه رأى الدنيا على حقيقتها:-

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: وحدثنا محمد بن علي، أخبرنا إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل قال: بلغني أن رجلا عرج بروحه قال: فإذا بامرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب، وإذا هي لا يمر بها أحد إلا جرحته، وإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس، وإذا أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس، عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال: فقلت: أعوذ بالله منك قالت: لا

والله لا يعيذك الله حتى تبغض الدرهم، قلت: من أنت؟ قالت: أما تعرفني؟

قلت: لا قالت: أنا الدنيا. (١)

ونقله ابن قيم الجوزية عن ابن أبي الدنيا في كتاب عدة الصابرين، ونقل القصة أيضا أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين. (٢)

(١) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ص ٦٨ رقم ١٢٤. ...

(٢) عدة الصابرين ص ١٩٢ ط. دار الكتب العلمية / بيروت، إحياء علوم الدين ج٣ ص ٢١٥ ط. دار المعرفة / بيروت.

ما ذكروه بشأن زيارة الكعبة الشريفة للأولياء:-

من ما ذكروه بشأن كرامات الأولياء بأن الكعبة الشريفة قد تنتقل من مكانها وتذهب إلى أماكن متعددة من العالم لزيارة الأولياء، ومن ثم بحثوا في كتب الفقه بأنها عندما تترك مكانها لزيارة أحد الأولياء، ويبقى البيت الحرام خاليا من الكعبة الشريفة، فما هو حكم الصلاة بالنسبة لاستقبال القبلة حينئذ؟!

يقول ابن عابدين الحنفي فى (حاشية ابن عابدين ج١ ص ٦٤٥):

وفي البحر الرائق عن عدة الفتاوى: الكعبة لو رفعت من مكانها لزيارة أصحاب الكرامة ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها. (١)

ويقول الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح ص ١٣٦: ... حتى لو رفعت الكعبة من مكانها لزيارة أصحاب الكرامة أو لغير ذلك ففي تلك الحالة جازت صلاة المتوجهين إلى أرضها.

(١) وراجع أيضا: البحر الرائق ج١ ص ٢٨٩ ط. دار المعرفة / بيروت سنة ١٩٩٣م.

الفصل الثالث والعشرون

ما ذكروه بشأن من خرج النور من بين أيديهم ليضيء لهم بالليل:-

أخرج البخاري في صحيحه واللالكائي الطبري في كرامات الأولياء بالإسناد عن أنس بن مالك: أن رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما. (١)

(١) صحيح البخاري ج٣ ص ١٣٨٤ ط. دار ابن كثير - دار اليمامة / بيروت سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، كرامات الأولياء للالكائي الطبري ص ٩٩ رقم ٤٩.

وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين وابن سعد في الطبقات الكبرى وابن عساكر في تاريخه بالإسناد عن أنس: كان أسيد بن حضير و عباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه (وآله) و سلم في ليلة ظلماء حندس، فلما انصرفا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

الطيران على الهواء:-

يقول ابن تيمية فى كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٠ أثناء كلامه عن الأمور التي تخرق العادة: ... فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر، وغير السحر ، وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية أو غير ذلك حتى

تطير به ، وطيرانه في الهواء من بلد إلى بلد ، وهذا فعل مقدور للحيوان ، فان الطير تفعل ذلك والجن تفعل ذلك.

وقال أيضافى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ١٧٣): ... ولو لم يكن متبعا لذكره الذي أنزله وهو القرآن كان من أولياء الشيطان ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

وقال أيضافى (كتاب النبوات ص ١٦٨): .... من هؤلاء عددا كثيرا وليسو صالحين بل فيهم كفار ومنافقون وفساق وجهال لا يعرفون الشريعة والشياطين تحملهم وتطير بهم من مكان إلى مكان ، وتحملهم إلى عرفات فيشهدون عرفات من غير إحرام ولا تلبية ولا طواف بالبيت وهذا الفعل حرام.

وقال أيضا فى (كتاب النبوات ص ٢٩٦): ... وكذلك الطيران في الهواء في الهواء فأن الجن لا تزال تحمل ناسا وتطير بهم من مكان

...

إمكانية النفوق من الغيب أو الاختفاءعن أعين الناس أثناء الوجود بينهم وشفاء المرضى :-

يقول ابن تيمية(مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢١٣، ٢١٤):

... وتجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها و

يمشى على الماء أحيانا أو يملأ إبريقا من الهواء أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أو أن يختفي أحيانا عن أعين الناس أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته أو يخبر الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولى لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله وموافقته لأمره ونهيه وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور وهذه الأمور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدوا لله،فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين.

ويقول أيضا فى (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٦)فيما تقدم من كلامه: ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ومنهم من يطير بهم الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجا شرعيا بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة ولا يطوف بالبيت ولا يسعى بين الصفا والمروة ولا يرمى الجمار بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج ولهذا رأى بعض هؤلاء الملائكة تكتب الحجاج فقال: ألا تكتبونى؟ فقالوا: لست من الحجاج يعنى حجا شرعيا.

ظهور الخيول الطائرة في الهواءوأنها الجن:-

يقول ابن تيمية(مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١ ص ٢٨٥): وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول هي الملائكة، وإنما كانوا جنا).

إمكانية أخذ الطعام من الغيب :-

يقول ابن تيمية فى (كتاب النبوات ص ١٦٩): ... ولم يأت النبي (ص) قط طعام من الغيب ولا شراب ، وإنما كان هذا قد يحصل لبعض أصحابه كما أتى حبيب بن عدي وهو أسير بمكة بقطف من عنب ، وهذا الجنس ليس من خصائص الأنبياء.

الموت بواسطة السحر:-

يقول ابن تيمية فى كتاب النبوات ص ٣٠٩ : ... وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة لإخبار الشياطين لهم بذلك وسحر السحرة بحيث يموت الإنسان من السحر ، أو يمرض أو يمنع النكاح ، ونحو ذلك مما هو بإعانة الشياطين ، فهذا أمر موجود في العالم كثير معتاد يعرفه الناس ، وليس هذا خرق للعادة ، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس .

الفصل الرابع والعشرون

فيما ذكروه بشأن كرامات الأولياء بعد وفاتهم ويقع الكلام فيه في عدة مباحث :

المبحث الأول

فيما ذكروه بشأن قدرة الأولياءعلى الانتقام من بعض العصاة بعد وفاتهم وقد ذكروا لذلك موارد كثيرة نذكر بعضا منها:

١ – ما ذكروه بشأن من أسود وجهه بسبب الوقيعة:–

في سيدنا علي بن أبي طالب (ع) بسبب ضرب الإمام (ع) له في المنام

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح ص ١٨٩ ط. دار الكتب العلمية وص ٢١٦ ط. مكتبة الصفا: وفي كتاب المنامات لابن أبي الدنيا عن شيخ من قريش قال: رأيت رجلا بالشام قد أسود نصف وجهه وهو يغطيه، فسألته عن ذلك فقال: قد جعلت لله على أن لا يسألني أحد عن ذلك إلا أخبرته به، كنت شديد الوقيعة في علي بن أبي طالب (ع) رضي الله عنه، فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني آت في منامي فقال لي: أنت صاحب الوقيعة في؟ فضرب شق وجهي، فأصبحت وشق وجهي أسود كما ترى.

٢ – من تأثرت يدها بسقي أمها في عالم الرؤيا بعد سماع الدعاء عليها في النوم

وقال ايضا : ذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى أبي عيينة، عن موسى بن عبيدة، عن صفية بنت شيبة قالت: كنت عند عائشة رضي الله عنها، فأتتها امرأة مشتملة على يدها، فجعل النساء يولعن بها، فقالت: ما أتيتك إلا من أجل يدي إن أبي كان رجلا سمحا وأني رأيت في المنام حياضا عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم، فرأيت أبي. قلت: أين أمي، فقال انظري فنظرت فإذا أمي ليس عليها إلا قطعة خرقة، فقال: إنها لم تتصدق قط إلا بتلك الخرقة وحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرى بها وهي تقول: وأعطشاه. قالت: فأخذت إناء من الآنية فسقيتها، فنوديت من فوقي من سقاها أيبس الله يده، فأصبحت يدي كما ترين.

٣- من وضع أحد الملائكة في عالم الرؤياأصابعه على وجهها فبقي الأثر في الخارج

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح (ص ١٩٠ ط. دار الكتب العلمية وص ٢١٧ ط. مكتبة الصفا): وذكر الحارث بن أسد المحاسبي واصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن مسلمة قال بينما امرأة عند عائشة، إذ قالت: بايعت رسول الله (ص) على أن لا أشرك بالله شيئا ولا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان أفتريه من بين يدي ورجلي ولا أعصي في معروف فوفيت لربي ووفا لي ربي فوالله لا يعذبني الله فأتاها، في المنام ملك فقال: لها كلا، إنك تتبرجين وزينتك تبدين وخيرك تكندين وجارك تؤذين وزوجك تعصين،

ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها وقال: خمس بخمس، ولو زدت زدناك فأصبحت وأثر الأصابع في وجهها.

٤- ما ذكروه بشأن من لطم في المنام بسبب شتم أبي بكر وعمر فرأى أثره عليه بعد ذلك:-

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح (ص ١٩١ ط. دار الكتب العلمية وص ٢١٧ ط. مكتبة الصفا): وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي حاتم الرازي، عن محمد بن علي، قال: كنا بمكة في المسجد الحرام قعودا، فقام رجل نصف وجهه أسود ونصفه أبيض، فقال: يا أيها الناس اعتبروا بي، فإني كنت أتناول الشيخين وأشتمهما، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني آت، فرفع يده فلطم وجهي وقال لي: يا عدو الله، يا فاسق، ألست تسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فأصبحت وأنا على هذه الحالة.

٥- ما ذكروه بشأن من ذبحه عمر بن الخطاب في عالم الرؤيا فكان مقتولا نتيجة ذلك :-

قال ابن قيم الجوزية: وقال محمد بن عبد الله المهلبي رأيت في المنام كأني في رحبة بني فلان، وإذا النبي (ص) جالس على أكمة ومعه أبو بكر، وعمر واقف قدامه، فقال له عمر: يا رسول الله، إن هذا يشتمني ويشتم أبا بكر، فقال: جيء به يا أبا حفص، فأتي برجل، فإذا هو العماني وكان مشهورا بسبهما، فقال له النبي (ص): أضجعه، فأضجعه،

ثم قال: اذبحه، فذبحه، قال: فما نبهني إلا صياحه، فقلت: مالي لا أخبره عسى أن يتوب، فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديدا، فقلت: ما هذا البكاء؟! فقالوا: العماني ذبح البارحة على سريره، قال: فدنوت من عنقه، فإذا من أذنه إلى أذنه طريقة حمراء كالدم المحصور.

٦ – ما ذكروه بشأن من فقأ سيدنا على ابن ابى طالب (ع)عينه في عالم الرؤيا بسبب شتم سيدنا أبي بكر وعمر

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح: وقال القيرواني: أخبرني شيخ لنا من أهل الفضل: قال أخبرني أبو الحسن المطلبي أمام مسجد النبي (ص) قال: رأيت بالمدينة عجبا، كان رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فبينا نحن يوما من الأيام بعد صلاة الصبح، إذ أقبل رجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه، فسألناه: ما قصتك؟ فقال: رأيت البارحة رسول الله (ص) وعلي (ع) بين يديه ومعه، أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله، هذا الذي يؤذينا ويسبنا، فقال لي رسول الله: من أمرك بهذا يا أبا قيس. فقلت له: علي (ع)، وأشرت عليه فأقبل علي بوجهه ويده، وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها إلى عيني فقلت: إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك وادخل أصبعيه في عيني فانتبهت من نومي وأنا على هذه الحال فكان يبكي يخبر الناس وأعلن بالتوبة.

الفصل الخامس والعشرون

ما ذكروه بشأن تأثير الأنبياء (ع) والأولياء بعد وفاتهم في نفع الصالحين وقد ذكروا لذلك موارد كثيرة جدا منها:

١ – ما ذكروه بشأن من بقيت في فمه رائحة المسك :–

بسبب قراءة الرسول الأعظم (ص) في فمه

قال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح : وكان نافع القاريء إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقيل له: كلما قعدت تتطيب، فقال: ما أمس طيبا ولا أقربه، ولكن رأيت النبي (ص) في المنام وهو يقرأ في فمي، فمن ذلك الوقت يشم من في هذه الرائحة.

٢– قولهم بأن قبر معروف الكرخي هو الترياق المجرب :–

قال ابن أبي يعلى: وقال إبراهيم الحربي: قبر معروف الترياق المجرب. (١)

(١) طبقات الحنابلة ج١ ص ٣٨٢، وراجع أيضا: تاريخ بغداد ج١ ص ١٢٢، سير أعلام النبلاء ج٩ ص ٣٤٣ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤١٣هـ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ج٣ ص ٣٧ رقم ١١٥٥ ط. مكتبة الرشد / الرياض سنة ١٩٩٠م.

...

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ج١ ص ١٢١ : حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري، قال سمعت أبا الحسين

محمد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: اعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه.

وقال أيضا: أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي، قال أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري، قال سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته.

٣ –كلامهم في القبور التي يدفع بها البلاء:–

النقل في ذلك كثير ومنه ما أخرجه الخطيب في تاريخه حيث قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري الضرير، قال أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور، قال سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف بأهلها. فقال: ارجع ولا تخف فان فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا. قلت: من هم قال: الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي،

وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت القبور، ولم أخرج تلك السنة.

قال أبو بكر الخطيب بعد ذلك: أما قبر معروف فهو في مقبرة باب الدير وأما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حرب. (١)

(١) تذكرة الحفاظ ج٣ ص٩٨٥ رقم ٩٢١، العبر ج٣ ص ٢٧ حوادث سنة (٣٨٤ هـ). ...

- من ذكروا بأن من كراماتهم أن الدعاء عند قبورهم مستجاب:-

قال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء ج١٨ ص ١٠١)ترجمة الحافظ صالح بن أحمد الهمداني أبو الفضل التميمي، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ والعبر: والدعاء عند قبره مستجاب ، وهكذا قال السيوطي في طبقات الحفاظ ، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، وابن قاضي شهبة الدمشقي في طبقات الشافعية (ج١ ص ١٥٨ رقم ١١٤)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين ج٣ ص ٩١).

وقال عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي في طبقات الحنفية ص ١٧٠ رقم ٣٧٨ في ترجمة بكار بن قتيبة: وقبره مشهور يزار، ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب.

وقال الذهبي في ترجمة أبي الحسن علي بن حميد الذهلي: وكان ورعا تقيا محتشما يتبرك بقبره.

وقال الذهبي أيضا في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني: قال عبد الغافر في سياق التاريخ: الأستاذ أبو بكر قبره بالحيرة يستسقى به.

وقال ابن خلكان في ترجمة ابن فورك: ودفن بالحيرة، ومشهده بها ظاهر يزار، ويستسقى به، وتجاب الدعوة عنده.

الفصل السادس والعشرون

بيان موقفهم في أن ما يجري في الأرض من دفع البلاء عن الخلق وإنزال البركة على الناس إنما هو بسبب وجود الأولياء

يصرح عدد كبير من العلماء بأن الله عز وجل لا يجعل الدنيا برمتها قائمة بدونهم، وهم الأبدال، وأن بهم يدفع الله عز وجل الضر عن العباد وبهم ينزل الرزق، يقول القرطبي في تفسيرهج١ ص ٤٥٤: والأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه بآخر.

وقال أيضا ج٣ ص ٢٤٥: واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم؟ فقيل: هم الأبدال، وهم أربعون رجلا كلما مات واحد بدل الله آخر، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم اثنان وعشرون منهم بالشام وثمانية عشر بالعراق، وروي عن علي (ع) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيب وينصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء، ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وخرج أيضا عن أبي الدرداء قال: إن الأنبياء (ع) كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم يقال لهم الأبدال لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين

والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفاء الأنبياء قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يمطرون ويرزقون لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه وقال ابن عباس: ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد وقال سفيان الثوري: هم الشهود الذي تستخرج بهم الحقوق وحكى مكي أن أكثر المفسرين على أن المعنى: لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لأهلك الناس بذنوبهم وكذا ذكر النحاس و الثعلبي أيضا قال الثعلبي وقال سائر المفسرين: ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض أي هلكت، وذكر حديثا أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: إن الله يدفع العذاب بمن يصلي من أمتي عمن لا يصلي، وبمن يزكي عمن لا يزكي، وبمن يصوم عمن لا يصوم، وبمن يحج عمن لا يحج، وبمن يجاهد عمن لا يجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وعن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: إن لله ملائكة تنادي كل يوم لولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا، خرجه أبو بكر الخطيب بمعناه من

حديث الفضيل بن عياض حدثنا منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: لولا فيكم رجال خشع وبهائم رتع وصبيان رضع لصب العذاب على المؤمنين صبا. (٢)

وقال الثعالبي في تفسيره ج٤ ص ٢٤ : وحكى الثعلبي هنا حكاية عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن رجل لقي إلياس (ع) في أيام مروان بن الحكم، وأخبره بعدد الأبدال، وعن الخضر في حكاية طويلة لا ينبغي إنكار مثلها، فأولياء الله يكاشفون بعجائب فلا يحرم الإنسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة أوليائه.

يقول السيوطي في الدر المنثورج١ ص ٧٦٥: وأخرج أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وقال أيضاج١ ص ٧٦٥: وأخرج أحمد والحكيم الترمذي وابن عساكر عن علي (ع) سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب.

قال السيوطي ولفظ ابن عساكر: ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق. (١)

أقول: قال الهيثمي في مجمع الزوائدج١٠ ص ٤٥ بعد أن ذكر هذا الخبر: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة وقد سمع من المقداد.

(١) راجع مسند أحمد بن حنبل ج١ ص ١١٢ ط. ١، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص ٩٠٦ ح ١٧٢٧ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، كنز العمال ج١٢ ص ٣٤٠ ح ٣٤٥٩٦ وص ٣٤٤ ح ٣٤٦٠٧ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٩٨٩م مشكاة المصابيح ج٣ ص ٣٦٩ ح ٦٢٦٨ ط. المكتب الإسلامي / بيروت سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١ ص ٢٨٩ وص ٢٩٢ ط. دار الفكر / دمشق مختصر تاريخ دمشق ج١ ص ٢٧.

وقال السيوطي أيضاج١ ص ٧٦٥: وأخرج الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن علي بن أبي طالب (ع) قال: إن الله ليدفع عن القرية بسبعة مؤمنين يكونون فيهم.

وقال أيضا: وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فيهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر. (١)

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠ ص ٤٦: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

وقال السيوطي فى الدر المنثور ج١ ص ٧٦٥أيضا: وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون.

(١) راجع كنز العمال ج١٢ ص ٣٤٣ ح ٣٤٦٠٣، فيض القدير للمناوي ج٥ ص ٣٠٠ ط. المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة.

وقال أيضا : وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال، إنهم لن يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة. قالوا: يا رسول الله فيم أدركوها؟! قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين.

وقال أيضاالدر المنثور ج١ ص ٧٦٥: وأخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: إن لله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه

من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة،

(١) الدر المنثور ج١ ص ٧٦٥، المعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص ١٨١ ط. مكتبة العلوم والحكم / الموصل سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، حلية الأولياء ج٤ ص ١٧٣ ط. دار الكتاب العربي / بيروت سنة ١٤٠٥هـ. ...

وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة، فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء، قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فينبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء. (١)

وقال أيضا: وأخرج الطبراني وابن عساكر عن عوف بن مالك قال: لا تسبوا أهل الشام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: فيهم الأبدال بهم تنصرون وبهم ترزقون. (٢)

وقال أيضا: وأخرج ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الله (ع) بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون. (٣)

(١) الدر المنثور ج١ ص ٧٦٥، ٧٦٦، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١ ص ٣٠٣. ...

(٢) الدر المنثور ج١ ص ٧٦٦، المعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص ٦٥. (٣) الدر المنثور ج١ ص ٧٦٦، كنز العمال ج١٢ ص ٣٤٢ ح ٣٤٦٠٢، فيض القدير ج٥ ص ٣٠٠.

وقال أيضاالدر المنثور ج١ ص ٧٦٦: وأخرج ابن عساكر عن قتادة قال: لن تخلو الأرض من أربعين بهم يغاث الناس وبهم ينصرون وبهم يرزقون كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه رجلا.

قال قتادة: والله إني لأرجو أن يكون الحسن منهم.

وقال أيضا: وأخرج عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر عن علي بن أبي طالب قال: لم يزل على وجه الأرض في الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها.

وقال أيضا: وأخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم (ع) فإنه كان وحده.

وقال أيضا: وأخرج أحمد في الزهد عن كعب قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب.

وقال أيضا الدر المنثور ج١ ص ٧٦٦: وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وقال أيضا: وأخرج الجندي في فضائل مكة عن مجاهد قال: لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها.

وقال أيضا: وأخرج الأزرقي في تاريخ مكة عن زهير بن محمد قال: لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها.

وقال أيضا: وأخرج ابن عساكر عن أبي الزاهرية قال: الأبدال ثلاثون رجلا بالشام بهم تجارون وبهم ترزقون إذا مات منهم رجل أبدل الله مكانه.

وقال أيضا: وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن إبراهيم النخعي قال: ما من قرية ولا بلدة لا يكون فيها من يدفع الله به عنهم.

وقال أيضا: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء عن أبي الزناد قال: لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى ينشيء الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم لم يفضلوا الناس

بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين.

وقال ابن كثير في تفسيره ج١ ص ٤٠٦: وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا علي بن إسماعيل بن حماد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد، أخبرنا زيد بن الحباب، حدثني حماد بن زيد عن أيوب، عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان، رفع الحديث قال:. لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله. (٢)

وقال ابن كثير أيضاج١ ص ٤٠٦: وقال ابن مردويه أيضا: وحدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن جرير بن يزيد، حدثنا أبو معاذ نهار بن معاذ بن عثمان الليثي، عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني، عن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: الأبدال في أمتي ثلاثون بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون. قال قتادة: إني لأرجو أن يكون الحسن منهم.

وأخرج الحافظ عبد الرزاق الصنعاني في المصنف ج١١ ص ٢٥٠ ح ٢٠٤٥٧ عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال: قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله في شيء إلا استجاب لهم، بهم تنصرون وبهم تمطرون. قال: وحسبت أنه قال وبهم يدفع عنكم.

وأخرجه الحافظ الكبير المعروف عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد ص ١٩٣ ح ١٩٥ بنفس السند والمتن المذكور.

وقال الطبراني في المعجم الكبيرج١٨ ص ٦٥ ح ١٢٠: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني شريح – يعنى ابن عبيد – قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب (ع) رضي الله عنه وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب. (١)

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياءج١٠ ص ٣٧: أحمد بن أبي عمران حدثنا منصور بن عبد الله، قال سمعت أبا عمران موسى بن عيسى، يقول سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد وسئل ما علامة العارف؟ فقال: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) ، وقال عجبت لمن عرف الله كيف يعبده، وقيل له: إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض. فقال: أنا كل السبعة ...

وقال أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: ما من يوم إلا وينادى مناد: مهلا أيها الناس مهلا، فإن لله عز وجل سطوات وبسطات، ولكم قروح داميات، ولولا رجال خشع

وصبيان رضع ودواب رتع لصب عليكم العذاب صبا، ثم رضضتم به رضا.

وقال الذهبي: قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري (١)، حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشيء أدخل في الصلاة مستخيرا حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف ثم قال أبو عثمان: إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق.

وقال الحافظ ابن الصلاح فى (فتاوى ابن الصلاح ص ١٨٤): وأما الأبدال فأقوى ما رويناه فيهم قول علي (ع) رضي الله عنه أنه بالشام يكون الأبدال، وأيضا فإثباتهم كالمجمع عليه بين علماء المسلمين وصلحائهم، وأما الأوتاد والنخباء والنقباء فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة ولا يثبت ذلك، ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة وهم العلماء.

(١) قال فيه الذهبي: الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام، وقال الحاكم: ولم يختلف مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة وكان مجمع العباد والزهاد، ولم يزل يسمع ويجل العلماء ويعظمهم. راجع: سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ٦٢، ٦٣.

كلام ابن تيمية في المسألة:-

يقول ابن تيمية(مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٣ ص ١٠٢): وتوسط آخرون من فقهاء الحديث وغيرهم كأحمد وغيره فقالوا قد ثبت أن

النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قنت للنوازل التي نزلت به من العدو في قتل أصحابه أو حبسهم ونحو ذلك، فانه قنت مستنصرا كما استسقى حين الجدب، فاستنصاره عند الحاجة كاسترزاقه عند الحاجة إذ بالنصر والرزق قوام أمر الناس، كما قال تعالى: (الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف) ، وكما قال النبي (ص)، وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واستغفارهم، وكما قال في صفة الأبدال بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وكما ذكر الله هذين النوعين في سورة الملك وبين أنهما بيده سبحانه في قوله: (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمان إن الكافرون إلا في غرور – أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) .

وقال أيضا فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص ٣٧٩: وقد روى أن أتين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين، وقد قالوا: أن علماء الآدميين مع وجود المنافي والمضاد أحسن وأفضل ثم هم في الحياةالدنيا وفى الآخرة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وأما النفع المتعدي والنفع للخلق وتدبير العالم، فقد قالوا: هم تجرى أرزاق العباد على أيديهم وينزلون بالعلوم والوحي، ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة، والجواب أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين وشفاعته في البشر كي يحاسبوا وشفاعته في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة، ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة

كلام الحافظ الذهبي:-

يقول الذهبي في كتاب العلوللعلي الغفار ص ١٨٩: أبو زرعة كان إمام أهل الحديث في زمانه بحيث أن أحمد بن حنبل قال:

ما عبر جسر بغداد أحفظ من أبي زرعة، وكان من الأبدال الذين تحفظ بهم الأرض.

الفصل السابع والعشرون

في بيان أن الصالحين ينزل الله تعالى البركات على الخلق وبهم يحفظ الأرض:–

ورد في كتب الصوفية نصوص كثيرة تدل على أن بالصالحين يحفظ الله الأرض، وبهم ينزل البركة على العباد، ولا يختلف الصوفية، مع مشائخ الوهابية في ذلك، فقد وردت عندهم روايات معتبرة تدل على ذلك، ونص كبار علمائهم على قبول تلك القاعدة بالنسبة لبعض الأولياء، فمن تلك الروايات ما تقدم عن جلال الدين السيوطي فى الدر المنثور ج١ ص ٧٦٥ حيث قال: وأخرج أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

ومنها: ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق في المصنف (ج١١ ص ٢٥٠ ح ٢٠٤٥٧) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال: قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله في شيء إلا استجاب لهم، بهم تنصرون وبهم تمطرون. قال: وحسبت أنه قال وبهم يدفع عنكم.

وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد بنفس اللفظ والإسناد المتقدمص ١٥٣ رقم ١٩٥.

وقد تقدمت روايات أخرى حكم عدة من حفاظهم وعلمائهم بصحتها ورتبوا عليها الآثار.

وأخرج البخاري في صحيحه(ج٣ ص ١٠٦١) بسنده عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم.

وأخرج أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك على الصحيحين وابن حبان والطبراني في مسند الشاميين بالإسناد عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) و سلم: ابغوني في الضعفاء فإنما ترزقون و تنصرون بضعفائكم.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة و إنما أخرجا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه ظن له فضلا على من دونه.

أقول: ووافقه الذهبي في التلخيص

وقال الألباني: صحيح. (١)

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ١١٦ ح ٢٥٠٩ وص ١٥٧ ح ٢٦٤١، سنن أبي داود ج٢ ص ٣٨ ط. دار الفكر / بيروت، سنن الترمذي ج٤ ص ٢٠٦ ح ١٧٠٢ ط. دار إحياء التراث العربي / بيروت، سنن النسائي ج٦ ص ٤٥ ح ٣١٧٩ ط. بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية / حلب سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص ١٩٨ ط.١، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج١١ ص ٨٥ ح ٤٧٦٧ ط.

مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص ٣٤٥ وج٦ ص ٣٣١ ط. مكتبة دار الباز / مكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص ٣٠ ح ٤٣٨٨ ط. دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م، مسند الشاميين ج١ ص ٣٣٥ ح ٥٩٠ ط. مؤسسة الرسالة / بيروت سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٩ ص ٢٥٣. ...

وأخرج عبد الرزاق (المصنف للصنعاني ج٥ ص ٣٠٣ ح ٩٦٩١)عن محمد بن راشد، عن مكحول: أن سعد بن أبي وقاص قال: يا رسول الله، أرأيت رجلا يكون حامية القوم ويدفع عن أصحابه، أيكون نصيبه كنصيب غيره؟ قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: ثكلتك أمك يا بن أم سعد، وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم.

وقال ابن تيمية(مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٤ ص ٣٢٩، الفتاوى الكبرى ج٣ ص ٣٩): ... وقد أصاب المسلمين جدب وشدة وكانوا يدعون الله ويستسقون ويدعون على الأعداء ويستنصرون ويتوسلون بدعاء الصالحين، كما قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم.

وقال أيضا (مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٧ ص ١٢٣، الفتاوى الكبرى ج٢ ص ٤٢٤)في سياق كلامه عن التوسل الصحيح : بل

توسلوا إليه بما شرعه من الوسائل، وهى الأعمال الصالحة ودعاء المؤمنين كما يتوسل العبد إلى الله بالإيمان بنبيه وبمحبته وموالاته والصلاة عليه والسلام، وكما يتوسلون في حياته بدعائه وشفاعته كذلك يتوسل الخلق في الآخرة بدعائه وشفاعته، ويتوسل بدعاء الصالحين كما قال النبي (ص) وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واستغفارهم.

وقال أيضا(الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة) ج١ ص ١١٥): فقد تبين أن الاسترزاق والاستنصار يكون بالمؤمنين بدعائهم وقد قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واستغفارهم.

وما ذكرناه هو بعض رواياتهم، وقد تقدم بعض آخر من تلك الروايات.

وأما كلمات علمائهم فقد قال ابن تيمية (مجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص ٣٧٩): وأما النفع المتعدي والنفع للخلق وتدبير العالم، فقد قالوا: هم تجرى أرزاق العباد على أيديهم وينزلون بالعلوم والوحي، ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة، والجواب أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه، ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين وشفاعته في البشر كي يحاسبوا وشفاعته في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة، ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة ...

وقال الحافظ الذهبي عن أبي زرعة فى (العلو للعلي الغفار ص ١٨٩ ط. مكتبة أضواء السلف / الرياض سنة ١٩٩٥م): ... وكان من الأبدال الذين تحفظ بهم الأرض.

أقول: ومعنى أن الله عز وجل ينزل الغيث والبركة في الأرض بأنبيائه (ع) وبالصالحين ، أن الله عز وجل مع الذنوب الكثيرة التي تقع من عبادة والتي تستوجب العذاب الإلهي وتقتضي نزول البلاء وامتناع البركة، ولكن كرامة لهؤلاء فإن الله عز وجل ينزل البركة والخير على أهل الأرض، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم أن الله عز وجل لا يعذب الناس ورسول الله (ص) فيهم حتى لو لم يستغفروا، وإنما كان ذلك تكريما منه لنبيه (ص)، يقول تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ، فالآية الكريمة واضحة الدلالة في أن الله عز وجل إنما يدفع العذاب عن الناس في زمن نبيه (ص) حتى مع عدم استغفارهم بنبيه (ص) تكريما له وتعظيما، وهكذا أيضا بالنسبة لعقيدة الصوفية فى الصالحين، وكذا عقيدة اهل السنة والجماعة في الأبدال وفي الأولياء كما تقدم، وكذا الحال بالنسبة للشفاعة، فإن الله عز وجل يدفع العذاب بنبيه عند شفاعته التي تكون بإذنه إكراما وإجلالا له من الله عز وجل، بل إن الروايات الصحيحة تؤكد أن الله عز وجل يدفع البلاء بالضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة وبالأطفال كما تقدم،وليس في ذلك ما يقتضي الشرك بالله عز وجل، وإذا أراد أحد أن يفسره بما يقتضي الشرك فإن الشيعة وكذا السنة

القائلين بأن الأبدال أو الأولياء بهم تحفظ الأرض لا يقصدون غير المعنى الذي بيناه.

اقول :- ولعمري فإن أولئك المتسرعين بتكفير المسلمين بأدنى شبهة والذين حكموا بالكفر على من يعتقد ذلك بالصالحين الذين هم سادة أولياء الله عز وجل الذين أمر الله عز وجل بعدم محاربتهم كما وردفى الحديث ، هل يمكنهم لنا على تقدير صحة كلامهم وهو مجرد زيف محض أن يكونوا موضوعيين ليحكموا بكفر الشيخ ابن تيمية وتلاميذته وهم من رموزهم، حيث رأيت أن عبارة كل منهم صريحة بأن في الأولياء من يحفظ الله عز وجل بهم الأرض ويدفع بهم البلاء.

الفصل الثامن والعشرون

شبهات وهابية ورد ائمة السلفية:-

التوسل:-

الامام أحمد بن حنبل :-

الامام أحمد بن حنبل يجيز التوسل بالنبي(صلى الله عليه وسلم) ، فها هو رضي الله عنه يقول في منسكه الذي كتبه للمروذي: "إنه يتوسل بالنبي(صلى الله عليه وسلم) في دعائه - يعني أن المستسقي يسن له في استسقائه أن يتوسل بالنبي" اهـ.

قال الشيخ ابن تيمية في ((التوسل والوسيلة)) (ص ٩٨) :

هذا الدعاء ((أي الذي فيه توسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم))

ونحوه قد روى أنه دعا به السلف ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسل بالنبي (ص) في الدعاء. اهـ

وهذا هو نص عبارة الامام أحمد بن حنبل فقال في منسك المروزي بعد كلام ما نصه:((وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه(ص)تقض من الله عز وجل)). اهـ هكذا ذكره ابن تيمية في الرد على الأخنائي (ص ١٦٨) .

ويقوا ابن مفلح الحنبلي في الفروع (٥٩٥ : ١): ((ويجوز التوسل بصالح وقيل : يستحب قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي :

إنه يتوسل بالنبي (ص) في دعائه ، وجزم به في المستوعب وغيره))
اهـ .

الشيخ ابن تيمية :-

كان الشيخ ابن تيمية يمنع التوسل بالأنبياء والصالحين فى كتابه (التوسل والوسيلة ص ٦٥)ومانصه :((السؤال به (أي بالمخلوق) فهذا يجوزه طائفة من الناس، لكن ما روى عن النبي (ص)في ذلك كله ضعيف بل موضوع وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي (ص)وشفاعته،وهو طلب من النبي(ص)الدعاء، وقد أمره النبي(ص)أن يقول:((اللهم شفعه في))، ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي(ص)، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي (ص)، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي(ص) بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله)) . اهـ .

وذكر أثرا فيه التوسل بالنبي (ص) لفظه : ((اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليما ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي)) .

قال ابن تيمية : هذا الدعاء ونحوه روى أنه دعا به السلف ، ونقل عن بن حنبل فى منسك المروزي التوسل بالنبي (ص) في الدعاء . اهـ .

وقال ايضا (ص ١٦٩)، وقال: التوسل حقيقة هو التوسل بالدعاء _ دعاء الحي فقط _ وذكر ذلك في مواضع) .

وقال الشيخ ابن تيمية في كتابه زوار المقابر ص٤٣٣ : (قال عامة المفسرين كابن عباس ومجاهد وعطاء والفراء : الوسيلة القربة ، قال قتادة : تقربوا الى الله بما يرضيه.

قال أبو عبيدة : توسلت اليه أي تقربت.

وقال عبد الرحمن بن زيد : تحببوا الى الله.

والتحبب والتقرب اليه إنما هو بطاعة رسوله ، فالايمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق الى الله ، ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة إلا الايمان برسوله وطاعته.

وليس لأحد من الخلق وسيلة الى الله تبارك وتعالى إلا بوسيلة الايمان بهذا الرسول الكريم وطاعته.

وهذه يؤمر بها الانسان حيث كان من الأمكنة وفي كل وقت. وما خص من العبادات بمكان كالحج ، أو زمان كالصوم والجمعة ، فكل في مكانه وزمانه.

وليس لنفس الحجرة من داخل فضلا عن جدارها من خارج اختصاص بشيء في شرع العبادات ولا فعل شيء منها ، فالقرب من الله أفضل منه بالبعد عنه باتفاق المسلمين ! والمسجد خص بالفضيلة في حياته صلى الله عليه وسلم ، قبل وجود القبر. فلم تكن فضيلة مسجده لذلك ، ولا استحب هو صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ، ولا علماء أمته أن يجاور أحد عند قبر ولا يعكف عليه ، لا قبره المكرم ولا قبر غيره ، ولا أن يقصد السكنى قريبا من قبر أي قبر كان.

وسكنى المدينة النبوية هو أفضل في حق من تتكرر طاعته لله ورسوله فيها أكثر كما كان الأمر لما كان الناس مأمورين بالهجرة إليها فكانت الهجرة إليها والمقام بها أفضل من جميع البقاع مكة وغيرها.

بل كان ذلك واجبا من أعظم الواجبات ، فلما فتحت مكة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وكان من أتى من أهل مكة وغيرهم ليهاجر ويسكن المدينة يأمره أن يرجع ! انتهى.

وخلاصة كلامه : أن التوسل محصور بالايمان بالرسول وطاعته ، وبدعائه في حال حياته.

أما التوسل به في حياته وبعد موته ، ومجاورة قبره الشريف والعكوف عنده ، فليس من الطاعة ، لأن الصحابة لم يفعلوه ، والأصل في كل ما لم يفعلوه عدم المشروعية ، حتى يقوم عليه دليل !!

الاان الشيخ ابن تيمية تراجع عن هذا الكلام :-

و نقل ابن الحافظ ابن كثير وغيره أن الشيخ ابن تيمية أقر أخيرا في المجلس الذي عقده له العلماء العاملون الربانيون المجاهدون بالتوسل وأصر على إنكار الاستغاثة ، مع أنه يقول في رسالة خاصة له في الاستغاثة بجوازها بالنبي فيما يقدر عليه المخلوق.

و تراجع ابن تيمية أمام القاضي وفي سجنه عن تحريم التوسل ؟!

الأول :- ما اعترف به في مصر ، حيث شاع اعتقاده بعدم جواز التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله فاستنكر المسلمون ذلك ، وعقد القضاة مجلسا للنظر في قوله..

ورجع عن ذلك كما نقل تلميذه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/٤٥) حيث قال : قال البرزالي (هو الحافظ ابو محمد القاسم بن البهاء محمد الدمشقي البرزالي ترجم في طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٥٦) : وفي شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين ، وكلموه في ابن عربي وغيره ، الى الدولة فردوا الأمر في ذلك الى القاضي الشافعي ، فعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال : لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة . ولعلها العبادة . ولكن يتوسل به ويتشفع به الى الله ، فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب) انتهى.

ثانيا :-

ماكتبه في رسالة له من سجنه ، حيث قال في ص ١٦ : (وكذلك مما يشرع التوسل به في الدعاء كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم علم شخصا أن يقول : اللهم إني أسألك وأتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد يا رسول الله ، إني أتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضيها. اللهم فشفعه في، فهذا التوسل به حسن ، وأما دعاؤه والاستغاثة به فحرام !

والفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين. المتوسل إنما يدعو الله ويخاطبه ويطلب منه لا يدعو غيره إلا على سبيل استحضاره لا على سبيل الطلب منه. وأما الداعي والمستغيث فهو الذي يسأل المدعو ويطلب منه ويستغيثه ويتوكل عليه). انتهى.

واقول :-

وقد ذكر هذه المساءلة رجوعه موكدا كلام الحافظ ابن كثير تلميذالشيخ الحافظ ابو محمد القاسم بن البهاء محمد الدمشقي البرزالى فى كتاب العقود الدرية فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٨٦)

اذا صار القول الاول مرجوعا عنه فلا يصح ولا يجوز الاعتماد عليه ولاالفتوي به ولانسبته له .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب :-

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته لأهل القصيم . ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢) : لا يخفى عليكم بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي فمنهاه قوله إني مبطل كتب المذاهب الأربعة وإني أقلوو إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وإني أدعي الإجتهاد وإين خارج عن التقليد وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني أكفر البوصيري

لقوله يا أكرم الخلق وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من حشب وإني أحرم زيارة قبر النبي وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وإني أكفر من حلف بغير الله وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين .

. جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم وقبله من بهت محمدا أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور قال تعالى:"إنما يفترى الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله" الآية ، بهتوه بأنه يقول إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزل الله في ذلك" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون".اهـ

. وقال محمد بن عبد الوهاب فى فتاويه (٦٨\٣ . ط : جامعة محمد بن سعود فى أسبوع الاحتفال بالشيخ محمد بن عبد الوهاب) وقد سئل عن قولهم فى الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد : يتوسل بالنبى خاصة مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق . فقال: فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي)ص)، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه ، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا

لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات ، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين،

أو يقصد قبرا معروفا أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين فأين هذا مما نحن فيه .

(انتهى من فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتبرأ عمن يكفر المتوسلين:–

وقد جاء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته الموجهة لأهل القصيم الاستنكار الشديد على من نسب إليه تكفير المتوسل بالصالحين ، وقال : ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي .

فمنها : قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وإني أدعي الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر

من توسل بالصالحين ، وإني أكفرالبوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وإني أقول : لو أقدر على هدم قبة رسول الله r لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، وإني أحرم زيارة قبر النبي r ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفر من حلف بغير الله ، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي ، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين ، وأسميه روض الشياطين .

جوابي عن هذه المسائل : أن أقول : (سبحانك هذا بهتان عظيم)، وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ، ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب ، وقول زور .

قال تعالى : ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) الآية ، بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول : إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار ، فأنزل الله في ذلك : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ .

أنظر الرسالة الأولى من الرسائل الشخصية ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب المنشورة باهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

رسالة مهمة أخرى للشيخ :–

وهذه رسالة أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي عالم من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه ، فأجابه بهذه الرسالة :

قال فيها :

إن إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يفتريه مما قلتم : أنني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، ويا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ، وهل يقول هذا مسلم ؟ .

وما قلتم : لو أنني أقدر على هدم قبة النبي (صلى الله عليه وسلم) لهدمتها ، وفي دلائل الخيرات وحرمته ، وأنهى عن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بأي النظم كان ، فهذا من البهتان ، والمسلم لا يظن من قلبه أجل من كتاب الله .

وفي صحيفة ٦٤ من نفس الكتاب قال رحمه الله : وما قلتم : أنني أكفر من توسل بالصالحين ، وأكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وأنكر زيارة قبر النبي)ص) ، وأنكر زيارة قبور الوالدين وغيرهم ، وأكفر من حلف بغير الله .

جوابي على ذلك أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم .

أنظر القسم الخامس – الرسائل الشخصية ص٣٧ من مجموعة مؤلفات الشيخ.

وقال الشيخ حسين بن غنام الإحسائى ، من أصحاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شارحا كلام الشيخ فى "روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام (١ / ٧٨) " : العاشرة : قولهم فى الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد : يتوسل بالنبى خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق ، فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما

نحن فيه ، فكون بعضهم يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبى ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، هذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار فى مسائل الاجتهاد .اهـ

القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني :–

والامام الشوكاني فقد أجاز التوسل في كتابه (تحفة الذاكرين) كما يعلم ذلك القاصي والداني ، ففي صحيفة ٣٧ من كتاب الشوكاني (تحفة الذاكرين) (طبع دار الكتب العلمية) عقد بابا سماه : (وجه التوسل بالأنبياء وبالصالحين) ثم قال :) (قوله ويتوسل الى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين) أقول : ومن التوسل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي. انتهى.

وأصرح من هذا ما ذكره الشوكاني ص ١٣٨ في (باب صلاة الضر والحاجة) حيث قال ما نصه : (وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله الى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى) انتهى.

وقال القاضي الشوكاني فى تحفة الذاكرين (ص ١٦٢): ((وفي هذا الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله(ص) إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطى المانع ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن)) . اهـ .

وقال ايضا رحمه الله تعالى في رسالته ((الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد)) ما نصه :(أما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه ، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إنه لا يجوزالتوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي (ص) إن صح الحديث فيه . ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه،والترمذي وصححه،وابن ماجة ، وغيرهم أن أعمى أتى النبي (ص)فذكر الحديث .

قال وللناس في معنى هذا قولان :

أحداهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال : كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل بعم نبينا هو في صحيح البخاري وغيره ، فقدذكرعمر رضى الله عنه إنهم كانوا يتوسلون بالنبى (ص)في حياته بالاستسقاء، ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى ، والنبي (ص) كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم .

والقول الثاني : إن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته وفي مغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه .

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي (ص) كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والثاني : إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضله إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله ، فإذا قال القائل : اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ، أن النبي (ص) حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله ، فارتفعت الصخرة . فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام(٢)،ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم ولاسكت النبي (ص) عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى : { مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } ، ونحو قوله تعالى : { فلا تدعوا مع الله أحدا } ، ونحو قوله تعالى: { له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ } ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم، فتوسل به لذلك .

وكذلك قوله :{ فلا تدعوا مع الله أحدا } فإنه نهى عن أن يدعو مع الله غيره كأن يقول يا الله ويا فلان، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل ليه بعمل صالح عمله بعض عباده ، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم ، وكذلك قوله {والذين يدعون من دونه } الآية ، فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم .

والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ، ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه .

فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع، خروجا زائدا على ما ذكرناه،

كاستدلالهم بقوله تعالى { وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله }، فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها دلالة إلا أنه تعالى هو المنفرد بالأمر يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شئ ، والمتوسل بنبي من الأنبياء أ، عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين .

ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياأو غير نبي فهو في ضلال مبين .

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: { ليس لك من الأمر شئ }، { قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا }، فإن هاتين الآيتين

مصرحتان بأنه ليس لرسول الله (ص)من أمر الله شئ، وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره ، وليس فيه منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسول الله(ص) المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه ، وقال له: سل تعط واشفع تشفع ، وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى . وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى:{ وأنذر عشيرتك الأقربين }: يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا .

فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع ما أراد الله ضره ، ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله ، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي ، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين)) .

انتهى كلام الشوكاني رحمه الله تعالى .

العلامة الآلوسي :-

وقال الآلوسي فى (جلاء العيني بمحاكمة الأحمدين (ص ٥٧٢) مؤيدا التوسل بجاه النبي (ص) :((أنا لا أرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي (ص) عند الله تعالى حيا وميتا، ويراد بالجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل إلهي أتوسل بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضي لي حاجتي ، إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي ، ولا فرق بين هذا وقولك : إلهي أتوسل إليك برحمتك أن تفعل كذا ، إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا)) . انتهى

الألباني يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

وقال في توسله (ص ٧٧): ((على أنني أقول: لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته صلى الله عليه وسلم فيكون حكماخاصا به صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين ، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح ، لأنه صلى الله عليه وسلم سيدهم وأفضلهم جميعا فيمكن أن يكون هذا مم خصه الله به عليهم ككثير مما يصح به الخبر ، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته صلى الله عليه وسلم فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليهكما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد

السلام رحمهما الله تعالى ، هذا هو الذى يقتضيه البحث العلمي مع النصاف ، والله الموفق للصواب)) اهـ .

التوسل من الفقه وليس من مباحث الاعتقاد:-

والتوسل على أنواع وأمره يدور بين الجواز والندب، والحرمة، وما كان أمره كذلك فهو من الأحكام الشرعية التي موضوعها علم الفقه، وإقحام موضوعات الفقه في التوحيد والعقائد خطأ يجب مجانبته .

والشيخ ابن تيمية قال فى مجموع الفتاوى (١\١٠٦) :(والثانى : أن التوسل يكون فى حياته وبعد موته وفى مغيبه وحضرته ولم يقل أحد أن من قال بالقول الأول فقد كفر ولا وجه لتكفيره فإن هذه مسألة خفية ليست أدلتها جلية ظاهرة والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء ومالا يشرع كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح وليس هو من مسائل السب عند أحد من المسلمين ، وأما من قال أن من نفى التوسل الذى سماه استغاثة بغيره كفر وتكفير من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله فأظهر من أن يحتاج الى جواب بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ

العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين لا سيما مع قول النبى .. من قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما).اهـ

وهذا الإمام أبو حنيفة يقول : ((ويكره أن يقول الرجل في دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك)) . اهـ (الجامع الصغير للإمام محمد ص ٣٩٥ مع النافع الكبير) .

فعبر الإمام أبو حنيفة رحمة الله تعالى بقوله ((يكره))، فدار الأمر بين الكراهية التنزيهية أو التحريمية ، كما قرره أصحابه في كتاب ((الكراهية)) أو ((الحظر والإباحة)) من مصنفاتهم الفقهية .

والسادة الفقهاء يذكرون استحباب التوسل أو جوازه، في باب الاستسقاء في كتاب الصلاة وعند زيارة قبر النبي (ص) في كتاب الحج .

أما سلك بحث التوسل في العقائد ، وجعله وسيلة من وسائل الشرك ، فبدعة قد حلت بالمسلمين ، ومسلكا قج زرع العداوة بينهم ونفخ في بوق الخلاف بين الأح وأخيه والأب وابنه .

والنصيحة لإخواني المتشددين في هذا الباب توجب على أن أذكر بعض النصوص التي تؤيد الحق الذي ذكرته ، وعنيت بأن تكون للمانعين من التوسل :

١) قال الشيخ حسين بن غنام الإحسائي في ((روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام)) :

(((العاشرة) قولهم في الستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد يتوسل بالنبي (ص) خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جدا وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعضهم يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي (ص)، و ((وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه))(٢)، هذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد)) . انتهى من كتاب ((السهسواني)) (ص ١٨٣) .

٢) قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي :

مسألة التوسل بالنبي (ص) وهو أن يقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد (ص) ، فهي مسألة مشهورة ، والكلام فيها معروف عند أهل العلم .

فطائفة من العلماء منعوا من ذلك سواء توسل بالنبي أو بغيره .

٣)وسئل محمد بن عبد الوهاب: عن قولهم في الاستسقاء : (لا بأس بالتوسل بالصالحين) وقول أحمد: يتوسل بالنبي(ص)خاصة مع قولهم: ((إنه لا يستغاث بمخلوق)) .

فأجاب بكلام منه قوله : فهذه المسألة من مسائل الفقه ، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور:إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الإجتهاد...الخ، انظر فتاوى ابن عبد الوهاب (٦٨: ٣) .

ولابن مفلح الحنبلي (١ / ٥٩٥) ما نصه : ((ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب ، قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي إنه يتوسل بالنبي (ص) في دعائه ، وجزم به في المستوعب وغيره)) . اهـ

٤) وقال القنوجي في باب آداب الدعاء من كتب ((نزل الأبرار)) (ص٣٧) ما نصه :((ومنها التوسل إلى الله سبحانه بالأنبياء ، ويدل عليه ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف – وذكر حديث توسل الضرير– ثم قال : ومنها التوسل بالصالحين ويدل له ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس عم الرسول (ص) ، ثم قال : ومسألة التوسل بالأنبياء والصالحين مما اختلف فيه أهل العلم اختلافا شديدا بلغت النوبة إلى أن كفر بعضهم بعضا أو بدع وضلل . والأمر أيسر من ذلك وأهون مما هنا للك ، وقد قضى الوطر منها صاحب كتاب (الدين الخالص) ، والعلامة الشوكاني في ((الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد)) .

و قال الشيخ سليمان حفيد ابن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٩ : (فحديث الأعمى شيء ، ودعاء غير الله تعالى والاستغاثة به شيء آخر.

فليس في حديث الأعمى شيء غير أنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ويشفع له ، فهو توسل بدعائه وشفاعته ، ولهذا قال في آخره : اللهم فشفعه في ، فعلم أنه شفع له. وفي رواية أنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له فدل الحديث على أنه صلى

الله عليه وسلم شفع له بدعائه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره هو أن يدعو الله ، ويسأله قبول شفاعته.

فهذا من أعظم الأدلة أن دعاء غير الله شرك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل قبول شفاعته ، فدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعى ، ولأنه صلى الله عليه وسلم لم يقدر على شفائه إلا بدعاء الله له. فأين هذا من تلك الطوام ؟!

والكلام إنما هو في سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أما أن تأتي شخصا يخاطبك فتسأله أن يدعو لك فلا إنكار في ذلك على ما في حديث الأعمى.

فالحديث سواء كان صحيحا أو لا ، وسواء ثبت قوله فيه يا محمد أو لا ، لا يدل علي سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، بوجه من وجوه الدلالات. ومن ادعى ذلك فهو مفتر على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم !! انتهى.

الشيخ الألبانى يقول فى شرح الطحاوية (ص : ٦٠) أنها ليست من مسائل العقيدة.

نموذج من أسماء بعض الحفاظ والمحدثين ممن يتوسلون :-

وأنقل إليكم أسماء بعض من توسل من علماء الحديث والحفاظ الكبار، ولنضرب لذلك بعض الامثله:

١ – الحافظ إبراهيم الحربي : توسل بقوله " قبر معروف الكرخي هو الترياق المجرب" تاريخ بغداد (١ / ١٢٢) .

٢ – الحافظ أبو الربيع بن سالم : توسل بقبر محمد بن عبيد الله الحجرى (التكملة (٢ /٢٨١) لكتاب الصلة ؟ الذهبى في سير أعلام النبلاء)(٢١ / ٢٥١ –٢٥٣)

٣ – الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني : توسل بقوله " والشكوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجوع " ؟ سير أعلام النبلاء (١٦ / ٤٠٠) .

٤ – الحافظ أبو الطيب المكى الفاسى : توسل بقوله " بمحمد سيد المرسلين " ذيل التقييد (١ / ٦٩) .

٥ – الحافظ أبو المحاسن بن حمزة الحسينى الدمشقى : توسل بقوله " بجاه المصطفى " ذيل تذكرة الحفاظ (١ / ٣١٥) .

٦ – الحافظ أبو زرعة الرازى : كان يقول لعلى الرضا " حدثنا بحق آبائك "

٧ – الحافظ أبو عبد الله الصفار الإسفرائينى : أخذ عنه الحاكم توسل كثير من الصالحين – تقدم ذكره فى ثنايا الكتاب .

٨ – المحدث أبو على الخلال : قال " فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به "

تاريخ بغداد (١ / ١٢٠) .

٩ – الحافظ أبو زرعة العراقى : أتى النبى أمام قبره وقال " أنا جائع "

المنتظم لابن الجوزى (٩ / ٧٤ ، ٧٥)

١٠ – الحافظ ابن أبى الدنيا : توسل بقوله " بحق النبى " قرى الضيف (٥ / ٢٢٥).

١١ – الحافظ ابن أسلم الطوسى : كان يقول لعلى الرضا " حدثنا بحق آبائك " وقد ذكرناه من قبل فى الكتاب .

١٢ – الحافظ ابن الأبار : توسل بقوله " يا شافع البرية أن تشفع فيها لبارئ النسم " الحلة السيراء (٢ / ٢٨٤) .

١٣ – الحافظ ابن الجزرى : قال بالتوسل فى كتابه (عده الحصن الحصين ؟ باب فضل آداب الدعاء) .

١٤ – الحافظ ابن الجوزي : توسل بقوله " بحق محمد صلى الله عليه وسلم "زاد المسير (٤ / ٢٥٣) .

١٥ – الحافظ ابن القيسراني : توسل بقوله " توسلوا به إلى الله "تذكرة الحفاظ (٤ / ١٣٧١) .

١٦ – الحافظ ابن المقرئ الأصبهانى : التوسل عند القبر والشكوى إلى الرسول من

الجوع – مروية فى سير أعلام النبلاء (١٦ / ٤٠٠) .

١٧ – الحافظ ابن حبان : كان إذا أهمه أمر قصد قبر الإمام علي الرضا فينكشف همه ،

قال : " وقد جربته مرارا وقد تم الإشارة إليه من قبل " الثقات (٨ / ٤٥٧).

١٨ – الحافظ ابن حجر العسقلاني : وله كلام كثير في فتح الباري وغيره .

١٩ – الحافظ ابن طولون : استشهد بكلام الحافظ العلائي شيخ حافظ العراقي في

المسائل التى شذ بها ابن تيمية فى الأصول والفروع ومنها التوسل (ذخائر القصر ؟ مخطوط بالخزانة التيمورية بالقاهرة) .

٢٠ – الحافظ ابن عساكر : كتب فى أربعينياته " يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربي "

وكتبه عامرة بالتوسل ، وذكره مناقب جعفر الصادق بقوله فيه " وبالنبى متوسلا " وذكر عن أحد الصالحين أن قبره يتبرك به . تاريخ دمشق (٦ / ٤٤٣).

٢١ – الحافظ ابن فهد : سأل الحافظ العراقي ما شذ به ابن تيمية فى التوسل والزيارة .

كتاب الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية .

٢٢ – الحافظ ابن كثير : توسل بقوله " بمحمد وآله " – البداية والنهاية (١٣ / ١٩٢) .

٢٣ – الحافظ الإمام أحمد : قال فى منسكه الذى كتبه للمروذى : إنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه . حتى ابن تيمية نقله .

٢٤ – الحافظ البيهقي: روى عنه ابن الجوزي فى المنتظم (١١ / ٢١١) من مناقب أحمد بن حرب " استجابة الدعاء إذا توسل الداعي بقبره " .

٢٥ – الحافظ الحاكم : من روى تعظيم ابن خزيمة لقبر علي الرضا وتوسل شيوخه بقبر يحيي بن يحيي وقد سبق ذكره وغير ذلك كثيرا .

٢٦ – الحافظ الخطيب البغدادي : توسل بقوله " بحق محمد " . الجامع لأخلاق الراوى والسامع (٢ / ٢٦١) .

٢٧ – الحافظ الدارمي : باب ما أكرم الله به نبيه ؟ سنن الدارمى .

٢٨ – الحافظ السخاوي : توسل بقوله " ووسيلتنا وسندنا "فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى (٤ / ٤١٠) .

٢٩ – الحافظ السلفي : له توسل فى معجم السفر .

٣٠– الحافظ السيوطي : توسل بقوله " بمحمد وآله " الإتقان (٢ / ٥٠٢) وكتبه طافحة بالتوسل .

٣١ – الحافظ الطبراني : التوسل عند القبر والشكوى إلى الرسول من الجوع – مروية فى سير أعلام النبلاء (١٦ / ٤٠٠) – كما أنه صحح حديث التوسل بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٣٢ – الحافظ العجلوني: توسل بقوله " وبخير خلقك لم أزل متوسلا " كشف الخفاء (٢ / ٥٥) .

٣٣ – الحافظ العلائي : ألف كتاب فى الرد على ابن تيمية فى موضوع التوسل والزيارة

٣٤ – الحافظ القضاعي : توسل بقوله " توسلوا به إلى الله " التكملة لكتاب الصلة (٢ / ٢٨١).

٣٥– المحدث الكلاباذي : توسل بقوله " وبنبيه أتوسل" التعرف لمذهب أهل التصوف(١ / ٢١) .

٣٦ – الحافظ الكلاعي : صاحب كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى اليقظة والمنام ؟ كشف الظنون (٢ / ١٧٠٦) .

٣٧ – الحافظ اللكنوي أبو الحسنات : توسل بقوله " متوسلا بنبيه " الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل (ص : ٢٧) .

٣٨ – الحافظ اللالكائى : ذكر حمزة الهاشمي " أنا من ذلك الذي استسقى بشيبته عمر"

وما زال يردد ويتوسل بهذه الوسيلة .

جواز الصلاة على النبي(صلى الله عليه وسلم) بغير الصيغ المأثورة عنه:-

ليعلم القاري الكريم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، من الملائكة وسائر المؤمنين معناها الدعاء له صلى الله عليه وسلم ومن الله معناها الرحمة المقرونة بالتعظيم والإجلال والتكريم ولما كانت الصلاة عليه معناها الدعاء له فيجوز شرعا وعقلا أن يصلي عليه الفرد من أمته بما يلهمه الله من دعاء له صلى الله عليه وسلم وليس هنالك تحجير في ذلك فدعاء الله والثناء عليه عز وجل أرفع وأعلى عند كل عاقل وفيه يجوز أن يدعو المرء بما يشاء ويثني على الله بما يرد عليه من محامد.

وأما الأدلة التي يمكن أن نوردها في جواز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بغير الصيغ المأثورة عنه فمنها ما ورد عن الصحابة ومنها ما ورد عن التابعين ومنها ما ورد عن أجلة العلماء بالدين السابقين منهم والمتأخرين فأول هذه الأدلة ما ورد عن الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه كان يعلم الناس الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول "اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على سيدنا محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلي الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل" إلى آخر هذه الصيغة، فمن أرادها فليرجع

تفسير ابن كثير والقاضي عياض في كتابه "الشفا" عن سلامة الكندي عن علي رضي الله عنه وأخرج هذا الحديث أيضا الحافظ الطبراني بإسناد لأباس به في كتابه الجامع الأوسط وكذا ذكره ابن أبي شيبة في المصنف وقال الحافظ ابن كثير فيه "هذا مشهور عن كلام علي رضي الله عنه" وقد أعل بعضهم هذا السند وقالوا الحديث مرسل لأن سلامة الكندي لم يدرك عليا، وقد رد هذا القول ابن حبان فقال " روى أي سلامة عن علي وروى عنه نوح ابن قيس وهو ثقة". فالحديث ثابت وسنده صحيح إذ أن المثبت مقدم على النافي، وهو حجة عند كل عاقل، وعند كل عالم بفنون الحديث.

وللإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عدة صيغ في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من تأليفه، ولكننا نورد أحاديث أخر عن صحابة غيره حتى يعلم أن الأمر معلوم جوازه لدى كافة الصحابة وليس مقصورا فهمه على الإمام علي كرم الله وجهه.

فمن ذلك ما روى ابن حميد وعبد الرازق بسند جيد عن طاؤس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول "اللهم تقبل شافعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما أتيت إبراهيم وموسى" كذلك رواه القاضي عياض في كتابه الشفا والإمام البيهقي في شعبه وقال ابن كثير عنه في تفسيره المشهور "إسناده جيد قوي صحيح".

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول للناس "إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه لعل ذلك يعرض عليه" فقالوا "علمنا" فقال: "اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد" وهذا الحديث رواه ابن ماجة في سننه وعله بعضهم بأن فيه المسعودي وقد اختلط وحسنه الحافظ المنذري ورواه القاضي عياض في "الشفا" والحافظ البيهقي "في شعب الإيمان" ورواه كذلك الحافظ الديلمي والحافظ الدار قطني والإمام تمام في فوائده وكذلك أورده الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "أذكار اليوم والليلة" أيضا في كتابه "الوابل الصيب" ولا بد لقارئ هذا الحديث أن يقف موقف المتمعن في ألفاظه، وليقف عند قول سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، فأحسنوا الصلاة عليه، فلو كان يريد أن يرشدهم للعمل بالصيغ المأثورة لما جاز له استعمال هذا التعبير. وليقف القارئ لهذا الحديث عند قول التابعين الذين حظوا بمجالسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قولهم "علمنا" فلو كان الأمر مقصورا على الصيغ النبوية وكان في مفهومهم أو مفهوم الصحابة رضوان الله عليهم،

عدم جواز ذلك لما سألوه هذا السؤال، ثم ثالث الأمر لفظ الصلاة ذاتها فهي ليست من قوله صلى الله عليه وسلم، إنما من تأليف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

فها هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود يصلون على الرسول صلى الله عليه وسلم بصيغ من عندهم، وهم – ثلاثتهم – قد تميزوا من بين الصحابة بالعلم والتفقه، يعلم ذلك كل من كانت له معرفة بهؤلاء الرجال. فعلي قد ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم "أنا مدينة العلم وعلى بابها" وقوله "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضو عليها بالنواجذ" وقوله "الحق مع علي حيثما دار" أو معنى ما قاله صلى الله عليه وسلم.

وابن عباس رضي الله عنهما دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم والتفقه في الدين قائلا "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل".

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو كذلك من أكابر الصحابة الذين وصفوا بتمام المعرفة، فهو كاتب الوحي في العهود التي جمع فيها المصحف، وهو من أكثر الصحابة دراية ورواية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بالإقتداء به قائلا "تمسكوا بعهد ابن أم معبد" أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ذكر بعض صلوات ألفها ائمة السلفية

صلاة ابن تيمية :–

وانقل صلاة ابن تيمية شيخهم وقدوتهم وأمام رأيهم التي ختم بها كتابه " علم الحديث" قائلا : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين"

صلاة ابن القيم :-

ومن أجل تلاميذه علما وأرفعهم قدرا وأكثرهم دراية ورواية بعلم الحديث الإمام ابن قيم الجوزية فأنقل لتلاميذه الذين ناقضوا منهجه وأبطلوا دعوته في الصلاة على الرسول الكريم إذ أنه صلى في ختام كتابه المشهور"أذكار اليوم والليلة بصيغة من عنده نهج فيها نهج المتصوفة في الصلاة والثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا بعد الحمد لله بالتحاميد المشهورة في السنة النبوية "

(و صلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأميته على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه للإيمان مناديا وإلى الصراط هاديا وإلى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف أمرا وعن كل منكر ناهيا فاحيا القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد في الله تعالى حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى

الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليما".

وألفت نظر القارئ الكريم في هاتين الصيغتين لثبوت لفظة السيادة مع اسم الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤلفين وهما الإمام ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية فهلا اقتديتم بمشايخكم وعجبا لقوم يجهلون بمسلك من يسمونهم بأشياخ الإسلام وأئمة العلماء!!.

ولو تتبعنا هذا الأمر لطال بنا النقل والتصريح وفيما أوردناه كفاية لكل طالب حق صادق النية لله "فبأي حديث بعده يؤمنون " .

الشيخ محمد ابن عبدالوهاب :-

وهذه رسالة أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي عالم من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه ، فأجابه بهذه الرسالة : قال فيها :إن إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يفتريه مما قلتم : أنني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، ويا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ، وهل يقول هذا مسلم ؟ .وما قلتم : لو أنني أقدر على هدم قبة النبي (صلى الله عليه وسلم) لهدمتها ، وفي دلائل الخيرات وحرمته ، وأنهى عن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ((بأي النظم كان))، فهذا من البهتان ، والمسلم لا يظن من قلبه أجل من كتاب الله .

أنظر القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص٣٧ من مجموعة مؤلفات الشيخ -.

التبرك :-

ابن تيمية يجيز التبرك وينسبة الي الإمام احمد ابن حنبل:-

قال ابن تيمية في كتابه المسمى اقتضاء الصراط المستقيم،الجزء ١،صفحة ٣٦٧:"فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ويده) .

نص الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:-

في كتاب " العلل و معرفة الرجال " ج ٢/٣٥ لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ..قال : ((سألته – يعني أباه الإمام أحمد – عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه و سلم و يتبرك بمسه و يقبله و يفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جل و عز ... فقال – أي أباه- : لا بأس بذلك)).

والامام أحمد بن حنبل يجيز التبرك بقبر النبي ومنبره وآثاره، فقد سئل: "عن الرجل يمس منبر النبي ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جل وعز" فقال أحمد: "لا بأس بذلك" رواه عنه ابنه عبد الله في كتاب "العلل ومعرفة الرجال" الجزء الثاني صحيفة (٣٥) خمس وثلاثين مسألة مائتين وخمسين (٢٥٠)، كما أن أحمد كان يحمل شيئا من شعر النبي للتبرك به.

كتابت الحجبات وتعليقها:-

أحمد بن حنبل يجيز كتابة الحروز الخالية مما يخالف الشرع وتعليقها، فقد روى عنه ابنه عبد الله قال "رأيت أبي يكتب التعاويذ للذي يصرع وللحمى لأهله وقرابته، ويكتب للمرأة إذا عسر عليها الولادة في جام أو شيء نظيف، ويكتب حديث ابن عباس" اهـ. انظر كتاب مسائل أحمد لابنه عبد الله صحيفة أربعمائة وسبع وأربعين (٤٤٧).

كما أن الإمام أحمد عندما مرض أحد تلاميذه وهو أبو بكر المروذي كتب له ورقة فيها: "بسم الله ومحمد رسول الله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين" اهـ.

الشيخ ابن تيمية يجوز التبرك بالقران "الدواية – المحاية" واثار النبي (صلى الله عليه وسلم):-

مجموع فتاوي ابن تيمية : "الجزء١٢ صفحة ٥٩٩":"واذا كتب شيء من القران أو الذكر في إناء أولوح ومحي بالماء وغيره ، وشرب ذلك فلا بأس به – نص عليه أحمد وغيره ، ونقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهماأنه كان يكتب كلمات من القران والذكر ويأمر بأنتسقى لمن به داء وهذايقتضي أن لذلك بركة .

والماء الذي توضا به النبي صلىالله عليه وسلم هو ايضاماء مبارك ، صب منه على جابر وهو مريض ، وكان الصحابة يتبركون به/. اهـ

المولد النبوي الشريف :-

كلام الشيخ من اقتضاء الصراط (ص ٢٦٧)ما نصه: "فصل: ومن المنكرات في هذا الباب سائر الأعياد والمواسم المبتدعة، فإنها من المنكرات المكروهات سواء بلغت الكراهة التحريم أو لم تبلغه".

وقال الشيخ ابن تيمية من الإقتضاء (ص ٢٦٦) ما نصه:-

"تقدم أن العيد يكون اسما لنفس المكان ولنفس الزمان ولنفس الاجتماع، وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء: أما الزمان فثلاثة أنواع، ويدخل فيها بعض بدع أعياد المكان والأفعال، أحدها يوم لم تعظمه الشريعة أصلا، ولم يكن له ذكر في وقت السلف ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه، مثل أول خميس من رجب ......".

وقال ايضا:(ص ٢٦٧)" النوع الثاني: ما جرى فيه حادثة، كما كان يجري في غيره من غير أن يوجب ذلك جعله موسما، ولا كان السلف يعظمونه كثامن عشري ذي الحجة، الذي خطب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) بغدير خم، مرجعه من حجة الوداع فإنه (صلى الله عليه وسلم) خطب فيه خطبة وصى فيها باتباع كتاب الله، ووصى فيها بأهل بيته كما روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ".

وقال ايضا:" وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وتعظيما له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) عيدا".

و (ص ٢٦٧) ما نصه: " وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن تخصيص أوقات بصلاة أو بصيام، وأباح ذلك إذا لم يكن على وجه التخصيص، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوما قبله أو يوما بعده)، وهذا لفظ البخاري".

وقال الشيخ ابن القيم فى الروح (ص ١٤٣) ما نصه: "والقائل أن أحدا من السلف لم يفعل ذلك قائل مالا علم له به، فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعمله، فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه".

وقال الشيخ ابن تيمية فى مجموع الفتاوى(٢٠٧/٢٠)ما نصه: "وسئل عمن يقلد بعض العلماء فى مسائل الاجتهاد فهل ينكر عليه أم يجهر، وكذلك من يعمل بأحد القولين، فأجاب:

الحمد لله، مسائل الإجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يجهر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه، وإذا كان فى المسألة قولان فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم فى بيان أرجح القولين والله أعلم".

وقال الشيخ ابن تيمية في " اقتضاء الصراط " في بحث المولد : "٢٩٧- ٢٩٨":"فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعيظمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد ولهذا قيل للامام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ، أو كما قال . مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة ، وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط ، وليس مقصود أحمد هذا وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضا مفسدة كره لأجلها /اهـ.

الحافظ ابن كثير :-

قال ابن كثير في ((البداية والنهاية))ج ١٣ ص ١٣٦ : كان الملك المظفر أحد الأجواد، والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا، وقال السبط: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم، ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكانت له دار ضيافة للوافدين

من أي جهة على أي صفة ، وقالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم فعاتبته بذلك فقال: لبسي ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار اهـ. وفي ((جواهر البحار)) للعلامة النبهاني ج٣ص٣٣٨: أن الحافظ الإمام أبا شامة شيخ النووي أكثر الثناء على الملك المظفر بماكان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وفي ((شذرات الذهب)) جـ٥ ص ١٣٨: أنه كان يعمل الاحتفالات لمولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة في الثامن من شهر ربيع الأول، وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا يزيد على الوصف، ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع، ويخلع على كل واحد من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويدفع لكل واحد نفقة وهدية وما يوصل إلى وطنه.وقال ابن شهبة في ((تاريخ الإسلام)) بعد كلام طويل، وثناء جميل: قال جماعة من أهل إربل: كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى الأسرى مائتي ألف دينار، وعلى دار الضيافة مائة ألف دينار، وعلى الخانقاه مائة ألف، وعلى الحرمين وعرفات ثلاثين ألف دينار غير صدقة السر. مات رحمه الله في رمضان بقلعة إربل سنة٦٣٠ هـ

وأوصى أن يحمل إلى مكة فيدفن في حرم الله تعالى، وقال: أستجير به. انتهى ما نقلته من ((شذرات الذهب)) باختصار.

وفي ((وفيات الأعيان)) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان جـ٤ ص ١١٣ - ١٢١ أن الملك المعظم مظفر الدين صاحب "إربل" كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة، وكان لا يمكن أحدا من إدخال المنكر إلى البلد، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف، فإن الحجاج كانوا يتضررون من عدم الماء.

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفا منه، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، وكان يعمل المولد سنة في ثامن الشهر وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه ، وكان رحمه الله متى أكل شيئا استطابه لا يختص به، بل إذا أكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض أجناده : احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح، وكان كريم الأخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة، لا ينفق

عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهما لا يعطيه شيئا إلا تكلفا اهـ.

السبحة

مجموع فتاوي ابن تيمية : "الجزء٢٢صفحة٦":"وعد التسبيح بالاصبع سنة ، كماقال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء سبحن واعتقدن بالاصبع فانهن مسؤلات مستنطقات/

وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك فحسن ، وكان من الصحابة رضي الله عنهم من يفعل ذلك ، وقد راى النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنيين تسبح بالحصى ، وأقرها على ذلك ، وروي أن اباهريرة كان يسبح به .

أماالتسبيح بما يجعل في نظام من الخرز ، ونحوه ، فمن الناس من كرهه ، ومنهم من لم يكرهه ، واذا احسنت فيها النيةفهو حسن غير مكروه/ اهـ .

الشيخ ابن تيمية يجيز استعمال السبحة في الصلاة :-

وفي مجموع الفتاوى أيضا"٢٢/٦٢٥":سئل عما إذا قرأ القرآن يعد في الصلاة بسبحة هل تبطل صلاته أم لا ؟

فأجاب : "إن كانالمراد بهذا السؤال أن يعد الآيات أو يعد تكرار السورة الواحدة مثل قوله " قل هوالله أحد " بالسبحة فهذا لا بأس به وإن أريد بالسؤال شيء آخر فليبينه والله اعلم"اه

الشيخ ابن تيمية يثبت نورية النبي صلى الله عليه وسلم:-

مجموع فتاوي ابن تيمية : الجزء "١٣ص ١٠""وكذلك قوله : "لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" قيل : النور هو محمد عليه الصلاة والسلام).

الاقطاب والابدال والنجباء:-

مجموع فتاوي ابن تيمية الجزء ٤صفحة ٣٧٩في حديثه عن المقارنة بين الملائكة وبني ادم :"وقدقالوا : إن علماء الآدميين مع وجود المنافي أحسن وأفضل ، ثم هم في الحياة الدنيا وفي الاخرة يلهمون التسبيح، كما يلهمون النفس ، واما النفع المتعدي ، والنفع للخلق ، وتدبيرالعالم ، فقد قالوا : هم تجري ارزاق العباد على أيديهم ، وينزلون بالعلوم والوحي ، ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة .

الجواب : أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه ، ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين ، وشفاعته في البشر كي يحاسبوا ، وشفاعته لأهل الجنة حتى يدخلوا الجنة . ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة ، وأين هم من قوله"ومارسلناك إلا رحمة للعالمين" "الانبياء ١٠٧:/؟واين هم من الذين يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة"/الحشر: ٩" ؟

وأين هم ممن يدعون الى الهدى ودين الحق ، ومن سنة سنة حسنة؟ وأين هم من قوله صلى الله عليه وسلم : إن من امتي من يشفع أكثر من ربيعة ومضر ، وأين هم من الاقطاب ، والاوتاد ، والاغواث ، والابدال ، والنجباء؟/اهـ

تلقين الميت:–

قال الشيخ ابن تيمية فى قتضاء الصراط (ص ٣٢٦)ما نصه: " وروي في تلقين الميت بعد الدفن حديث فيه نظر لكن عمل به رجال من أهل الشام الأولين مع روايتهم له فلذلك استحبه أكثر أصحابنا وغيرهم.

فهذا ونحوه مما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعله ويأمر به أمته عند قبور المسلمين عقب الدفن وعند زيارتهم أو المرور بهم إنما هو تحية للميت كما يحيى الحي ويدعي له كما يدعي له إذا صلى عليه قبل الدفن أو بعده وفي ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه ولسائر المسلمين كما أن الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلي ولسائر المسلمين وتخصيص الميت بالدعاء له".

وصول ثواب الاعمال الي الميت:–

وقال الشيخ ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٤)ما نصه:

"وسئل عن قراءة أهل الميت تصل إليه والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه إلى الميت يصل إليه ثوابها أم لا؟

فأجاب يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهم وسائر ذكرهم لله تعالى إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم".

وقال ابن تيمية فى قتضاء الصراط (ص ٣٧٨): "ثواب العبادات البدنية من الصلاة والقراءة وغيرهما يصل إلى الميت كما يصل إليه ثواب العبادات المالية بالاجماع وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد

وغيرهما وقول طائفة من أصحاب الشافعي ومالك وهو الصواب لأدلة كثيرة".

وصول ثواب الاعمال الي الميت:-

مجموع فتاوي ابن تيمية : الجزء "٢٤ ص ٣٢٤":وقد سئل إبن تيمية رضي الله عنه عمن هلل سبعين ألف مرة وأهداه للميت يكون براءة للميت من النار " حديث صحيح ؟ أم لا ؟ وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه أم لا ؟

فأجاب :إذا هلل الإنسان هكذا : سبعون ألفا أو أقل أو أكثر .

وأهديت إليه نفعه الله بذلك وليس هذا حديثا صحيحا ولا ضعيفا. والله أعلم .

وفي مجموع الفتاوى "٣٢١/٢٤ - ٣٢٤":سئل : عن قراءة أهل الميت تصل إليه والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه إلى الميتيصل إليه ثوابها أم لا ؟

فأجاب : يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهموسائر ذكرهم لله تعالى إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم .

وكذلك في كتابه مجموع الفتاوى "٢٤/ ٣٦٦- ٣٦٧":قال: "وأما القراءة والصدقة وغيرهما من أعمال البر : فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة فى وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق ، كما يصل إليه أيضا الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره.

وتنازعوا فى وصول الأعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة ، والصواب أن الجميع يصل إليه ... الي ان قال وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم ، سواء كان منأقاربه أو غيرهم ، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره" اهـ.

وقال الشيخ ابن القيم فى كتاب الروح :(ويدل على هذا أيضا ما جرى عليه عمل الناس قديما وإلى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ،ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى في معجمه من حديث أبى أمامة قال قال رسول الله إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولايجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة يقول أرشدنا رحمك الله ولكنكم لاتسمعون فيقول أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال ينسبه إلى امه حواء،فهذا الحديث وإن لم يثبت فإتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير انكار كاف في العمل به وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمه طبقت مشارق الأرض ومغاربها

وهي أكمل الأمم عقولا وأوفرها معارف تطيق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لاينكره منها منكر بل سنه الأول للآخر ويقتدي فيه الآخر بالأول فلولا ان المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم..

وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به أن النبي صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا لأخيكم التثيب فإنه الآن يسأل فأخبر أنه يسأل حينئذ وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال مات أخ لى فرأيته في النوم فقلت يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لهلكت

وقال شبيب بن شيبة أوصتني أمى عند موتها فقالت يا بنى إذا دفنتني فقم عند قبرى وقل يا أم شبيب قولى لا إله إلا الله فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت يا أم شبيب قولى لا إله إلا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في النوم فقالت يا بنى كدت أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله فقد حفظت وصيتى يا بنى.

وذكر ابن أبى الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عيينة قالت رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال جزى الله أخى أيوب عنى خيرا فإنه يزورني كثيرا وقد كان عندى اليوم فقال أيوب نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت إلى قبره).انتهي .

البدعة الحسنة:-

قال ابن تيمية في كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:(وكل بدعةليست واجبة ولامستحبة فهي بدعةسيئةوهي ضلالة باتفاق المسلمين ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي أنها مستحبة فأما ماليس بمستحب ولاواجب فلايقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله/. ا.هـ.

وقال ايضا في مجموع فتاويه مسألة الزيارة:"إذاالبدعة الحسنةعند منيقسم البدع إلى حسنة وسيئة لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم ويقوم دليل شرعي على استحبابها،وكذلك من يقول: البدعةالشرعيةكلها مذمومة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: كل بدعة ضلالة. ويقول عمرفي التراويح نعمت البدعة هذه. إنما سماها بدعة باعتبار وضع اللغة.

فالبدعة في الشرع عند هؤلاء مالم يقم دليل شرعي على استحبابه. ومآلالقولينواحد. اهـ

مصطلحات الصوفية:-

قال الشيخ ابن تيمية مجموع الفتاوى (١٠/١٥٣) ما نصه : "و العبادة أصل معناها الذل أيضا يقال: طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هوالتتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لا

نصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم يقال: تيم الله أى عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه".

تحديد العدد:-

الشيخ ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٣٢٣/٢٤)

سؤال ذكر عددي، فقال:

"وسئل عمن هلل سبعين ألف مرة، وأهداه للميت يكون براءة للميت من النار، حديث صحيح أم لا وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه أم لا؟

فأجاب: إذا هلل الإنسان هكذا سبعون ألفا أو أقل أو أكثر وأهديت إليه نفعه الله بذلك وليس هذا حديثا صحيحا ولا ضعيفا والله أعلم".

ورد الشيخ ابن تيمية:-

قال الإمام العلامة أبن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين (٤٤٨/١): [(من تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة إن من أدمن "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت " أورثه الله حياة القلب والعقل)].

وكان شيخ الإسلام أبن تيمية – قدس الله روحه – شديد اللهج بها وقال لي يوما: لهذين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب وكان يشير إلي أنهما الأسم الأعظم وسمعته يقول: من واظب على

أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر" يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث " حصلت له حياة القلب ولم يمت قلبه)

وقال الشيخ ابن القيم فى مدارج السالكين (٣/٢٦٤) ما نصه:

"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : من واظب على يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه".

اقول :من ذلك تبين لنا أن الشيخ ابن تيمية مقلد للشيخ (أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلى المقدسي الدمشقي الصالحي الزاهد العابد) المتوفي سنة ٦٠٧ هـ، حيث ذكر عنه ابن مفلح أنه كان يقول بين سنة الفجر والفرض أربعين مرة: (يا حي يا قيوم لا إله إلا إنت).

ومن الأمور المسلم بها عند المحققين من العلماء أن بعض الصالحين يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعيه وأذكارا تنطبق على الشرع ولا تنافيه ويبين لهم فيها فضلا خاصا ولنذكر ما قاله إمامان جليلات يكثر منهما ويستكثر بهما الالبانى والوهابيه : الإمام أبو اسحق الشاطبي في أكثر كتبه رواجا عندهم: كتاب (الاعتصام) والإمام أبن الحاج في أكثر كتبه رواجا عندهم وهو كتاب (المدخل).

قال الإمام أبو اسحق الشاطبي في كتابه الاعتصام(١/٢٦٠) : [إن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا

وجب تركها والإعراض عنها وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا كما يحكي عن الكتاني رحمة الله تعالى : (رأيت رسول الله صلى الله عليم وسلم في المنام فقلت أدع الله ألا يميت قلبي فقال : قل كل يوم أربعين مرة : يا حي يا قيوم لا إله أنت) فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته وكون الذكر يحي القلب صحيح شرعا وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير وهو من ناحية البشارة وإنما يبقي الكلام في التحديد بالأربعين وإذا في المنام وإذا لم يوجد على اللزوم واستقام وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله : رأيت ربي في المنام فقلت كيف الطريق إليك فقال أترك نفسك وتعال وشأن هذا الكلام من الشرع موجود فالعمل بمقتضاه صحيح)].

وقال الإمام أبن الحاج في المدخل (٤/١٢٩):

[وقع بعض الناس في شدة كبيرة فشكى ذلك للشيخ – يعني الحافظ أبن أبي جمرة رحمه الله – فرأي النبي الله صلى الله عليه وسلم]وهو يشير على الشخص بأن يسبح مائة مرة ويحمد الله مائة مرة ويكبر مائة مرة ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة ثم يصلى اثني عشرة ركعة ويدعوا بعدها بما يظهر له ثم يصلى ركعتين ثم يقرأ في الختمة خمسين آية من آخر سورة البقرة ثم يصلى أربعا وعشرين ركعة ثم يدعوا بهذا الدعاء وهو : اللهم لا فرج إلا فرجك ففرج عنا كل شدة وكربة يا من بيده مفاتيح الفرج أكفنا شر من يريد ضرنا من أنس وجن وأدفعه عنا بيدك القوية بإذنك وقدرتك إنك على كل شي قدير.

ففعله فذهبت تلك الشدة التي كان فيها ذلك الشخص وكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول في النوم للذي أخبره بما تقدم من التسبيح والصلاة والدعاء إن من فعل هذا صادقا فرج الله عنه شدته من يومه ولو كانت أي شئ كان].

حب المريد للشيخ :-

الشخ ابن تيمية مجموع الفتاوى (١١/٣٩٤) اجاب لسؤل، فقال؟ "سئل عن رجل يحب رجلا عالما، فاذا التقيا ثم افترقا حصل لذلك الرجل شبه الغشي من أجل الإفتراق، وإذا كان الرجل العالم مشغولا بحيث لا يلتفت إليه لم يحصل له هذا الحال، فهل هذا من الرجل المحب أم هو تأثير الرجل العالم؟

فأجاب: الحمد لله سببه من هذا ومن هذا، مثل الماء إذا شربه العطشان حصل له لذة وطيب، وسببها عطشه وبرد الماء، وكذلك النار إذا وقعت فى القطن، سببه منها ومن القطن، والعالم المقبل على الطالب يحصل له لذة وطيب وسرور، بسبب إقبال هذا وتوجهه وهذا حال المحب مع المحبوب والله أعلم".

جواز الاجتماع على الذكر والجهربه:-

مجموع الفتاوى ٢٢ / ٥٢٢:(مسألة ١٧٥ في رجل ينكر على أهل الذكر يقول لهم هذا الذكر بدعة وجهركم في الذكر بدعة وهم يفتتحون بالقرآن ويختتمون ثم يدعون للمسلمين الأحياء والأموات ويجمعون التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة ويصلون على النبي صلى

الله عليه وسلم والمنكر يعمل السماع مرات بالتصفيق ويبطل الذكر في وقت عمل السماع الجواب:-

الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعاء عمل صالح وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض فإذا مروا بقوم يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم وذكر الحديث وفيه وجدناهم يسبحونك ويحمدونك لكن ينبغي أن يكون هذا أحيانا في بعض الأوقات والأمكنة فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها إلا ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم المداومة عليه في الجماعات من الصلوات الخمس في الجماعات ومن الجمعات والأعياد ونحو ذلك وأما محافظة الإنسان على أوراد له من الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء طرفي النهار وزلفا من الليل وغير ذلك فهذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين من عباد الله قديما وحديثا فما سن عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات فعل كذلك وما سن المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عمل كذلك كما كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون أحيانا يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكان من الصحابة من يقول اجلسوا بنا نؤمن ساعة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه التطوع في جماعة مرات وخرج على الصحابة من أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم يستمع وما يحصل عند السماع

والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة وأما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات فهذا إن كان صاحبه مغلوبا عليه لم يلم عليه كما قد كان يكون في التابعين ومن بعدهم فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأما السكون قسوة وجفاء فهذا مذموم لا خير فيه وأما ما ذكر من السماع فالمشروع الذي تصلح به القلوب ويكون وسيلتها إلى ربها بصلة ما بينه وبينها هو سماع كتاب الله الذي هو سماع خيار هذه الأمة لا سيما وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال زينوا القرآن بأصواتكم وهو السماع الممدوح في الكتاب والسنة لكن لما نسي بعض الأمة حظا من هذا السماع الذي ذكروا به ألقي بينهم العداوة والبغضاء فأحدث قوم سماع القصائد والتصفيق والغناء مضاهاة لما ذمه الله من المكاء والتصدية والمشابهة لما ابتدعه النصارى وقابلهم قوم قست قلوبهم عن ذكر الله وما نزل من الحق وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة مضاهاة لما عابه الله على اليهود والدين الوسط هو ما عليه خيار هذه الأمة قديما وحديثا و الله أعلم).

مجموع الفتاوى ٢٢ / ٥٢٢

العلم اللدني:–

قال ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين ٥١١/١: ((وقد أنكر عليه [على الإمام أبو حامد الغزالي] طائفة من أهل الكلام والرأي كثيرا مما قاله من الحق وزعموا أن طريقة الرياضة وتصفية القلب لا تؤثر في حصول العلم وأخطؤوا أيضا في هذا النفي بل الحق أن التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم)) اهـ .

سئل الشيخ –ابن تيمية ـ غفر الله له:–كما في مجموع الفتاوى ج٤/ص٣٣٨هل كان الخضر (عليه السلام)نبيا أو وليا ؟ وهل هو حي إلى الآن ؟ وإن كان حيا فما تقولون فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(لو كان حيا لزارني) هل هذا الحديث صحيح أم لا ؟ فأجاب : أما نبوته : فمن بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوحِ إليه ولا إلى غيره من الناس، وأما قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلف في نبوته، ومن قال : إنه نبي، لم يقل : إنه سلب النبوة، بل يقول : هو كإلياس نبي، لكنه لم يوحِ إليه في هذه الأوقات، وترك الوحي إليه في مدة معينة ليس نفيا لحقيقة النبوة، كما لو فتر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء مدة رسالته . وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبيا، مع أن نبوة من قبلنا يقرب كثير منها من الكرامة والكمال في الأمة، وإن كان كل واحد من النبيين أفضل من كل واحد من الصديقين كما رتبه القرآن، وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد

النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق) ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن كان الرجل ليسمع الصوت فيكون نبيا) .

وفي هذه الأمة من يسمعه ويرى الضوء وليس بنبي؛ لأن ما يراه ويسمعه يجب أن يعرضه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه تيقن أن الذي جاء من عند الله يقين لا يخالطه ريب، ولا يحوجه أن يشهد عليه بموافقة غيره .

وأما حياته : فهو حي . والحديث المذكور لا أصل له، ولا يعرف له إسناد، بل المروي في مسند الشافعي وغيره : أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن قال : إنه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به، فإنه من العلم الذي لا يحاط به . ومن احتج على وفاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد) فلا حجة فيه، فإنه يمكن أن يكون الخضر إذ ذاك على وجه الأرض . ولأن الدجال . وكذلك الجساسة . الصحيح أنه كان حيا موجودا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو باق إلى اليوم لم يخرج، وكان في جزيرة من جزائر البحر . فما كان من الجواب عنه كان هو الجواب عن الخضر، وهو أن يكون لفظ الأرض لم يدخل في هذا الخبر، أو يكون أراد صلى الله عليه وسلم الآدميين المعروفين، وأما من خرج عن العادة فلم يدخل في العموم، كما لم تدخل الجن،

وإن كان لفظا ينتظم الجن والإنس . وتخصيص مثل هذا من مثل هذا العموم كثير معتاد . والله أعلم .

الفتوى الثانية:-

وسئل . رحمه الله . عن الخضر وإلياس، هل هما معمران ؟ بينوا لنا . رحمكم الله تعالى . إنهما ليسا في الأحياء، ولا معمران، وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما، فقال الإمام أحمد : من أحال على غائب لم ينصف منه، وما ألقى هذا إلا شيطان . وسئل البخاري عن الخضر وإلياس : هل هما في الأحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على وجه الأرض أحد ؟) . وقال أبو الفرج ابن الجوزي : قوله تعالى : { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد } [الأنبياء : ٣٤] وليس هما في الأحياء . والله أعلم .

تعريف العارف بالله عند الصوفية:-

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص٣٣٤":"فالعارف - عندهم -أي الصوفية ، من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم اخلص له في مقصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه ومخالفاته ، ثم صبر على احكام الله في نعمه وبلياته ، ثم دعا على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها باراء الرجال

واذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ماجاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة – اذا سمى به غيره على الدعوى والاستعارة ".

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص٣٣٥":"قال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل .

وانما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي وعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها ، جسده في الفرش وقلبه حول العرش".

الانتفاع بمجالسة العارفين عند ابن القيم:–

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص٣٣٥" :"وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء الى الإخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الاخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة" .

الإمام الشافعي وإنتفاعه من السادة الصوفية:–

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٣ ص١٢٨" :"قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين ، سمعتهم يقولون : الوقت سيف فإن قطعته والا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل .

قلت : يالهما من كلمتين ، ماأنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته ، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة أي السادة الصوفية . هذا قدر كلماتهم .

ابن القيم يوافق قول رابعة العدوية بعبودية الله تعالى من غير حظوظ ، لاجله ورضاه ولانه يستحق العبادة

قال ابن القيم في كتابه "الفوائد ص ١٠٩" مستشهدا

" قال الأسود بن سالم: ركعتين اصليه لله أحب الي من الجنة بما فيها. فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم، الجنة رضى نفسي، والركعتان رضى ربي، ورضى ربي أحب الي من رضى نفسي".

الفصل التاسع والعشرون

تصوف ائمة السلفية:-

ومن كلام المؤلفين المحققين المعاصرين ما ذكره المحقق الدكتور ماجد عرسان الكيلانى الأستاذ بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز - فرع المدينة المنورة - (من كتابه الفكر التربوى عند ابن تيمية فى صفحة ٢٣ما نصه: (وأهمية أعمال - هنرى لاوست - أنه أول باحث أجنبى استهدف مجابهة اللهجة المعادية لابن تيمية فى دوائر الدراسات الغربية وتقديم صورة أفضل وأكثر واقعية عن هذا المفكر المسلم ومكانته فى تاريخ الفكر الإسلامى.

ولقد سار على منهاج لاوست هذا : البروفسور جورج مقدسى فى مقالاته الثلاث التى كتبها عن ابن تيمية بأسلوب علمى مركز.

وكانت المقالة الأولى بعنوان:

ibn Taymiya's AutigraphManuscript on Istihsan

أى (مخطوطة ابن تيمية عن الاستحسان)

والمقالة الثانية بعنوان: Order Ibn Taymiya: A Sufi of the Qadiria

أى (ابن تيمية صوفى من الطريقة القادرية)

أما المقالة الثالثة فكانت بعنوان: The Tanbih of Ibn Taymiya onDialectic

أى (تنبيه ابن تيمية عن التفكير الجدلى).
وفى جميع هذه المقالات الثلاث حاول جورج مقدسى أن يثبت خطأ ما أورده – دونكان ماكدونالد – من ملاحظات عدائية تجاه ابن تيمية ، حين زعم أن ابن تيمية لم يكن إلا رجلاأنانيا وليس لديه من نفع لطريق الزهد أو الفلسفة أو الدين،وأنه لم يقصد إلا نفع نفسه، ويرد جورج مقدسى على هذا الا تهام بالقول : إن طريق ابن تيمية والدرجة العالية من الفهم الشامل للإسلام لديه لا يرفضان مكانة الزهد والتصوف إذا كانت محتويات الزهد ومضامين التصوف صحيحة النقل صائبة المحتوى، وما زال – مقدسى –مستمرا فى أبحاثه فى هذا الميدان وللرجل شغف بابن تيميةسوف يقود إلى أبحاث عميقة مطولة) أ.هـ.
ابن تيمية قادري الطريقة: وقال فى صفحة ١٧٧ ما نصه : (تباين الباحثون فى موقف ابن تيمية من الصوفية واختلفوا اختلافا كبيرا ، وما زال النقاش حول هذا الموضوع يدور على صفحات الكتب والمجلات المتخصصة ، فلقد صو ره البعض كما فعل المست شرق د . ب. ماكدونالد – على أنه العدو اللدود للصوفية والحياة الروحية سواء. وآخرون ما زالوا يصرون على أن ابن تيمية لم يكن معاديا للصوفية، وأنه هو نفسه كان صوفيا تلقى صوفيته من الطريقة القادرية.

والواقع أن ما استهدفه ابن تيمية هو إبراز الجوهر الأصلى للتصوف كمدرسة تربوية هدفها الأساس تهذيب النفس وتطهيرها من أخلاقها الذميمة ، ولذلك عارض كل انحراف طرأ على التصوف فيما يخص هذا الهدف، وكل ما يخالف القرآن والسنة فى هذا المجال.

وانطلاقا من هذه القاعدة أظهر ابن تيمية احتراما كبيرا لرو?اد الزهد وشيوخ التصوف الذين ا لتزموا بالقرآن والسنة من أمثال الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، والسرى السقطى ،والجنيد، وحماد الدباس ، والشيخ عبد القادر الكيلانى ، وعدى بن مسافر.

وأما ما ذكره – جورج مقدسى – حول انتساب ابن تيميةللقادرية فقد استند فيه إلى سلسلة شيوخ ابن تيمية التى تبدأبموفق الدين بن قدامة تلميذ الشيخ عبد القادر المباشر وخريج المدرسة القادرية فى بغداد.

واستند كذلك إلى الاحترام والتقدير اللذين يبثهما ابن تيمية فى كتاباته للشيخ عبد القادر، فهو فى رسائله وكتبه يشير إلى الشيخ عبد القادر بنفس المستوى الذى يشير فيه إلى الإمام ابن حنبل من خلال الألقاب التى يسبغها عليه، فهو (قطب العارفين وهو (شيخنا أبو محمد قدس الله روحه) وهو (أعظم زمانه أمرا بالتزام الشرع) (الشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشا يخ زمانهم أمرا بالتزام الشرع والأمر والنهى وتقديمه على الذوق،.(ومن أعظم المشايخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية) (وإذا ضرب ابن تيمية مثلا قال ولهذا كان الشيخ عبد القادر

ونحوه من المشايخ) (وهو كثير الاستشهاد به كنموذج يقتدى به فى الاعتقاد والسلوك).

وكذلك شرح ابن تيمية مقتطفات كثيرة من أقوال الشيخ عبدالقادر وشرح كتابه فتوح الغيب فى مئات الصفحات التى تضمنها المجلد العاشر من الفتاوى والمسمى –كتاب علم السلوك – وخلال هذه الشروح يقدم ابن تيمية الشيخ عبد القادر كنموذج يجسد الإلتزام الصحيح بالكتاب والسنة.

راجع مجموع الفتاوى (١٠–٦٦٨ – ٤٨٨).

وهناك بعض الإشارات فى كتب ابن تيمية تدل على أنه كان لأسرته صلة روحية بالشيخ عبد ا لقادر – فمثلا يذكر فى كتاب – علم السلوك – ما يلى:(حدثنى أبى عن محى الدين النحاس وأظننى سمعتها منه أنه رأى الشيخ عبد القادر فى منامه وهو يقول إخبارا عن الحق تعالى: من جاءنا تلقيناه ...).

بيان لبس ابن تيمية وابن القيم الخرقة الصوفية :

قد يبدوا هذا القول غريبا بعض الشيء وخاصة بمن تعلق بأقوال الشيخ ابن تيمية المناقضة بقول لبس الخرقة الصوفية المسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولسنا هنا في معرض إثبات اتصال السند،فإنه واضح وضوح الشمس في كبد السماء، ويكفي الرجوع إلى المظان الخاصة بإثبات ذلك، وانظر هنالك، مثلا بحوث العلامة الحافظ السيوطي رحمه الله، وكذا الشيخ سيدي الحافظ العلامة

الغماري، في بيان انتساب الصوفية للإمام علي عليه السلام وبيان إثبات سماع الإمام حسن من الإمام علي عليه السلام.

انتسب الشيخ ابن تيمية للطريقة القادرية لمؤسسها العلامة القطب سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ومما يشهد بذلك دفاع ابن تيمية الكثير على القطب سيدي عبد القادر الجيلاني وتأويل عباراته كما هو موجود في مجموع فتاويه في مسألة القدر وتأثير الأرواح وقوله بشطحات الصوفية وكذا ذكرها الشيخ ابن القيم وذكر بعض طلاسم ابن تيمية الذي عجز الشيخ ابن القيم ورغم منزلته العظيمة عند الحنابلة أن يحل طلاسمه بل فوضها وسلم له قوله كما في المدارج!!؟ وكذا تسليم قول شيخ الإسلام الهروي الصوفي بقوله بوحدة الوجود والإتحاد كما يسميها المخالف؟!!وبعد هذا تجده ينكر على الكثير من العلماء القائلين بما قال به شيخه!!

لقد حكى الشيخ ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩) أن ابن القيم وابن تيمية لبسا الخرقة وأنه بين ابن تيمية وبين الشيخ القطب الجيلاني ثلاث شيوخ هم محل إجلال عند ابن تيمية ابن قدامة وابن قدامة وابن قدامة وهم شيوخ المدرسة الحنبلية وأثنى عليهم في كثير من فتاويه.

وقد قام دارس والباحث في المدرسة الحنبلية المستشرق جورج المقدسي ذو الأصل اللبناني في مقالات منشورة عام ١٩٧٠ بعنوان "ابن تيمية صوفي من الطريقة القادرية"

".... وفي كتاب ليوسف بن عبد الهادي الحنبلي سماه بدء العلقة بلبس الخرقة

وذكر فيها –أي ابن عبد الهادي– ابن تيمية في سلسة الطريقة مع غيره من شيوخ الحنابلة.

وسلسلة الخرقة تنازليا هي:

*عبد القادر الجيلاني ٥٦١ هـ

*أبو عمر ابن قدامة ٦٠٧ هـ

*موفق الدين ابن قدامة ٦٢٠ هـ

*ابن أبي عمر ابن قدامة ٦٨٢ هـ

*ابن تيمية ٧٢٨ هـ

*ابن القيم ٧٥١هـ

ثم قال هذا المستشرق : (وذكر ابن رجب (٧٩٥هـ) : " وقد أخذ أبو عمر وأخوه ابن قدامة الخرقة من عبد القادر نفسه"

وقال ابن تيمية كما ذكر ابن عبد الهادي: " لبست خرقة التصوف منطرق جماعة من الشيوخ ، منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي تعتبر طريقته أعظم الطرق و أشهرها "

ثم قال : " واجل الطرق طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني " .

ثم ذكر كلاما مهما جدا وهو نقل عن ابن تيمية نفسه (....وقال ابن تيمية في المسائل التبريزية ... مخطوطة دمشق الظاهرية : " لبست الخرقة المباركة للشيخ عبد القادر وبيني وبينه اثنان " .).

مع العلم أنه ذكر أن أبو عمرو وموفق الدين لبسا الخرقة هما الاثنان من عند سيدي عبد القادر الجيلاني على ما ذكره الحافظ العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله.

و كتاب " بدء العلقة " من مؤلفات يوسف بن عبد الهادي، وقد طبعت فيدار الرازي بعمان ضمن رسائل من التراث الصوفي عام ١٤٢٣ هـ، بتحقيق الدكتور إحسان ذنون الثامري ، و الدكتور محمد عبد الله القدحات.

ذكر ذلك الشيخ عبد الله البطاطي في مقدمة تحقيقه لكتاب مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول (ص ٥٥)

ومما يزيد بيانا ووضوحا قوله أي الشيخ يوسف ابن عبد الهادي في نفس مبحثه ناقلا عن ابن ناصر الدين :

((وأحد طرقها التي بها نقلت إلينا ولله الحمد وصلت الطريقة التي أشار إليها بقية العلام وأحد مشايخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله قال:وقد كنت لبست خرقة التصوف من طرف جماعة من الشيوخ من جملتهم الشيخ عبد القادر الجيلي وهي أجل الطرق المشهورة.

وقال مرة: فأجل الطرق طريق سيدي عبد القادر الجيلي رحمة الله عليه.اهـ

فانظر رحمك الله تعالى إلى قوله!!؟؟

ابن القيم يتأدب مع شيخه الصوفي:-

وهو : "شيخ الاسلام العلامة أبو اسماعيل عبدالله بن محمد الانصاري الهروي الصوفي".

قال ابن القيم في مدارج السالكين "ج٢ ص٥٢":"والله يشكر لشيخ الاسلام "الهروي" سعيه ، ويعلي درجته ، ويجزيه أفضل جزائه ، ويجمع بيننا وبيته في محل كرامته ، فلو وجد مريده "ابن القيم" سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه مافعل. كيف وقد نفعه الله بكلامه ، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من استاذه ، وهو أحد من كان على يديه فتحه يقظة ومناما .

وهذا غاية جهد المقل في هذا الموضوع ، فمن كان عنده فضل علم فاليجذبه أو فاليعذر ولايبادر الي الانكار ، فكم بين الهدهد ونبي الله سليمان وهو يقول له "احط بما لم تحط به" وليس شيخ الاسلام أعلم من نبي الله سليمان وليس المعترض باجهل من هدهد ، والله المستعان وهو أعلم ".

ونذكر هنا الخلاصة التي ذكرها سيدي العلامة محمد الحافظ التيجاني في مجلة طريق الحق ص١٧ سنة ١٣٩٦ الصادرة في شهر رجب

سند ابن تيمية في الفقه الحنبلي والطريقة القادرية :

((..... لذلك أحببنا نشر هذا السند ليتضح ذلك لمن أراد الإنصاف ، قال الإمام محمد بن محمد بن سليمان الروداني في ص ١٣٠ ظهر سلسلة الفقه الحنبلي أخذته مع الطريقة القادرية إذنا عن قدوة الحنابلة في زمانه علما وعملا أبى عبد الله محمد بدر الدين البلباني الصالحى

وكتب لي سلسلته فقال أروى الفقه والطريقة القادرية وغيرهما مما يجوز لي وعنى روايته عن شيخ الإسلام الشهاب بن على الوفائى المفلحى ،عن شرف الدين موسى بن سالم الحجاوى وعن القاضي برهان الدين بن مفلح ، وهما عن والده نجم الدين بن مفلح ، عن والده القاضي برهان الدين صاحب الفروع ،عن جده شرف الدين ، عن عبد الله بن مفلح والشيخ تقي الدين بن تيميه والأول عن جده قاضى القضاة جمال الدين المردوى عن التقى سليمان بن حمزة ، والثاني عن شمس الدين بن أبى عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة ، وهو والتقى بن حمزة عن قطب المذهبين مولانا الشيخ عبد القادر الكيلانى ، عن الإمام محفوظ أبى الخطاب عن القاضي أبى يعلى ،عن مولانا الحسن بن حامد ، مولانا أبى بكر عبد العزيز ، محمد بن محمد الخلال ، عن أبى بكر المرزوى ، عن الإمام المبجل أبى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي إن ابن تيمية اخذ الطريقة القادرية والعلوم والفقه عن موفق الدين بن قدامة عن مولانا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضي الله عنه " أهـ باختصار فانظر!!.

لبس الامام الحافظ الذهبي:

و سند الحافظ الذهبي فقد جاء في سير أعلام النبلاء الجزء ٢٢ / ٣٧٧ :((..ألبسني خرقة التصوف شيخنا المحدث الزاهد ضياء الدين

عيسى بن يحيى الانصاري بالقاهرة ، وقال : ألبسنيها الشيخ شهاب الدين – أي السهروردي الصوفي المعروف – بمكة ، عن عمه أبي النجيب)) .

و عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي فمن شيوخ الذهبي :–

وقد ترجمه في معجم شيوخه وتاريخ الإسلام ٨٤٣/١٥ ط. دار الغرب الإسلامي ونص على أنه ألبسه الخرقة.

وطبعا من لبسوا عنه الخرقة هو الامام السهروردي

قال الامام الذهبي في ترجمة السهروردي:–

* الشيخ الامام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الاسلام أوحد

الصوفية شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله – وهو عمويه – بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن

القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيهها عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي.

ولد في رجب سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، وقدم من سهرورد وهو شاب أمرد، فصحب عمه الشيخ أبا النجيب ولازمه وأخذ عنه الفقه والوعظ والتصوف، وصحب قليلا الشيخ عبد القادر، وبالبصرة الشيخ أبا محمد بن عبد.

وسمع من هبة الله بن أحمد الشبلي، وهو أعلى شيخ له، وأبي الفتح ابن البطي، وخزيفة بن الهاطرا، وأبي الفتوح الطائي، وأبي زرعة المقدسي، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن المقرب، ويحيى بن ثابت، وطائفة له عنهم جزء سمعناه.

حدث عنه ابن نقطة، وابن الدبيثي، وابن النجار، والضياء، والقوصي، وابن النابلسي، وظهير الدين محمود الزنجاني، وأبو الغنائم بن علان، وأبو الفرج ابن الزين، وأبو إسحاق ابن الواسطي، وأبو المعالي الابرقوهي، والرشيد بن أبي القاسم، وآخرون.

لبس الامام الحافظ ابن كثير:

الإمام ابن كثير صوفي بل شاذلي الطريقة كما نقل عنه تلميذه الصفدي.

نقل الصفدي تلميذ العلامة ابن كثير (وهو تلميذ ابن تيمية) أن ابن كثير تصوف على طريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ،قال الإمام الصفدي في الوافي في الوفيات (٢١/١٤١-١٤٢)ط دار إحياء التراث العربي ط أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

في ترجمة سيدي ومولاي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه:-

((وقد رأيت شيخنا عماد الدين قد فتر عنه في الآخر وبقي واقفا في هذه العبارات حائرا في الرجل لأنه كان قد تصوف على طريقته)) .

لبس الحافظ ابن الصلاح:-

ونختم آخر بعالم لطالما رأيت استدلالهم به فأقول هو العالم العلامة الشيخ الحافظ المحدث ابن الصلاح رحمه الله وعنا به قال الحافظ العلامة المجتهد السيوطي الشاذلي رضي الله عنه في تأييد الحقيقة العلية ص ١٣ :

((..قال ابن الصلاح و لي في لبس الخرقة اسناد عالي جدا ألبسني الخرقة أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي قال أخذت الخرقة من أبي اللأسعد هبة الرحمن ابن أبي سعيد عبد الرحمن بن أبي القاسم القشيري قال أخذت الخرقة من جدي ابي القاسم و هو أخذها من أبي علي الدقاق و هو أخذها من أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذي و هو أخذها من ابي بكر دلف بن جحدر الشبلي و هو أخذها من الجنيد و هو أخذها من السري السقطي و هو أخذها من معروف الكرخي و هو أخذها من داود الطائي و هو أخذها من حبيب العجمي و هو اخذها من الحسن البصري و هو أخذها من على بن أبي طالب و هو اخذها من النبي صلى الله عليه و سلم .

قال ابن الصلاح : ((..وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين)).

التبرك بابن تيمية فى حياته و بعد و فاته :

من كتاب البداية والنهاية للشيخ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي .

الجزء الثامن : باب : ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

قال ابن كثير: توفي شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا فيها ، وحضر جمع كثير الي القلعة ، واذن لهم بالدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤوا القران وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك وانصرفن واقتصر على من يغسله .

فلما فرغ من غسله اخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق الي الجامع وامتلاء الجامع ايضا وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات الي باب البادين والغوارة ، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند قد أحاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه اولا في القلعة ، وتقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد تمام ، ثم صلي عليه في الجامع الاموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس على ماتقدم ذكره ثم تزايد الجمع الي أن ضاقت الرحاب والازقة والاسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على رؤس الاصابع وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الاصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له ، والقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديلهم وعمائمهم لايلتفتون اليهم لشغلهم الشاغل بالنظر الي الجنازة وصار النعش على الرؤس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس .

ولم يتخلف عن الحضور الا القليل من الناس أو من عجز لأجل الزحام عن الحضور ، ومع الترحم والدعاء له ، وانه لوقدر ماتخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر الف امرأة ، غير الاتي كن على الاسطح وغيرهن ، الجميع يترحمن عليه ويبكين عليه فيما قيل ، وأما الرجال فحزروا بستين الفا الي مائة الف الي اكثر من ذلك الي مائتي ألف ، وشرب جماعة الماء الذي فضل غسله ، واقتسم جماعة بقية السد الذي غسل به ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما ، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس الي قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا يبيتون عنده ويصبحون ، ورئيت له منامات صالحة كثيرة ، ورثاه جماعة بقصائد جمة .

وجاء صاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والاصحاب والأحباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء اصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية ، وجلسوا حوله وهم يبكون ويئنون مثل ليلى يقتل المرء نفسه وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت اليه وقبلته ، على راسه عمامة بعذب مطروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه ، واخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه قراء هو

والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين ، فانتهيا فيها الي اخر" اقتربت الساعة " و ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند عزيز مقتدر " فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبدالله بن المحب وعبدالله الزرعي الضرير ، وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما – فابتداء من أول سورة الرحمن حتى ختموا القران وأنا حاضر أسمع وأرى .

فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس في كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخيل ، ومن الناس من تعجل بعد ان صلى في الجامع الي مقابر الصوفية ، والناس في بكاء وتهليل في مخافته كل واحد بنفسه ، وفي ثناء وتاسف .

وعملت له ختمات كثيرة ورئيت له منامات صالحة عجيبة ، ورثي بأشعار كثيرة ، وقصائد مطولة جدا ، وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف ذلك جماعة من الفقهاء وغيرهم . اهـ

و سطر تلميذه الحافظ عمر بن علي البزار في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية.... :

الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ١٧ قال الحافظ البزار: "اخبرني من أثق به عن من حدثه أن الشيخ رضي الله عنه في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل

يسأله عنها لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة وكان يجيبه عنها سريعا حتى تعجب منه ثم انه صار كلما اجتاز به يخبره

بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن اسلم وحسن إسلامه وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه" اهـ

الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ٣٩ قال الحافظ البزار: "فقل أن يراه أحد ممن له بصيرة إلاو"/انكب على يديه يقبلهما"/ حتى انه كان إذا رأه أرباب المعايش يتخطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به وهو مع هذا يعطي كلا منهم نصيبا وافرا من السلام وغيره اهـ.

قال الحافظ البزارفى الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ٤١ : "وكان رضي الله عنه كثيرا مايرفع طرفه إلى السماء لا يكاد يفتر من ذلك كأنه يرى شيئا يثبته بنظره فكان هذا دابة مدة إقامتي بحضرته. فسبحان الله ما اقصر ما كانت يا ليتها كانت طالت ولا والله ما مر على عمري إلى ألان زمان كان احب إلى من ذلك الحين ولا رأيتني في وقت احسن حالا مني حينئذ وما كان إلا ببركة الشيخ رضي الله عنه .اهـ

قال الحافظ البزار فى الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ٤٩: "حدثني الشيخ الصالح العارف زين الدين علي الواسطي ما معناه انه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة قال فكان قوتنا في غالبها انه كان في بكرة النهار يأتيني ومعه قرص قدره نصف رطل خبزا بالعراقي فيكسره بيده لقما ونأكل منه أنا وهو جميعا ثم يرفع يده قبلي ولا يرفع باقي القرص

من بين يدي حتى اشبع بحيث"أني لا أحتاج إلي الطعام إلى الليل وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ/ اهـ

قال الحافظ البزار فى الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ٨٣ : "قالوا وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل عن غسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل ، ثم أخرجت جنازته فما هو إلا ان رآها الناس فأكبوا عليها من كل جانب كلا منهم يقصد التبرك بها حتى خشي على النعش ان يحطم قبل وصوله إلى القبر". اهـ

قال الحافظ البزار فى الأعلام العلية " جزء ١ – صفحة ٨٥: "ودفن في ذلك اليوم رضي الله عنه أعادعلينا من بركاته " اهـ

و اتباع ابن تيمية يتبركون بجنازته:«كان تشييعه حافلا حتى ضاقت الطريق لجنازته وانتهى إليها الناس من كل فج عميق واشتد الزحام وألقوا على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك، وكسرت أعواد سريره لكثرة تعلق الناس به وشربوا ماء غسله للتيمن.. واشتروا ما زاد من سدره وقسموه بينهم. ويقال: إن الخيط الذي كان عليه الزيبق وعلق على جسده لدفع القمل، اشتروه بمائة وخمسين درهما» (انظر البداية والنهاية ١٤: ١٣٦، الكنى والألقاب ١: ٢٣٧).

وصف ابن كثير لجنازة ابن تيمية من (البداية والنهاية (١٣٥/١٤) فقال:"حضر جمع كثير إلى القلعة وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن،

واقتصروا على من يغسله فلما فرغ من غسله أخرج، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع ."

وقال البداية والنهاية(١٣٦/١٤) :(وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير.)

وقال ايضاالمصدر السابق (١٣٩/١٤) : "ورؤيت له منامات صالحة عجيبة".

وقال ايضا المصدر السابق (١٣٩/١٤):(وتردد شيخنا الامام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الايام الثلاثة، وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكبا على حماره، وعليه الجلالة والوقار حمه الله، وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة).

تراب قبر ابن تيمية، يكحل به لعلاج رمد العيون :-

ورد فى كتاب :{ الرد الوافر على من زعم بان من سمى ابن تيمة شيخ الاسلام كافر }

وهو لابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ) وقد حققه زهير الشاويش، وقدم له جمع من كبار السلفية والمعاصرين وهو من كتب المناقب في ابن تيمية وفي نص القصة : التي رواها ابن حجي عن

البطائحي المزي قال :كنت شابا وكانت لي بنت حصل لها رمد وكان لنا اعتقاد في ابن تيمية ، وكان صاحب والدي وياتي الينا ويزور والدي،فقلت في نفسي :

{ لآخذن من تراب قبر ابن تيمية فلأكحلها به ، فانه طال رمدها ولم يفد فيها الكحل ،فجئت الى القبر ، فوجدت بغداديا قد جمع من التراب صررا ، فقلت : ما تصنع بهذا ؟؟؟قال : اخذته لوجع الرمد أكحل به . أولادا لي فقلت : وهل ينفع ذلك ؟؟؟

فقال : نعم ،وذكر انه جربه، فازددت يقينا فيما كنت قصدته فأخذت منه، فكحلتها وهي نائمة فبرأت.

اقول :

لقد أنكر الوهابية التبرك وعابوا علينا تبركنا بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين .

فنجد أن اصحاب ابن تيمية وتلاميذه تبركوا به وبرؤيته !!! وليس فقط الرجال بل رجالا ونساء !! بل الاعجب من ذلك أنهم شربوا ماء غسله !!! ولم يفعل هذا صوفي من قبل ابدا ؟؟؟

وتزاودوا في شراء اثاره ودفعوا فيها المبالغ المدهشة ؟؟؟؟

وهل كل هذه الختمات ضاعت هبائا منثورا ولايصل ثوابها الي الميت ، كما يقول ذلك الوهابية وعلى رأسهم الالباني ؟؟؟

وياترى لماذا دفن ابن تيمية في مقابر الصوفية ؟؟؟؟

الم تكن هنالك مقابر اخرى ليدفن فيها شيخ الاسلام ؟؟؟

واذا لم تكن هنالك مقابر اخرى . اذا كانت الامة مجتمعة على التصوف ولم يكن هنالك غيره !!! واجماع الامة معصوم !!! لقوله صلى الله عليه وسلم لن تجتمع امتي على ضلال.

لقد تبرك أتباعه بجنازته وماء غسله مما يثير السؤال: هل أن اتباعه كانوا مشركين وأهل بدعة، طالما يرى التبرك شركا وبدعة، إذ تمسحوا بالجنازة؟! هل شيعه المشركون ولم يحضر جنازته مسلم!؟ أو أن جواز التبرك والتمسح، أمر ارتكازي لدى المسلمين، وأن الفتوى بحرمته، يعد فتوى على خلاف المرتكز وقولا بغير ما أنزل الله؟

الفصل الثلاثون

قصائد فى الشيخ ابن تيمية

وا جعل خاتمة هذا البحث مديحا فى الشيخ ابن تيمية وفي قصائد أصحابه وتلاميذه وتعظيمهم له يستريح فيه قلب الباحث من عناء المراجعات والمناقشات التى احتوى عليها هذا البحث :-

قال الحافظ أبو عبدالله محمد بن احمد بن عبدالهادي المقدسي رحمه الله في العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية دار الكاتب العربي ، بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي (ص ٤٩١) مانصه :

حوى من المصطفى علما ومعرفة ... وجاءه منه إمداد النوالات

ما جاء سائل إلا ويمنحه ... إما بجود وإما بالمداراة (

وفى كتاب "/محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي"/

" يفنى الزمان ولا يفنى ذكر ابن تيمية ، وهو كالعنقاء بين الورى/

شيخ إذا أبصرته في محفل * تقذى برؤيته عيون الحسد

ذو المنقباتالغر والشيم التي * يفنى الزمان وذكره لم ينفذ

يا من يروم له عديلا في الورى * قد رمت كالعنقاء ما لم يوجد

المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلامأحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/ ٤١٦

الثريا تتمنى أن تكون ترابا لقبر ابن تيمية .. ونزل رحمة لأهل المقابر ومنقذا من الظلام والعطش

ولما تبدى نور نعشك لامعا ** تمنتبنات النعش أن تتحطما
وودت بأن تدنو الثريا إلى الثرى * * نثارا عليه رفعةوتعظما
نزلت على أهل المقابر رحمة * * وأنقذتهم من ظلمة الظلم والظما
سقبرك الوسمي في كل سحرة * * سحائب رضوان به الروض وسما
ورف عليه الأقحوان مفلجا * * وأطلع فيه الروض نجما وأنجما
المرجع : العقود الدرية من مناقبشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي١/٤٧٧
" من فضل مجاورة تربته .. إلى لزوم شق الجيوب عليه
طوبى لمن أمسى مجاور تربة ** من أجلها الجار المجاور يكرم
أمسوتحت الأرض عرس إذ ثوى * * فيها وفوق الأرض فينا مأتم
هذا وأملاك السماء تحفه * * في كل يوم لا تمل وتسأم
يا أرض صرت به كروضة جنة * * لنزيلها في كل يوم موسم
لسواه تشقيق الجيوب وإنما * * شق الجيوب عليه مما يلزم
المرجع : العقودالدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامةالمقدسي ١/ ٤٢٢
"إمام قائم .. وروح الوجود
يا إماما أقامهالله للعالمـ * * ين هاديا باللطف والإحسان
يا غريب المثال يا موضح الأش* * كال بالبينات والبرهان
يا تقي الدنى مع الدين يا من * * خص بالفضل واكتمالالمعاني
لا تحل العواد إن أكثروا التر * * داد أو أقدموا بلا استئذان

أنتروح الوجود في عصرك الآ * * ن وقلب الورى وعين الزمان
والبرايا إذا اعتبرتجميعا ** منك أضحوا بمنزل الجثمان
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخالإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/٤٥٦
" تصوف ابن تيمية .. وكراماته
وله مقام في الوصول لربه ** ومقامه نطقت بها الأقتام
وله فتوح من غيوب إلهه ** وتحزن وتمسكنوكلام
وتصوف وتقشف وتعفف ** وقراءة وعبادة وصيام
وعناية وحماية ووقاية * * وصيانة وأمانة ومقام
وله كرامات سمت وتعددت * * ولها على مر الدهور دوام
منرد عن أرض الشآم بعزم ** من صد وجه الكفر وهو حسام
من رد غازان الهمام بحسرة * * من خلص الأسرى وهم أيتام
من قام بالفتح المبين مؤيدا ** في كسروان وهم طغاةعظام
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/ ٥٠٠
"قطب الزمان والكون .. وحبر الوجود
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو ** روح المعاني حوى كل العبادات
حبر الوجود فريد في معارفه ** أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/٤٩١

فمن كان قطب الكون في حال عصره * * سواه ومن قد فاز بالبدلية
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،
لمحمد بن أحمد بن عبد الهاديبن قدامة المقدسي ١/ ٤٨٦
"تخشع الأبصار لهيبة نعشه ، وتطوف به الملائكة
خشعت لهيبة نعشك الأبصار ** لما عليه تبدت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوفت ** زمرا وحفت حوله الأبرار
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية
،لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/ ٤٣٤
" يشكو إليه .. ويفديه الأنام وهو في جنات عدن
أشكو إليك وأنتأصل شكايتي * * من فرط ضر في افتقادك مسنا
قد عبرت عبراتنا من حزننا * * وبمايجن من الجوى نطق الضنى
سقيا لتلك الروح من سحب الرضا ** وتبوأت جنات عدن مسكنا
لو كان فيها الموت يقبل فدية * * كان الأنام فدى وأولهم أنا
المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،
لمحمد بن أحمد بن عبد الهاديبن قدامة المقدسي ١/٤٨٠
" شرب بكأس العارفين مدامة .. ونال قربا لا ينال بحيلة
شربت بكأس العارفين مدامة * * حقيقتها من سر عين الحقيقة
وجدتبكأس الفضل منك تكرما * * على تابعين السنة الأحمدية
فسبحان من أعطاك من فضلجوده * * لقد نلت قربا لا ينال بحيلة

المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخالإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/٤٨٨

" منحه لفتوح الغيب

يا غنية المبتغين الرشدمانحهم * * فتوح غيب أتى من عند باريه

المرجع : العقود الدرية من مناقبشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي١/٤٥٩

"مجده قد أعيا الواصفين وصير آذانهم حائرة .. ويحلف به

ومجدك قدأعيا الواصفيـ * * ن وصير آذانهم حائره

ولكن ذلك جهد المقل * * فكن بالقبول لهجابره

أيا من دعائي ويا من ولائي * * وفائح أثنيتي العاطره

لعلياء حضرتهدائما ** تردد واردة صادره

لعمرك إن كان حظي غد ا * * من الله في داره الآخره

كما هو عندك في هذه ** فتلك إذا كرة خاسره

المرجع : العقود الدريةمن مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامةالمقدسي ١/٤٦٢

" الشمس في مأتم عليه ... وهو جل وعلا عن الشبيه

أو ما ترى شمس الضحى في مأتم ** والجو قد لبس الحداد لبعده

فليدخلن لأرض مصر إمامنا * * بسكينة حفت به من عنده

وليرجعن إلى دمشق مؤيدا * * حقا كما عاد الحسام لغمده

وترى بعينك ما يسوؤك من علا ** يفنى الزمان ولا نفاد لمجده

المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/ ٤٤٠

" مشيعوه " والله " لا تحصيهم الأقلام

أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا * * والله لا تحصيهم الأقلام

مرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ١/ ٥٠٢

تم بحمد الله